

المسجد والعنبر

في

خطب المنبر

عائض بن عبد الله القرنكي

الجزء الثاني



مكتبة التابعين
القاهرة - عين شمس

ت: ٤٤٨١٢٨١ - فاكس: ٤٩٢٤٢٧٥

مكتبة الصحابة
الإمارات - الشارقة

ت: ٥٥١٥٥٧٥ - فاكس: ٥٢٧٤٥٤٤



جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية الجديدة

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

مكتبة الصحابة

الإمارات - الشارقة
ت. ٥٦١٥٥٧٥ - فاكس: ٥٦١٥٥٤٤

مكتبة التابعين

القاهرة - عين شمس
ت. ٤٩٣٨١٤٤ - فاكس: ٤٩٣٤٣٢٥



الفهرس

صفحة	الموضوع
٣	فهرس الخطب
٥	مقدمة
٦	تعظيم شعائر الله
١٧	ضوابط محبة الرسول ﷺ
٣١	الباحثون عن الحقيقة
٤٦	لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم
٥٧	الأمير العباسي الفقير
٦٩	الذين يستحقون اللعنة
٨٢	الرحلة في طلب العلم
٩٤	حق المسلم على المسلم
١٠٨	قصة عائذ إلى الله
١٢٠	مراتب الإحسان
١٣٣	شهيد القسطنطينية
١٤٥	شطر الإيمان
١٥٥	الوقت والحياة
١٦٨	الراحمون يرحمهم الله
١٨١	يوسف في الحب

١٩٤	يوسف في بيت العزيز.....
٢٠٥	كيف نعلم الناس؟.....
٢١٨	إمام أهل السنة والجماعة.....
٢٣٤	الإنسان المبتلى.....
٢٤٦	عقدة البقرة.....
٢٦٢	الرحمن على العرش استوى.....
٢٧٥	الظلم ظلمات.....
٢٨٦	أيها العاق.....
٣٠١	فهرس المراجع.....



■ المقدمة ■

الحمد لله الملك الديان، خلق الإنسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على من فاق الفصحاء، وبز الخطباء، وعلى آله وصحبه الأوفياء .

● أما بعد:

هذه هتافات على المنبر، ألقى في لحظات من أيام العمر هي أغلى لحظات، وفي ساعات من رصيد الزمن هي أروع ساعات .

إنه زمن اجتماع المؤمنين، وتنزل الرحمة، وحضور الملائكة، تطوي صحفها لتستمع الذكر، ولعل ما يكتب هنا لا يحمل المشاعر والإيحاءات التي حصلت هناك، فللصوت أثره، وللإشارة مدلولها، وللأداء إيحاؤه، وكل هذه مفقودة في الكتابة .

ولعل مسلماً يقرأ هذا الجهد القليل، يدعو لي بظهر الغيب، ليقول الملك: ولك بمثل ذلك .

شكر الله سعي القائمين على دار الصحابة بالإمارات، ودار التابعين بالقاهرة، وزادهم من فضله، وتقبل منا ومنهم أحسن ما عملنا، وتجاوز عن سيئاتنا في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون .

عائض بن عبد الله القرني



■ تعظيم شعائر الله ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النار .

● أيها الناس :

المؤمن يُحسن ويخاف والمنافق يسيء ويرجو . . المؤمن مرهف الإحساس ، المؤمن حي العاطفة ، المؤمن يعظم شعائر الله وحرَمات الله ، المؤمن يراقب الله في السر والعلن ، وفي الجلوة والخلوة ، المؤمن يرى ذنوبه كأنها جبل يخاف أن يسقط عليه ، والمنافق يرى ذنوبه كأنها ذباب مر على أنفه فقال به هكذا فلا يخاف منها ، المنافق يخاف من الناس أعظم من خوفه من الله : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ { النساء : ١٠٨ } ، يستحيون من الناس ولا يستحيون من الله ، يقدرُّون الناس ويوقرون الناس ، ولا يعظمونه - تبارك وتعالى - !! فتعالوا نرى كيف كان السلف الصالح يخافون الله ويراقبونه :

سبحان من يعفو ونهفوا دائماً
ولم يزل مهما هفا العبد عفا
يعطي الذي يُخطي ولا يمنعه
جلاله عن العطا لذي الخطا

عمر - رضي الله عنه وأرضاه - كلكم يعرف عمر، كان من أخوف الناس لله، ومع ذلك كان صادقاً مع الله، صادقاً مع الناس، وصادقاً مع نفسه - قائم الليل، صائم النهار، عادلاً فيمن ولاه الله، زاهداً في الدنيا، يبكي طويلاً ويقول يا ليتني كنت شجرة تعضد كان يقول لحذيفة رضي الله عنه، وقد علمه صلى الله عليه وسلم أسماء المنافقين. الرسول صلى الله عليه وسلم علم حذيفة بينه وبينه سرّاً أسماء المنافقين الذين لا يدخلون الجنة فأتى عمر يبكي عند حذيفة ويقول يا حذيفة أسألك بالله أسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين؟ لا إله إلا الله.. إذا لم تكن يا عمر مؤمناً فمن هو المؤمن؟! وإذا لم تكن صادقاً فمن هو الصادق وإذا لم تكن مخلصاً فمن هو المخلص؟ لا إله إلا الله بذلت مالك ودمك في خدمة لا إله إلا الله، وتبكي على نفسك أن تكون منافقاً!

جلس الصحابة في مجلس فقال عمر - رضي الله عنه وأرضاه - لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم: أيكم يحفظ قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الفتنة؟ فقال حذيفة أنا قال إنك عليها لجريء. أي تستطيع أن تتكلم في هذه المواضيع الخطيرة. قال نعم.. قال ماذا سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الفتنة؟ قال.. يقول «فتنة الرجل في أهله وماله يكفرها الصوم والصلاة والصدقة» يعني سببه وشتمه لأهله وأخطاه مع أهله كفارتها الصوم والصدقة والصلاة - قال عمر: لست عن هذا أسأل - لكن أسألك عن الفتنة التي تموج موج البحر ما هي كفارتها؟! الفتنة التي تموج موج البحر فتنة الدماء فتنة أن يسلّ السيف على المسلمين.. فتنة الاختلاف. فتنة الزندقة والنفاق والإلحاد. قال حذيفة يا أمير المؤمنين لا تخف إن بينك وبينها بابٌ قال أيفتح الباب أم يكسر؟ والباب هو

عمر . . الباب عن الفتنة عمر بن الخطاب . . يوم قتل بدأت الفتنة!! يوم ذُبِحَ سُلَّ السيف على الأمة المحمديَّة . يوم اغتيل - ﷺ وأرضاه - بدأت الفتن التي تموج موج البحر . قال حذيفة : وحدثته أن بينه وبينها بابًا مغلقًا يوشك أن يكسر . قال : أيكسر الباب أم يفتح؟ قال : بل يكسر والله!! يعني أن هذا الباب رجل لا يموت ، وإنما يذبح كما يذبح العظماء ، فدمعت عيننا عمر ، وقال : الله المستعان . قالوا لحذيفة : أدرى عمر من هو الباب!!؟ قال : إي والذي نفسي بيده إنه علم كما أن دون الليلة البارحة^(١) ، ويوم أته سكرات الموت واغتيل - ﷺ وأرضاه - ما بكى أطفاله وما بكى أمواله وما بكى منصبه ووظيفته ، بكى ذنوبه وخطاياها . .

حياءً من إلهي أن يراني . .

وقد ودعت صَحْبَكَ واصطفاك

فيقول يا ليت أمي لم تلدني . . ودماءه تنزف ، مات شهيدًا ، ذبح شهيدًا في سبيل الله . . قالوا : ما لك؟ قال : ذنوبي وخطاياي ، يا ليت أمي لم تلدني ، يا ليتني كنت شجرة فأعضد ، يا ليتني ما توليت الخلافة ، يا ليتني ما عرفت الحياة ، هذا هو عمر - ﷺ وأرضاه - فكيف بنا أهل الذنوب والخطايا ، ذاك هو المؤمن الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويعمل صالحًا ويتوب ويخاف من الذنوب . . والمنافق يترك الصلوات ، ويلعب في المحرمات ، وينتهك حدود الواحد الأحد ربَّ الأرض والسموات ، ويضحك!! يتكلم بالنفاق ، ويعمل بالنفاق ، ويضحك!!

إذا بايع الناس غشَّ وظلم ، وإذا أخذ المال وأعطاه رابى ، تعامل بالربا ، وإذا خاصم فجر ، وشهد شهادة الزور ، ولعن وتعدى وهو يضحك .

(١) أخرجه البخاري (٩٦/٨) كتاب الفتن ، باب (١٧) ، ومسلم (١٢٩/١) كتاب الإيمان ، رقم (٢٣١) .

قاطعٌ للرحم، عاقٌّ للوالدين، فاجرٌ في بيته، فاجرٌ في مجتمعه فاجرٌ مع أمته وهو يضحك، ولذلك كان أصحاب الرسول ﷺ، أخوف الناس لله، أتى أحدهم والرسول ﷺ محاصرٌ في خيبر وقيل غيرها من قرى اليهود فأرسله ﷺ، أرسل هذا الصحابي - قال: اذهب إلى أهل هؤلاء الحصن من اليهود وفاوضهم، عليهم أن ينزلوا على حكم الله، فدخل على اليهود، فقال اليهود له وهم يتباكون نساءً ورجالاً وأطفالاً: أما ترى ماذا يصنع بنا رسول الله ﷺ، فأخذته الرحمة لكن في غير موضعها والرقعة بأعداء الله، إخوان القردة والخنازير فأشار إليهم ألا ينزلوا وهي خيانة لرسول الله ﷺ، لكن لم يتكلم. قال بيده على عنقه هكذا، يعني انتبهوا لا تنزلوا فإنه سوف يذبحكم ذبحاً - وخرج من الحصن، وشعر أنه خان الله، وخان رسول الله ﷺ، وخان دين الإسلام. فذهب إلى المسجد فربط نفسه بحبل بسارية المسجد وقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أفك نفسي، ولا أطلق نفسي، حتى يطلقها رسول الله ﷺ، وأخذ يبكي صباح مساء. وأتت التوبة من السماء لأنه اعترف بذنبه وخطيئته فتاب الله عليه، فأتى ﷺ بيده الشريفة، ففكَّ الحبل فمضى وهو تائب لا أحد أسعد منه على وجه الأرض.

* أنزل الله قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ {الحجرات: ٢}.

معناه أنه يقول للصحابة: لا ترفعوا أصواتكم تأدبوا عند المصطفى، تأدبوا عند صاحب الرسالة الخالدة ﷺ، فلما نزلت أتى ثابت بن قيس بن شماس، وهو خطيب الرسول ﷺ، كان يخطب في حماية الإسلام، وفي الدفاع عن الإسلام، فيرفع صوته على صوت الرسول ﷺ، وليس هو المقصود في الآية، لأن الآية تعني الذين لا يتأدبون، أما هو فيرفع صوته لرفع راية الحق فذهب فأغلق عليه بابه في البيت، فبكى حتى كادت أضلعه أن تختلف، وقال: والذي لا إله إلا هو لا أخرج من بيتي حتى يتوب الله عليَّ أو أموت

في بيتي . فسأل الرسول ﷺ سعد بن معاذ ، فقال : «يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكى؟» قال سعد : إنه لجاري وما علمت له بشكوى ، فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ ، فقال ثابت : أنزلت هذه الآية ، ولقد علمتم أنني من أرفعكم صوتًا على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار ، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «بل هو من أهل الجنة»^(١) .

وهذا هو فعل المؤمن ، وخوف المؤمن ، يتقي الله - عز وجل - ، ويخاف ألا يقبل الله منه ، ويعظم حُرُمات الله .

والشاهد من هذا الكلام أنه ينبغي لنا أيها المسلمون الأبرارأيها الأخيار أن نعظم حرَمات الله تبارك وتعالى . حق على المسئول فينا ألا يتصرف ولا يعمل إلا والله - عز وجل - حافظه ومتوليه وراعيه ، وأن يراقب الله في السر والعلن ، وحق على من يكتب مقالة نثرية أو شعرية في الصحف ، أو في الكتب ، أو في المصنفات ، أن يتقي الله في نفسه ، فإنه مسئول أمام الله - عز وجل - يوم القيامة .

ولقد رأينا من أناس كتبوا فما خافوا الله ، كتب أحدهم إلحادًا وزندقة لأنه نسي الله ، فأنساه الله نفسه . يقول أحدهم يخاطب الأمة العربية ، والأمة العربية بلا إسلام أصفار ، والأمة العربية بلا دين بادية مضمحلة وسياج من الغنم ، والأمة العربية بلا إله إلا الله محمد رسول الله ، أمة مهزومة فاشلة ، يوم دخلت الأمة العربية بدون لا إله إلا الله محمد رسول الله ساقها اليهود ، وساقوا كتائبها من سيناء وفلسطين ، وفي كثير من بقاع الأرض ، ساقوها بطائراتهم فما أسقطتها الصيحات ولا الخطب ، الأمة العربية إذا نزع الإيمان منها فقل عليها السلام ، أتى هذا المجرم ، لبناني يكتب في صحف لبنان ومن شعرائها الكبار ، يقول للأمة العربية في حربها مع إسرائيل :

(١) أخرجه البخاري (٤٦/٦) كتاب التفسير (سورة الحجرات) ، ومسلم (١١٠/١) كتاب الإيمان ، رقم (١٨٧) .

هبوالي ديناً يجعل العرب أمةً

وسيروا بجثمانني على دين برهم

ثم يقول:

بلادك قدمها على كل ملة

ومن أجلها أفطر ومن أجلها صم

يقول: اتخذ منهجاً يجمع العرب ولو كان قومية أو بعثية أو حزبية غير الإسلام، ولو كان دين برهم الهندوسي المجرم اللعين، تعالى الله عما يقوله هذا المجرم الملحد علواً كبيراً.

ويقول الثاني: وقد وقف أمام سلطان من سلاطين الدنيا شاعر يدح السلطان ونسي عظمة الله: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [سورة مريم الآيات ٩٣ - ٩٥]. ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]. يقول هذا السفیه الخرافي الذي نسي الله فأنساه نفسه، والإنسان الذي نسي الله يكتب بلا إيمان، ويتكلم بلا يقين، وينافق الناس وينسى الواحد الديان، يقول هذا السفیه لسلطان من السلاطين وكبير من الكبراء:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار * * فاحكم فأنت الواحد القهار

سبحان الله، يقول هذا لفقير هزيل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً

فضلاً عن غيره، وينسى أن الذي خلقه ورزقه هو الله - عز وجل -

سبحان الله.. فابتلاه الله بمرض جعله طريح الفراش، بقي مريضاً ينبح من المرض كما ينبح الكلب؛ لأن الذي لا يعرف الله في الرخاء يعرفه الله بنفسه في الشدة. فرعون ما عرف الله وهو على كرسي الحكم يقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ مُصْرٌ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [سورة الزخرف الآية ٥١]. فقاده الله بتلابيب ثيابه حتى أنزله في الطين والوحل، وأجرى الأنهار والمياه من على رأسه، فعند

ذلك عرف الله وندم ، ولات ساعة مندم ، قال : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس ، الآية : ٩٠] . الآن يا دجال . . الآن يا لعين ، وقد نسيت الله وعظمة الله وجلال الله .

هذا الشاعر ابتلاه الله بمرض فبكى وأبكى ، وأخذ يتقلب على فراشه ويقول . يخاطب رب العزة - سبحانه وتعالى - معترداً :

أبعين مفتقر إليك نظرتني * * * فأهنتني وقذفتني من حالقي
لست الملوم أنا الملوم لأنني * * * علقتم آمالي بغير الخالق

من يُعلقُ أماله بغير الله يقطع الله حبله وولايته عنه ، ويكله إلى نفسه والشيطان ، وقد سمعنا ورأينا من الذين أساءوا إلى الإسلام ولو كانوا يدعون الإسلام ، ولو سكنوا في بلاد الإسلام ، ولو تكلموا بلغة الإسلام ، أتوا فلما حلت بهم الأزمات ، إما مرض عضال ، وإما كارثة في أطفاله وزوجته ، أو في أمواله وتجارته ، ندم يوم أن ضيع دين الله - عز وجل - واستهان بشرعه .

● فالشاهد يا عباد الله : تعظيم حُرُمات الله في المجالس . . في مجالسنا ، في اجتماعاتنا ، وفي مكاتبنا وفي مدارسنا . هناك كلمات تهوي بصاحبها في النار سبعين خريفاً ، يطلقها قائلها بلا اعتبار ، يستهزئ بالإسلام ، يستهزئ بالرسول ﷺ ، يستهزئ بالسنة الخالدة ، يستهزئ بالدعاة والدعوة ، وما علم أنه بذلك يستهزئ برب العالمين سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة : ٦٥ ، ٦٦] . ولكنه الكفر ، والنفاق : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ [المنافقون : ٤] . ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ [البقرة : ٨ - ١٠] . وفي قلوبهم مرض ، ما دخل النور قلوبهم ما دخل الإيمان قلوبهم : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١٠ ، ١١] ، لا

تفسدوا في إعلامنا وصحفنا، لا تفسدوا في كتبنا ومصنفاتنا، لا تفسدوا عقول أبنائنا وبناتنا، لا تفسدوا في عقائدنا وتاريخنا، لا تفسدوا في دوائرنا ومدارسنا: ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ {البقرة: ١١}. نحن أهل التطور، وأهل التقدم، نحن نعارض الرجعية، وهم الرجعيون المتخلفون المتأخرون: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ {البقرة: ١٣}. الفقراء الضعفاء المهازيل: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴿{البقرة: ١٣، ١٤}. كذباً ونفاقاً إذا جلسوا مع العلماء والدعاة والأخيار والعباد والزهاد، لبسوا جلود الضأن من اللين، وقلوبهم قلوب الذئاب، ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ﴾ {البقرة: ١٤}، في مجالسهم: ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ {البقرة: ١٤}. ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ {سورة البقرة، الآية: ١٥}. أتدرون ما معنى الاستهزاء هنا: يروى في الآثار الصحيحة أن الله يأتي بهم يوم القيامة فيجعل لهم نوراً على الصراط، فيظنون أن هذا النور بإيمانهم، وأنه سوف ينجيهم على الصراط، والجو على الصراط جو ظلمة، نسأل الله أن ينور لنا ولكم الصراط، من الناس من يأتي ونوره يلمع كالنجم، ومنهم من يأتي ونوره كالقمر، ومنهم من يأتي نوره كالشمس فيأتي الله بهؤلاء، فيوقد لهم نوراً، فيظنون أنهم ناجون فإذا أصبحوا على الصراط انطفأ نورهم فوقعوا على وجوههم: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مِثْلَهُمْ كَمِثْلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ * صَمٌّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يُرْجِعُونَ ﴿{البقرة: ١٥ - ١٨}. فالله الله في تعظيم حرَمَاتِ اللَّهِ، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ {الحج: ٣٠}، ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ {الحج: ٣٢}. أسماء الله، صفات الله، كتب الله، أنبياء الله، مساجد الله، أولياء الله، كل ما يمت للإسلام بصلة. . عظَّمه ليعظّمك الله سبحانه وتعالى. . أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم .

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله . . الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً ، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً. . والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. . بلغ الرسالة. . وأدى الأمانة. . ونصح الأمة وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

● أيها المسلمون:

من الصور التي ينبه عليها لتعظيم حرمت الله - عز وجل - وشعائره صورة ولو أنها سهلة عند كثير من الناس. لكنها عظيمة. . صورة امتهان أسماء الله - عز وجل - في الصحف والجرائد والمجلات، فلقد رأينا من أناس كثيرين يقعون في امتهانهم لهذه الصحف والمجلات، وفيها آيات الله المحكمات. . وأسماءه المشرقات، توضع موائد وسُفراً لطعام، وتمزق ويرمى بها على الأرصفة، وفي الشوارع، والسكك، وفي المزابل، وهذا استهانة بأسماء الله وآياته - سبحانه وتعالى - وهذه الصحف يكتب فيها كثير من الآيات، هذه المجلات تحمل أسماء الواحد القهار، كثير منها مقالات إسلامية، فيها سور وأجزاء من القرآن، تؤخذ عند كثير من الناس لقلة عظمة الله في نفوسهم، فتوضع سُفراً للطعام، فيضعون الطعام عليها، وعليها اسم الله، وأسماءه العظمى الحسنى، ثم تُرمى في الزبالات مع الأطحمة، وهذا إن دل على شيء. . فإنما يدل على أمرين اثنين.

● أولهما: قلة مراقبة الواحد الأحد. وقلة تعظيم الله في القلوب، وعدم الحياء من الله - عز وجل -

● وثانيهما: عدم الأدب والمستوى الراقي الذي بلغه هذا المجتمع، الذي يراد منه أن يكون قدوة للناس، ولذلك نسمع في مجالسنا أن مدناً كافرة في أوروبا وأمريكا. بلغت من التنظيف ومن ملاحظة أرصفتها وأماكن تجمعات الناس،

وساحاتها وسككها ، أمراً عجيباً ، ونحن أهل الحضارة ، ونحن أهل التقدم ، ونحن أهل الرقي ترمى صحفنا وكتبنا وجرائدنا وفيها أسماء ربنا - تبارك وتعالى - في الشوارع وصناديق القمامة !! فهذا يدل على التخلف في عالم الأدب ، وعدم الرقي في عالم الحضارة والمعرفة والثقافة . .

● من الصور أيضاً: تساهل كثير من الناس في دخول بيوت الخلاء ، أماكن قضاء الحاجة ، بأسماء الله تبارك وتعالى ، تكون في أوراق ، أو في مستندات ، قطع من المصحف ، أو المصحف كله ، أو شيء من أحاديث المصطفى ﷺ ، وهذه استهانة !! وهي إما عن جهل ، وأما عن قلة إيمان . جاهل لا يدري ما الحكم ، فالفطن لا يدخل بشيء من كلام الله أو أسمائه هذه الأماكن ، لأن كلام الله - عز وجل - وأسماءه ينبغي أن تُصان وأن تُعظَّم ، القرآن يوضع في المساجد والأماكن الطاهرة ، فأدعو نفسي وإخواني إلى تعظيم كلام الله - عز وجل - لأن ذلك دليل على تقوى الله - عز وجل - ومراقبته كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] . وقد بلغ السلف الصالح في ذلك مبلغاً عظيماً .

● إبراهيم بن أدهم أحد الزهاد كان في أول حياته مسرفاً على نفسه في الخطايا والذنوب ، لكنه كان يحب الله ، بعض الناس يُسيء ولكنه يحبُّ الله . . يُذنب ولكنه يحبُّ الله ورسوله - نزل إبراهيم بن أدهم إلى السوق وهو مسرفٌ على نفسه فوجد ورقة قرطاس ملقاة على الأرض وقد كُتب فيها اسم الله - تبارك وتعالى - والناس يطئونها بأقدامهم ، وهم داخلون إلى السوق ، وخارجون ما يعلمون ، فأخذ القرطاس ، فنظر فإذا اسم الله فيه فبكى ، وقال : سبحان الله يهان اسمك هنا؟ لا والله ، فرفع هذه الورقة وذهب بها وطيبها ورفعها في بيته ، فلما أمسى سمع هاتفاً - وهذا ثابت عنه - يقول : يا مَنْ طَيَّبَ اسمَ الله وعظَّم اسمَ الله ليعظمنَّ الله اسمك . فهداه الله إلى التوبة النصوح ، فأصبح من زهاد الإسلام ومن عباد الإسلام الذين لما توفي اجتمعت مدينته في جنازته ألوقاً مؤلفة : الأمراء ، وقادة الجيش ، والفقراء ، والمساكين ، حتى وصلوا المقبرة وقد تقطعت أحييتهم من

كثرة الزحام، لأن من يعظّم الله يعظمه الله ومن يحتقر شيئاً من أسماء الله أو صفاته يحقره الله، ويذله الله ويفضحه الله - سبحانه وتعالى - .

● مما ينبغي أن ننبه عليه كذلك قضية السلام والتحية في الإسلام، وهي من تقديس وتعظيم هذا الدين، ومن معالمة التي نبه عليها القرآن: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ {النساء: ٨٦} . ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ {الأحزاب: ٤٤} .

وتحية الإسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فمن تعظيم الله ألا نستبدل في مجتمعاتنا تحية أخرى بتحية الإسلام، وقد سمعنا من إذا لقي الناس قال: صباح الخير وترك السلام، أو قال: كيف حالكم، حياكم الله، وهذه جائزة وواردة وطيبة ؛ ولكن بعد تحية الإسلام، بعد شعار الإسلام، نجد من الناس من يرفع الهاتف فلا يسلم ولا يرد السلام، وهذه أتت من عالم الخواجات، من عالم الوثنيات، من عالم الدعارة والانحطاط، ولم تأت من مكة أو المدينة من إرث محمد ﷺ . . تحيتنا السلام نسلم ونتقبل السلام ليبقى شعارنا شعار الإسلام؟

الله الله في المحافظة على شعائر السلام دخولاً وخروجاً واستئذاناً، وزيارة، لنبقى مسلمين، وهذه قضايا تطول وتطول . . ولعل الله أن يهيئ من الأوقات ما يسمح لنا بالتعرف على شعائر الإسلام التي ينبغي لنا أن نحافظ عليها، لتكون معظمين لله الواحد الأحد، معظمين للإسلام وعمق الإسلام، وثقافة الإسلام، ودين الإسلام.

● عباد الله:

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ {الأحزاب: ٥٦} . اللهم صلِّ وسلم على نبيك وحببيك محمد، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة، اللهم وفقنا في اتباع سنته، والسير على منهجه، اللهم ارض على أصحابه الأطهار، من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

■ ضوابط محبة الرسول ﷺ ■

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات: ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

ذكريات مع الرسول وشوق * * * يستثير الشجون منه الأجلا
 كلما مر ذكره في فؤادي * * * قال قلب المحب أهلاً وسهلاً

حبه ﷺ عبادة، حبه طاعة مفروضة، حبه إيمان وتصديق، يتقرب العبد به إلى الله الواحد الأحد.

● والناس في حبه ﷺ أقسام ثلاثة:

قسم: أحبه ﷺ، حباً عظيماً، حباً شرعياً، حباً مسنوناً على الكتاب والسنة.

وقسم: جفا عن حبه، وأعرض عنه، وعاداه، ونصب له الحرب الشعواء.

وقسم: غلا في حبه، حتى ضل الطريق، وربما خرج بذلك من الملة.

أما الذين جفوا عنه ﷺ ، فقوم أطفأ الله بصائرهم ، وأعمى أفئدتهم ، قوم ، جعلوه ﷺ حامل لواء الشر في العالم ، والمسئول الأول عن تخلف المسلمين !!

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [سورة الكهف ، الآية : ٥٠].

يأتي أحدهم ، وهو رجل معتوه ، فيصف الرسول عليه الصلاة والسلام بأنه رجعي ، وأنه بدوي متخلف ، أساء إلى العرب ، فهو لا يعرف علم الاجتماع ، ولا علم النفس ، ولا علم التربية ، ولا العمران . .

يا أيها المتكلم ، عليك لعنة الله ، أرسلنا ﷺ ، لا يعرف التربية ، ولا يعرف النفس ، وهو الذي خرج الناس ببعثته من الظلمات إلى النور ، ومن عبادة الحجر والشجر ، إلى عبادة الله الواحد الأحد ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة !؟

أتطلبون من المختار معجزةً * * * يكفيه شعبٌ من الأمواتِ أحياء
أبوك وجدك يا معتوه ، كانوا في مقابر الإلحاد ، وفي زنانات الشيوعية ، وفي مقابض البغي والعدوان ، حتى أخرجهم محمدٌ ، عليه الصلاة والسلام ، من الذل والمهانة ، إلى العزة والكرامة .

لا تَعَجِبَنَّ لِحَسودٍ راح ينكرها * * * تجاهلاً وهو عينُ الحاذقِ الفهم
قد تنكرُ العينُ ضوءَ الشمسِ من رمد * * * وينكرُ الفهمُ طعمَ الماءِ من سقمِ

وهذا دجال آخر يقول في كتابه : إن لأئمتنا مقاماً ، لا يصل إليه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل !! الأئمة عند هؤلاء ، أرفع قدراً ، وأكثر تأثيراً في العالم ، من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

أيُّ أئمة هؤلاء ، أئمة الطقوس ، والتمايم ، والشعوذة ، والسحر ، والرشوة ، وأكل أموال الناس بالباطل ، إنها الخيانة المطلقة ، والانسلاخ الواضح ، والضلال المبين .

وهذا شاعر الجنس والغرام والضياح ، عابد المرأة والكأس والأغنية ، لا رفع الله

شامته، ولا قبل حجته، تهكم بالشرعية، واستهزأ بالدين، وسخر من الرسالة الخالدة، بينما أتى هذا المجرم، إلى أحد الأصنام والطواغيت فقال له:

ملأنا لك الأقداح يا من بحبه * * * سكرنا كما الصوفي بالله يسكر
فأنت أبو الشورات أنت وقودها * * * وأنت لنا المهدي أنت المحرر

يقول هذا في رجل ضيع العرب والمسلمين، وتوالت علينا الهزائم والنكبات في عهده كالمطر.

ومن هؤلاء - ويا للأسف - أذئاب ونابتة، يوجدون في بلادنا، ويشربون ماءنا، ويستنشقون هواءنا، هم أهل الحداثة، ناصبوا محمداً، عليه الصلاة والسلام العداء، واستهزءوا بالقرآن، وسخروا بالسنة، وحاربوا شباب الصحوة المباركة، ووصفوهم بالتطرف، والتخلف، والرجعية، وأهل القرون الوسطى!!

● ونقول لهؤلاء، مرة، وثانية، وثالثة، ومائة، أشباب الصحوة هم أهل التطرف، أم أنتم يا دعاة الحداثة؟، يا من روجتم للفاحشة والزنا.

أنتم الذين صدرت المخدرات إلى بلادنا.

أنتم الذين جلبوا كتب إستالين، وماركس، ولينين.

أنتم الذين أركب إسرائيل على ظهورنا.

أنتم مخابرات الصهيونية العالمية، والشيوعية، والإلحاد، فلا تتكلموا، ولا تنطقوا بعد هذا أبداً.

● شباب الصحوة، هم أهل القرآن والسنة، شباب الصحوة هم أهل المساجد، هم أحفاد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، الذين دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه.

عَبَادُ لَيْلٍ إِذَا جَنَّ الظَّلامُ بِهِمْ * * * كَمْ عَابِدٍ دَمَعُهُ فِي الخُدِّ أَجْرَاهُ
وَأَسَدُ غَابٍ إِذَا نَادَى الجِهَادُ بِهِمْ * * * هَبُّوا إِلَى المَوْتِ يَسْتَجِدُّونَ رُؤْيَاهُ
يَا رَبُّ فابْعَثْ لَنَا مِنْ مِثْلِهِمْ نَفَرًا * * * يَشِيْدُونَ لَنَا مَجْدًا أَضْعَاهُ

• أما الفريق الثاني، ففريق غلا في حب الرسول ﷺ، حتى أخرجه هذا الغلو، من دائرة عباد الله الموحدين، إلى دائرة الشرك، والبدعة، والضلال المبين. فالرسول ﷺ عبد لله، لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، لا يشفي مريضاً، ولا يعافي مبتلى، ولا يرزق أحداً، وإنما هو عبد الله ورسوله. فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ * * * وأنه خيرُ خلقِ الله كلهم

• جاءه ﷺ وفد من بني عامر بن صعصعة، فقالوا: أنت سيدنا، فقال لهم النبي ﷺ: «السيدُ الله تبارك وتعالى» فقالوا: أنت أفضلنا فضلاً، وأعظمتنا طَولاً، فقال:

«قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجربنكمُ الشيطان»^(١).

• جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله جهدتُ الأنفُسُ، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق لنا، فإننا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك.

فقال رسول الله ﷺ: «ويحك!! أتدري ما تقول؟» وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح، حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «ويحك!! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأنُ الله أعظم من ذلك»^(٢).

• ويحذر النبي ﷺ من الغلو فيه فيقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، وإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله»^(٣).

• ويقول ﷺ في سكرات الموت: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»^(٤). هذا كلامه ﷺ، وهذا تحذيره من إطرائه، والغلو فيه.

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤/٤) رقم: (٤٨٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٢/٤) رقم: (٤٧٢٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٢/٤).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١٧٢/١) رقم: (٨٥) عن عطاء بن يسار مرسلأ، وأخرجه أحمد (٢٤٦/٢) عن أبي هريرة. قال الألباني في المشكاة (٢٣٤/١): وقد صحَّ موصولاً من حديث أبي هريرة. انظر: «تحذير الساجد» ص (١٧، ١٨).

أما القبوريون ، والمشعوذون من غلاة التصوف ، فما سمعوا كلامه ، وما التزموا أوامره ، حتى سلكوا في حبه طرقاً بدعية ، لا توصل إلا إلى غضب الله وسخطه .

يقول البرعي ، شاعر اليمن! صوفي ، قبوري ، غالٍ ، أتى إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة ، فوقف عند القبر يبكي ، ويطلب المغفرة من الرسول عليه الصلاة والسلام!! ويقول :

يا رسول الله يا مَنْ ذَكَرَهُ * * * في نهارِ الحشرِ رمزاً ومقاماً
فأقلني عشرتي يا سيدي * * * في اكتسابِ الذَّنْبِ في خمسين عاماً

سبحان الله! من الذي يقل العثرات إلا الله؟ ومن الذي يغفر الزلات إلا الله؟ ومن الذي يشافي ويعافي إلا الله؟

﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٢٣ .

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة الزمر ، الآيتان : ٦٥ ، ٦٦ .

إن هؤلاء الغلاة ، من المتصوفة القبوريين ، جعلوا محبته ﷺ ، نشيداً ، ورقصاً ، وطرباً ، وتمايلاً ، وشعوذة ، ومراسيم ما أنزل الله بها من سلطان .

أذهب إلى المدينة ، وانظر ماذا يفعلون في مسجد الرسول ﷺ ، يحمل أحدهم مسبحة ، لا يستطيع الحمار حملها!! ، لا يعرف من الإسلام شيئاً يأتي إلى القبر ، ويأخذ بالعد في مسبحته ويبكي ، ويتمسح بالجدران ، ويقبل الحديد ، وقد جهل السنّة ، وظن أن النبي ﷺ يغفر الذنوب ، ويشفي المرضى ، ويرفع الحاجات ، ويكشف الضرّ! وهذا فعله ، كفعل أبي جهل تماماً .

النبي ﷺ ، ميتٌ في قبره ، وقد حرم الله على الأرض أن تأكل جسمه ، لكنه لم يكن يملك لنفسه شيئاً في حياته ، فكيف يملك لغيره بعد وفاته؟!!

يأتي البوصيري ويقول

يا أكرم الرُّسُلِ مالي من ألوذ به * * * سواك عند حدوث الحادِثِ العمَمِ
 إن لم تكن في قيامي أخذاً بيدي * * * فضلاً وإلاً فقل يا زلة القدم
 ولن يضيق - رسول الله - جاهك بي * * * إذا الكريمُ تحلَّى باسمِ منتقمِ
 فإن من جودك الدنيا وضرتها * * * ومن علومك علم اللوح والقلم

فماذا أبقى البوصيري لله عز وجل؟ جل الله، وتعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ {سورة الكهف الآية ٥٥}.

لقد صرف هؤلاء الغلاة، الناس عن اتباع السنّة، بمثل هذا الكلام، الذي هو شرك صراح، فتجد أحدهم عند القبر، حليقاً، مسبلاً، يلبس الذهب، يلبس الحرير، مَغْنٌ، مطبل، مزمر، دينه التمسح بالقبور، يتبرك بقبر البدوي تارة، وبقبر السيدة زينب تارة، وبقبر عبد القادر الجيلاني تارة، لا يعرف قرآناً، ولا سنة، ومع ذلك يزعم أحدهم أنه أعظم ولي لله تعالى، وأنه أشد الناس حبا للنبي ﷺ!

* قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ {سورة المائدة الآية ١٧٢}.

أما الفريق الثالث، فهم أهل السنّة، قوم أنار الله بصائرهم، وفتح للحق قلوبهم، نسأل الله أن يرفع قدرهم، وأن يعلي منزلتهم، وأن يكثر سوادهم.

أحبوه عليه الصلاة والسلام وقالوا: عبد الله ورسوله، يبلغ عن الله، وهو أفضل الخلق، لكنه لا يكشف الضر، ولا يشفي المريض، ولا يجيب السائل؛ لأنه لا يملك ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

أحبوه عليه الصلاة والسلام، لأن جبه كحلّ للعينين، وبلسم للأرواح، وتشنيف للأذان، وتضويح للمجالس، وطيب للأنوف. يقول عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٩/١)، ومسلم (١/٦٧)، رقم (٤٤).

ولذلك فإن أهل السنة ، يحبونه ﷺ حباً جماً ، حباً شرعياً ، حباً حقيقياً .
 الإمام مالك ما ركب دابة في المدينة احتراماً لثرى دفن فيه محمد ﷺ .
 يا من تَضَوُّع طيب القاع أعظمه
 فطاب من طيب ذاك القاع والأكرم
 نفسي الفداء لقبير أنت ساكنه
 فيه العفاف وفيه الجود والكرم

يقرأ الإمام مالك كتابه «الموطأ» في أحاديث الرسول ﷺ ، فتلدغه العقرب ثلاث عشرة مرة ، فلا يقطع الحديث ، فيقول له الناس : يا إمام ، رأينا وجهك تغير مرات كثيرة وأنت في المجلس ، فقال : لدغتنني عقرب وأنا أقرأ الحديث ، قالوا : فلم لم تقطع الحديث ؟ قال : استحييت أن أقطع حديث رسول الله ﷺ من أجل نفسي !!

يُسأل سعيد بن المسيب - رحمه الله - عن حديث ، وهو في سكرات الموت ، فيقول : أجلسوني . قالوا : أنت مريض . قال أجلسوني ، كيف أسأل عن كلام الحبيب ﷺ وأنا مضطجع !

• يحدث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ ، فيقول : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها » ، فقال بلال ابنه : والله لنمنعن ! قال سالم : فأقبل عليه عبد الله ، فسبه سباً سيئاً ، ما سمعته سبه مثله قط . وقال : أخبرك عن رسول الله ﷺ ، وتقول : والله لنمنعن ! وفي رواية : فضرب عبد الله في صدره ، وقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ ، وتقول : لا (١) .

هذا هو حب الرسول ﷺ ، حبه عليه الصلاة والسلام طاعته ، حبه عليه الصلاة والسلام اتباعه ، حبه عليه الصلاة والسلام تعظيم سنته ، وتحكيم شريعته .

(١) أخرجه مسلم (١/٣٢٧، ٣٢٨) رقم : (٤٤٢) .

أما الذين لا يقيمون للسنة وزناً، ولا للشريعة كياناً، فليس لهم من حبه ﷺ نصيب.

كيف لا يحب أهل السنة محمداً عليه الصلاة والسلام، وقد أحبه الجماد، وبكى لفراقه، وشكى إليه الحيوان ما يجده من الظلم، وأهل السنة يروون ذلك.

● كان ﷺ يقوم يوم الجمعة يخطب إلى جذع شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله، ألا نجعل لك منبراً؟ قال: «إن شئتم» فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة، صعد على المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ، فضمه إليه، تثن أنين الصبي الذي يسكن. قال: «كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها»^(١).

سمع ذلك أكثر من ألف من الصحابة، فكيف لا يحب أهل السنة محمداً ﷺ!؟

● وفي حديث عبد الله بن مسعود قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة^(٢) معها فرخان، فأخذنا فرخيهما، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش^(٣) فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها»^(٤).

جاءت إليك حمامة مشتاقة

تشكو إليك بقلب صب واجف

من أخبر الورقاء أن مقامكم

حرم وأنك منزل للخائف

(١) أخرجه البخاري (١٧٣/٤).

(٢) حمرة: بضم الحاء وفتح الميم المشددة - طائر صغير كالعصفور.

(٣) تفرش: أي ترفرف بجناحها شاكية.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٥/٣) رقم: (٢٦٧٥)، وأخرجه أيضاً (٣٦٧/٤) رقم: (٥٢٦٨).

• يدخل النبي ﷺ مزرعة لأحد الأنصار، فإذا جَمَلَ، فلما رأى النبي ﷺ، حَنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ، فمسح ذفراه^(١) فسكت، فقال: «من ربُّ هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟» فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكى إليَّ أنك تجيئه، وتُدبُّه»^(٢).

هذا هو حبه ﷺ، الذي شمل الإنسان والحيوان والجماد، فكيف لا يحبه أهل السنة، هذا من أسخف الزعم وأبين الكذب.

هذا ولحبه عليه الصلاة والسلام علامات، وصفات، ومؤهلات، نعرض لها في الخطبة الثانية إن شاء الله.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العزيز الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.



(١) ذفراه: مثنى ذفرئ، وهو العظم الشاخص خلف الأذن.

(٢) تدبُّه: تتعبه. والحديث أخرجه أبو داود (٢٣/٣) رقم: (٢٥٤٩).

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المتقين وقدوة الناس أجمعين
وعلى آله وصحبه والتابعين

● عباد الله:

إن من ادعى شيئاً طولب بالبينة فإذا لم يأت بها فهو كاذب

والدعاوي ما لم يقيموا عليها * * بينات أصحابها أذعياء

قال تعالى ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية ١١١] وقد
ادعى نفر من الناس، وفنم من البشر، محبة الرسول ﷺ، فطولبوا بالبينة فلم
تكن لهم بينة ولو أعطى الناس بدعواهم لادعى الخليل حُرقة الشجى، ولذهب
قوم بأموال قوم وبدمائهم لكن جعل الله البينة على المدعي واليمين على من
أنكر.

﴿ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ﴾ [سورة الأنعام الآية ١٤٨]

وقوم من أهل السنة تابعوا الرسول عليه الصلاة والسلام ووافقوا معه
وحكّموا شريعته وقدموا سنته ولا يطلب من الإنسان أن يكون نسخة مكررة من
النبي ﷺ؛ لأن ذلك محال ولأن النقص من طبيعة البشر، «إذا بلغ الماء قلتين
لم يحمل الخبث»^(١).

أما هؤلاء الذين يدعون المحبة والقربة ثم تنظر في أحوالهم فتجدهم لا
سلوك ولا عبادة ولا استقامة ولا خشوع إنما هو القول باللسان فقط
ويشهد الله على ما في قلبه أنه كذب ودجل، وخرافاً

(١) حديث صحيح أخرجه أبو داود (١٧/١) رقم (٦٣). والترمذي (٩٧/١) رقم (٦٧) والنسائي (٤٦/١)
رقم (٥٢) وغيرهم. وصححه محدثا الديار المصرية والشامية أحمد شاكو كما في «سنن الترمذي»
(٩٨/١) ومحمد ناصر الدين الألباني كما في «إرواء الغليل» رقم (٢٣).

إن نفرًا من اليهود زعموا محبة الله عز وجل ، إلا أنهم لا يتبعون النبي ﷺ ، فأنزل الله تبارك وتعالى قوله : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ٣١] . فخرسوا ، وما قامت لهم قائمة .

فمن علامات حبه ﷺ : اتباع سنته ، واقتفاء طريقته ، والسير على هديه ، فمن لم يتبع سنته ﷺ ، قولاً ، وعملاً ، وسلوكاً ، وحالاً ، وظاهراً ، وباطناً ، وسراً ، وعلانية ، فهو من أكبر الكذابين ، وهو من أعظم الدجاجلة ، إذا ادعى محبة الرسول عليه الصلاة والسلام ، فمثل هذا لا تسمع له ولا تلتفت إليه ، واعلم أنه خائن للشريعة ، لا ينظر الله إليه يوم القيامة ، ولا يزيه ، وله عذاب أليم .

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] . ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ومن علامات حبه ﷺ : الشوق إليه ، والحنين إلى رؤياه ، والمساغة إلى تنفيذ أوامره ، ولو كلف ذلك فقد النفس والمال والولد .

ذكر ابن القيم وغيره من أهل العلم^(١) ، أن النبي ﷺ ، أتى لينحر هديه في حجة الوداع ، فأخذ الحربة ؛ لينحر النوق وكانت مائة ، فأخذت تتسابق إليه أيتها ينحر أولاً !! حبُّ يكلف النفس ، ولكن لا ضير ما دام المحبوب محمداً ﷺ .

● وهذا الحب عرفه الصحابة رضوان الله عليهم ، عرفه الصديق ، يوم هاجر مع النبي ﷺ ، فأخذ يمشي أمامه تارة ، وخلفه تارة ، وعن يمينه تارة ، وعن شماله تارة ، حتى إذا كان هناك شيء أو خطر أصابه هو ، ولم يُصَب النبي ﷺ بشيء !!

● وذكر ابن كثير في تفسيره ، عن ابن جرير الطبري قال : جاء رجل من

(١) انظر : «زاد المعاد» (٢/ ٢٦١) ، وانظر الرواية عند أبي داود (٢/ ١٤٩) رقم : (١٧٦٥) . وجسود إسنادها الأرنؤوط .

الأَنْصَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُحْزُونٌ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا فُلَانُ، مَا لِي أَرَاكَ مُحْزُونًا» فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، شَيْءٌ فَكَّرْتُ فِيهِ، فَقَالَ: «مَا هُوَ؟» قَالَ: نَحْنُ نَعْدُو عَلَيْكَ وَنُرُوحُ، نَنْظُرُ إِلَى وَجْهِكَ، وَنَجَالِسُكَ، وَغَدَاً تَرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ، فَلَا نَصَلَ إِلَيْكَ، فَلَمْ يَرِدْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَنَزَلَ جَبْرِيْلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء، الآية: ٦٩]. فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ فَبَشَّرَهُ^(١).

● يَأْخُذُ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَيَقُولُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ الْآنَ وَاللَّهِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»^(٢)، أَي الْآنَ اسْتَكْمَلْتَ الْإِيمَانَ.

وَمِنْ عِلَامَاتِ حُبِّهِ ﷺ: عَدَمُ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى شَرِيعَتِهِ، أَوْ الْإِسْتِهَانَةِ بِشَيْءٍ مِنْ سُنَّتِهِ؛ كِمَا طَافَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، أَوْ تَقْصِيرِ الثِّيَابِ، أَوْ إِعْفَاءِ اللَّحِيَةِ، أَوْ الْأَكْلِ بِالْيَمِينِ، أَوْ الشَّرْبِ جَالِسًا، أَوْ دَخُولِ الْمَسْجِدِ بِالْيَمَنِ، وَالخُرُوجِ بِالْيَسْرَى، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْ اسْتِهْزَاءِ بِشَيْءٍ مِنْ سُنَّتِهِ ﷺ، بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّهَا سُنَّةٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ كَافِرٌ، حَلَالُ الدَّمِ.

﴿قُلْ أَيْدِي اللَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة، الآيات: ٦٥، ٦٦]. ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء، الآية: ٦٥].
﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النون، الآية: ٦٣].

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤٩٥/١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٧): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح، غير عبد الله بن عمران العابدی، وهو ثقة.
(٢) أخرجه البخاري (٢١٨/٧).

ومن علامات حبه ﷺ : كثرة الصلاة والسلام عليه، فالصلاة عليه نور، وإيمان، وبرهان لك عند الله يوم القيامة، فضع بها مجلسك، وعطر بها لسانك، ونور بها قلبك.

نسينا في ودادك كلَّ غالٍ
فأنت اليومَ أغلى ما لدينا
نُلامُ على محبتكم ويكفي
لنا شرف نلامٍ وما علينا
ولمَّا نلقُكم لكنَّ شوقًا
يذكِّرنا فكيف إذا التقينا؟!
تسلى الناسُ بالدنيا وإنَّا
لعمراً لله بعدك ما سلينا

• يأتي أبي بن كعب إلى النبي ﷺ ، فيقول : يا رسول الله ، إنني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي - يعني من دعائي - فقال: «ما شئت» قلت: الربع؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خيرٌ لك». قلت: النصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خيرٌ لك». قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ، وَيُعْفِرَ لَكَ ذَنْبَكَ» (١).

فأحسن الدعاء، ما مزج بالصلاة والسلام عليه، فصلى الله وسلم وبارك عليه، ما تعاقب الليل والنهار، وما سالت بوجه الأرض الأنهار، وما تهطلت من السماء الأمصار، وما فاحت في ربها الأزهار، وما ذكره الذاكرون، وما غفل عن ذكره الغافلون.

• أيها الناس:

صلوا عليه، وأحيوا ذكره بالصلاة عليه، واتباع سنته، ونشرها في الناس؛

(١) أخرجه الترمذي (٥٤٩/٤) رقم: (٢٤٥٧) وقال: حسن صحيح.

تعليمًا ، وتدريسًا ، وفتيا ، ودعوة ، وتبليغًا ، وأمرًا بالمعروف ، ونهيًا عن المنكر .
 • قال عليه السلام : «بلغوا عني ولو آية»^(١) .

• وقال عليه السلام : «نصر الله امرئ سمع منا حديثًا فحفظه، حتى يبلغه، فرب حامل

فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه»^(٢) .

فكتمان العلم ، وعدم نشره في الناس ، والبخل به ، من شيم بني إسرائيل ،
 وهم قوم غضب الله عليهم ولعنهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ
 بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٥٩] .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ لِآيَاتِنَا وَلِتُبَيِّنَهُمْ لَكُمْ وَرَأَىٰ ظُهُورَهُمْ
 وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّضُوا مَا بَيَّنَّاهُمْ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٨٧] .

هذه بعض علامات حبه عليه الصلاة والسلام ، وإنما أفردنا أهل السنة
 بحبه عليه السلام ، لأنهم الذين أحبوه المحبة الشرعية ، أما الغلاة والجفأة ، فليسوا من
 أحبابه عليه السلام ، وليسوا من أتباعه عليه الصلاة والسلام ، وإن زعموا ذلك بألسنتهم ،
 قال تعالى : ﴿ وَتَعَرَّفْنَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [سورة محمد : ٣٠] .

• عباد الله :

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
 وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

• ويقول عليه السلام : «من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشراً»^(٣) .

اللهم صلِّ على نبيِّك وحبيبك محمد ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه
 الساعة المباركة يا رب العالمين ، وارض اللهم عن أصحابه الأطهار ، من المهاجرين
 والأنصار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

(١) أخرجه البخاري (١٤٥/٤) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢/٣) رقم : (٣٦٦٠) ، والترمذي (٣٣/٥ ، ٣٤) رقم : (٢٦٥٧) . وقال : حسن صحيح ،

ورقم (٢٦٥٨) . وصححه الألباني كما في «مشكاة المصابيح» (٧٨/١) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم : (٣٨٤) .

■ الباحثون عن الحقيقة ■

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار

● أيها الناس :

إن أكبر قضية في حياة المسلم وفي حياة الإنسان هي قضية البحث عن الهداية قضية معرفة الله سبحانه وتعالى قضية توحيد الله عز وجل فله أكبر فلا أكبر من الله، ولا إله إلا الله، ولا إله غير الله .

اللَّهُ ربي لا أريد سواه * * * هل في الوجود حقيقة إلا هو
 قد ضلّ من يرجو سواه وأفلست * * * من كل خير في العالَميناه

* يقول عز من قائل ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لِتَنبِذُوا أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ {سورة الأنعام الآية ١٩}

ولذلك كانت هذه القضية، هي القضية الكبرى، التي بحثها الإسلام، والتي أرسى قواعدها، وأقام الأدلة عليها.

فأين الباحثون عن الحقيقة، وأين الملتمسون للهداية، وأين المتطلعون إلى معرفة الله سبحانه وتعالى؟.

نحن اليوم مع بعض أولئك النفر الصالحين، مع المتلمسين للهداية، مع الباحثين عن الحقيقة، وفي مقدمتهم، وفي أولهم؛ سلمان الفارسي - رضي الله عنه - وأرضاه - سلمان ابن الإسلام، الذي لما اجتمع مع نفر من العرب، فأخذ كل واحد منهم يفتخر بنسبه، فهذا يقول: أنا قرشي، وذلك يقول: أنا قيسي، وآخر يقول: أنا تميمي، أما سلمان - رضي الله عنه - فقال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه * * * إذا افتخروا بقيس أو تميم

هو لا يعرف إلا الإسلام، ولا ينتسب إلا إلى الإسلام، وأكرم به من نسب.

نسبٌ كأن عليه من شمس * * * نوراً ومن فلَقِ الصباح عموداً

فولاية الله عز وجل، لا تنال بالنسب وإن اقترب، وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح، فمن كان أكمل إيماناً وعملاً، فهو أعظم ولاية، سواء كان له نسب قريب، أو لم يكن.

لعمرك ما الإنسان إلا بدينه * * * فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس * * * وقد وضع الشرك النسب أباً لهب

أتى سلمان من أرض فارس، من وراء النهر، يلتمس الهداية، يطلب النور، يريد الحقيقة، وأبو جهل، وأبو لهب، وأبو طالب عند الركن اليماني، والحجر الأسود، يبغضون لا إله إلا الله، ويعادون لا إله إلا الله، ويكيدون لـ: «لا إله إلا الله».

وانظر إلى قدر الله، وهداية الله، واصطفاء الله، كيف يقود الله سلمان من

وراء جبال «سيحون وجيحون» ليكون من حماة الإسلام؟! وكيف يطرد الله هؤلاء الشرذمة الحاقدة، وهم عند الحجر الأسود والركن اليماني، فيموتون على الكفر والضلال!!

كان سلمان يعبد النار من دون الله تبارك وتعالى، يتخذها إلهًا، ويتقرب إليها بإيقادها وإشعالها!

وأصبح عابد النيران قدمًا * * * حماة البيت والركن اليمان يحكي سلمان قصته فيقول: كنت مع أبي، وكان أبي من سدنة النار للمجوس، يوقدها لهم، ولا يتركها تخبو ساعة، فأمرني أبي ذات يوم أن أذهب إلى ضيعته فأطلعها، وأمرني فيها ببعض ما يريد. فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم، ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام.

وعدت إلى أبي في المساء، فسألني أين كنت؟ فأخبرته الخبر، فحبسني، ووضع الحديد في رجلي - لأنه خاف أن أرتد عن دين المجوسية، وهكذا حماس أهل الباطل، فأين حماس أهل الحق؟ .

وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم، قال: فأخبروني بقدمهم، فلما أرادوا العودة إلى بلادهم، ألقيت الحديد من رجلي، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علماء؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة، فجئته فقلت له: إنني قد رغبت في هذا الدين، وأحببت أن أكون معك، وأخدمك في كنيستك، وأتعلم منك، فأصلي معك، قال: ادخل، فدخلت معه، فكان رجل سوء؛ يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا له شيئًا، كثره لنفسه، ولم يعطه المساكين!، حتى جمع

سبع قلال؛ من ذهب، وورق. قال: وأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات.

واجتمعت له النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجلاً سوء؛ يأمركم بالصدقة، ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها، كنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئاً. فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ فأريتهم كنزه، فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوها قالوا: لا ندفنه أبداً، فصلبوه، ورجموه بالحجارة، وجاءوا برجل آخر، فوضعوه مكانه. قال سلمان: فما رأيت رجلاً أفضل منه، فأحبته حباً شديداً، فأقمت معه زماناً، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: إني قد كنت معك، وأحببتك حباً شديداً، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ فقال: أي بني، والله ما أعلم اليوم أحداً على ما كنت عليه إلا رجلاً بالموصل وهو فلان، وهو على ما كنت عليه، فالحق به. قال: فلما مات وغيب، لحقت بصاحب الموصل، فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصى بي إليك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصي بي، وبم تأمرني؟ قال: يا بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه، إلا رجلاً بنصيبين، وهو فلان فالحق به، فلما مات وغيب، لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته خبري، وما أمرني به صاحباي، فقال أقم عندي، فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فوالله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له: يا فلان، إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إليك، فإلى من توصي بي، وبم تأمرني؟ قال يا بني، والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا، أملك أن تأتيه إلا رجل بعمورية من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فائته فإنه على أمرنا، فلما مات وغيب، لحقت بصاحب عمورية، فأخبرته خبري، فقال أقم عندي، فأقمت عند خير رجل، قال: ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت: بم تأمرني، وإلى من توصي بي؟

قال: أي بني، والله ما أعلم أحداً على مثل ما كنا عليه أمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب، يهاجر إلى أرض ذات نخل بين حرتين، به علامات لا تخفى؛ يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. قال: ثم مات وغيب، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث.

● عباد الله:

إنها رحلة طويلة شاقة، قضاها سلمان، وهو يبحث عن الحقيقة، يقطع المفاز، ويعبر القارات، ليصل إلى الدين الحق، وقد عاش سلمان - كما قال أهل التاريخ - ثلاثمائة سنة، في المجوسية، والنصرانية، والإسلام، فهو شيخ مجرب، ورجل مخضرم، استقرأ الحوادث والوقائع والأيام، وخرج بنتيجة واحدة، وهي أن الإسلام هو الدين الصحيح الذي رضيه الله تعالى للناس.

ولم تنته رحلة سلمان بعد، ولكنه اقترب من الحقيقة، بعد أن هداه صاحبه الرابع إلى نبي سيخرج في أرض العرب، قد أظل زمانه.

وتبدأ الرحلة من جديد للوصول إلى هذه الأرض البعيدة، يقول سلمان: ثم مر بي نفر من «كلب» تجار، فقلت لهم: أحملوني إلى أرض العرب، وأعطيتكم بقراتي هذه، وغنيمتي هذه - وكان سلمان قد اكتسب في عمورية فحصل بعض الأموال من البقر والغنم - قال: فأعطيتهموها وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى، قريباً من المدينة، ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عبداً!! وانظر إلى عناية الله، كيف يقربه تبارك وتعالى من المدينة:

قال سلمان: فكنت عند هذا اليهودي، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي.

فبينما أنا عنده، إذ قدم ابن عم له، من بني قريظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة!! فوالله ما هو إلا أن رأيتها، فعرفتُها بصفة صاحبي لها،

فأقامت بها ، وبعث رسول الله ﷺ ، فأقام بمكة ما أقام ، ولا أسمع له بذكر ، مما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة ، وبيننا أنا في رأس نخلة لسيدي أعمل ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له ، حتى وقف عليه ، فقال : يا فلان ، قاتل الله بني قيلة - وبني قيلة هم الأنصار - إنهم لمجتمعون الآن بقباء على رجل قدم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبي . قال سلمان : فلما سمعتها أخذتني الرعدة ، حتى ظننت أنني ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة ، فجعلت أقول لابن عمه : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ فغضب سيدي ، فلكمني لكمة شديدة ، ثم قال : ما لك ولهذا ؟ أقبل على عملك

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ

فزعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ

حتى إذا لم يدع لي صدقه كذباً

شَرِقتُ بالدمع حتى كادَ يَشْرِقُ بي

قال سلمان : وقد كان عندي شيء جمعته ، فلما أمسيت أخذته ، ثم ذهبت إلى رسول الله ﷺ - وهو بقباء - فدخلت عليه ، فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : «كلوا» وأمسك يده فلم يأكل . فقلت في نفسي : هذه واحدة .

ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم جئته وقلت له : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية ، أكرمتك بها . قال : فأكل رسول الله ﷺ منها ، وأمر أصحابه ، فأكلوا معه . قال : فقلت في نفسي : هاتان ثتان . قال : ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببيقع الغرقد ، قد تبع جنازة رجل من أصحابه ، وعليه شملتان ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدبرته أنظر إلى ظهره ، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رأني

رسول الله ﷺ استدبرته ، عرف أنني أستثبت في شيء وصف لي ، فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فعرفته ، فأكبت عليه أقبله وأبكي ، فقال لي رسول الله ﷺ : «تحول» فتحولت بين يديه ، فقصصت عليه حديثي وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

وشغل سلمان الرق ، فلم يشهد مع رسول الله ﷺ غزوتي بدر وأحد ، ثم أمره الرسول ﷺ بالمكاتبة ، وأعانها ، وأمر الصحابة أن يعينوه حتى عتق . قال : فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حراً ، ثم لم يفتني معه مشهد^(١) .

وصل سلمان الفارسي إلى الحقيقة ، وسار في طريق الهداية ، بعد رحلة مضنية شاقة ، لا تتحملها النفوس ، ولا تصبر عليها الأبدان ، فتوجه رسول الله ﷺ بتاج «سلمان منا آل البيت»^(٢) .

فهو من أهل البيت نسباً في التقوى ، وهو من أهل البيت سلالة عريقة في النجابة ، وفي النبل ، وفي الجهاد ، وهو من أهل البيت في العبادة ، والظهارة ، والزاهة . ولذلك كان من أصدق الناس مع رسول الله ﷺ .

والذي يحرص على الهداية ، ويلتمسها ، ويبحث عنها ، ويدعو الله سبحانه وتعالى أن يهديه إلى سبيلها ، يوفقه الله إليها ، ويطلعها عليها ، ويقربه منها وإن كان بعيداً .

والذي يعرض عن الهداية ، ولا يحرص عليها ، ولا يسأل الله إياها ، يطبع الله على قلبه ، وينسيه ذكره ، ويجعل الشيطان يستحوذ عليه ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة الصف ، الآية : ٥] .

● ويقول عز من قائل : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٢٣] .

(١) انظر : البداية والنهاية «(٢/٢٨٩ - ٢٩١)» .

(٢) أخرجه الطبراني والحاكم عن عمرو بن عوف . قال الالباني ضعيف جداً ، وقد صح موقوفاً عن علي بن أبي طالب . انظر ضعيف الجامع رقم : (٣٢٧٢) .

فيا مَنْ يريد الهداية، ابحث عنها، تلمسها، اسأل الله طريقها، وسوف تجدها، لأن الهداية لا تتعلق بنسب، ولا بمنصب، ولا بمال، ولا بجاه، ولكن إذا نظر الله إلى قلوب العباد، فرأى قلباً يستحق الهداية، قرب الله إليه هدايته، وأعطاه، واجتباها، واصطفاه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت، الآية ٦٩].

● ورجل آخر، ورائد ثانٍ من رواد الحقيقة، ومن الباحثين عن النور، إنه «الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه» .

كان الطفيل يعيش في جبال «السراة» وكان سيداً مطاعاً شريفاً في دوس .

قدم من «السراة» من جبال «زهران» إلى مكة للتجارة، فاجتمع به كفار قريش، وخافوا عليه من الإسلام، فحذروه من رسول الله صلوات الله عليه وآله، ونهوه أن يجتمع به، أو يستمع كلامه، قالوا يا طفيل، أنت سيد في قومك، وعندنا رجل كاهن ساحر، إذا سمعت كلامه، فرق بينك وبين زوجك وأولادك، وسحرك . قال: فوالله ما زالوا بي، حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه، حتى جعلت القطن في أذني، فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله.

قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله صلوات الله عليه وآله يصلي عند الكعبة . قال: فقمتم قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله . قال: فسمعت كلاماً حسناً . فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؛ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته . قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صلوات الله عليه وآله إلى بيته، فدخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفونني حتى سددت أذني بكرسف^(١)؛ لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعت قولاً حسناً، فاعرض عليّ

(١) الكرسف: هو القطن.

أمرك. قال: فعرض عليَّ رسول الله ﷺ الإسلام، وقرأ عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية، تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه. فقال: «اللهم اجعل له آية» قال: فذهبت إلى قومي، حتى إذا أقبلت عليهم، فإذا نورٌ قد وقع بين عيني مثل المصباح. فقلت: اللهم في غير وجهي، فإنني أخشى أن يظنوا بي مُثَلَّة وقعت في وجهي لفراقي دينهم. قال: فتحول النور، فوقع في رأس سوطي. قال: فجعل الحاضرون يتراءون ذلك النور في رأس سوطي كالقنديل المعلق.

فلما وصلت إليهم، أتاني أبي - وكان شيخاً كبيراً - فقلت: يا أبي، أنت مني حرام، وأنا منك حرام، قال: ولم يا بني؟ قلت: لقد أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ.

قال: أي بني، فديني دينك، وشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. قال: ثم أقبلت صاحبتني، فقلت لها مثل الذي قلت لأبي، فأسلمت. قال: ثم خرجت على قومي فدعوتهم إلى الإسلام، فأبطئوا عليّ، وأعرضوا عني، فجيئت إلى رسول الله ﷺ بمكة، فقلت: يا رسول الله، إني قد غلبني على دوس الزنا، فادع الله عليهم. قال: فرفع الرسول عليه الصلاة والسلام يديه، واستقبل القبلة، فقلت في نفسي: هلكت دوس، هلكت دوس، هلكت دوس. فقال ﷺ: «اللهم اهد دوساً، اللهم اهد دوساً، اللهم اهد دوساً» ثم قال: «ارجع إلى قومك فادعهم، وارفق بهم» نعم! إنه الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، إنه الرؤوف الرحيم ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٢٨].

قال الطفيل: فلم أزل بأرض دوسٍ أدعوهم إلى الإسلام، حتى أسلموا كلهم عن بكرة أبيهم، وشهدوا شهادة الحق.

واستأذن الطفيل رسول الله ﷺ أن يحرق ذا الكفين - وهو صنم لعمر بن حممة - فأذن له، فخرج إليه الطفيل، فجعل يوقد عليه النار ويقول:

يا ذا الكَفَيْنِ لستُ من عبادكَا * * * ميلادُنا أقدمُ من ميلادكَا

إني حَشَوْتُ النارَ في فؤادكَا

ويستمر الطفيل بن عمرو على وفائه وإسلامه وجهاده، بعد أن ارتد كثير من العرب، وخرج مع المسلمين لمطاردة المرتدين، حتى فرغوا من طليحة، ومن أرض نجد كلها، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة؛ لمطاردة الدجال الكذاب مسيلمة، وكان معه ابنه عمرو بن الطفيل، فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة، فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا، فاعبروها لي؛ رأيت أن رأسي حلق، وإنه خرج من فمي طائر، وأنه لقيتني امرأة، فأدخلتني في فرجها، وأرى ابني يطلبني طلباً حثيثاً، ثم رأيت حُبس عني! قالوا: خيراً. قال: أما أنا، والله فقد أولتها، قالوا ماذا؟ قال: أما حلق رأسي، فيقطع. وأما الطائر الذي خرج من فمي، فروحي. وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها، فالأرض تحفر لي، فأغيب فيها. وأما طلب ابني إياي، ثم حبسه عني، فإني أراه سيجتهد أن يصيبه ما أصابني.

وابتدأت المعركة، وقتل الطفيل بن عمرو شهيداً في سبيل الله، ومن أجل لا إله إلا الله، وجرح ابنه جراحة شديدة، ولكنه لم يمت، ثم قتل عام اليرموك - زمن عمر - شهيداً - رحمه الله - ﴿^(١) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩، ١٧٠].

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٣/٩٧، ٩٨). قال ابن كثير: هكذا ذكر محمد بن إسحاق قصة الطفيل بن عمرو مرسله بلا إسناد. ثم ذكر ابن كثير لها شواهد عند الإمام أحمد.

• أيها الناس:

من أراد الله عز وجل ، والدار الآخرة ، وفقه الله إليه ، ودلّه على طريقه ، ويسر له سبيل الاستقامة .

ومن أعرض عن الله ، واستغنى عنه تبارك وتعالى ، حرمه الله الهداية ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعله من الأشقياء ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [النور، الآية: ٣٥] .
يوفق الله لهدايته من يشاء ، يمنح الله عطاءه لمن يشاء .

فيا أيها الجيل المسلم ويا أيتها الأمة المباركة . ويا أيها المؤمنون الصادقون ، هلموا إلى الهداية ، سابقوا إلى النور والاستقامة ، سارعوا إلى مغفرة من ربكم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم، الآية: ٦] .

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ، وجميع المسلمين ، من كل ذنب ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو الغفور الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وحجة الله على الناس
أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

● أما بعد:

إن الهداية إلى الطريق المستقيم، أعظم النعم التي امتن الله بها على العبد،
لأن الله عز وجل، حجب هذه الهداية عن ملايين من البشر، فلم يوفقهم إليها،
ولم يهدم سبلها، ولم يقربهم من طرقها.

وللهداية أسباب وعلامات ودلائل، تحصل الهداية غالباً لمن تعرض لأسبابها،
ولمن تلبس بدلائلها وعلاماتها.

ومن أعظم أسباب الهداية: الاعتناء بكتاب الله عز وجل؛ تلاوة، وسماعاً،
وتدبراً، وعملاً بأحكامه وآدابه، فإن الله ذمّ قوماً فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد، الآية: ٢٤]. فهذا القرآن من أعظم أسباب الهداية ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٩]. وهذا القرآن من أعظم أسباب الشفاء والرحمة ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٨٢]. فمن لم يهتد بالقرآن فلا هداه الله، ومن لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله.

ومن أسباب الهداية أيضاً: تعظيم سنة المصطفى ﷺ، والاهتداء بهديه،
والاستنارة بنوره، والتخلق بأخلاقه، وعدم التقدم عليه؛ برأي، ولا مذهب، ولا قول، ولا فكرة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢١].

ومن أسباب الهداية: كثرة ذكر الله، وكثرة الدعاء والابتهال إلى الله الحي القيوم؛ أن يثبتك على الطريق المستقيم، وأن يريك الحق حقاً ويرزقك اتباعه، وأن يريك الباطل باطلاً ويرزقك اجتنابه، وأن يصلح بنيك وبناتك وأهل بيتك.

ومن أسباب الهداية أيضاً: التقرب إلى الله عز وجل بالنوافل، بعد أداء الفرائض، لقول الله عز وجل في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإن أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» (١).

وأما موانع الهداية، أو الأسباب التي تحول بين العبد وبين الهداية، فهي كثيرة أيضاً، نذكر بعضاً منها.

● السبب الأول: الخُبث: خبث النفس، فإن بعض الناس، مُعرض عن الله، لا يريد الله، ولا الدار الآخرة، لا يذكر الله، ولا يقرأ كتاب الله، ولا ينظر في حديث رسول الله ﷺ، فإذا ذكر الله في مجلس، أو ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام، اشتمأ قلبه، واحمر وجهه، وساء حاله، فنعوذ بالله من هذا الخبث ﴿وَأِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ * اشْتَمَأَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٤٥]. وقد يقول قائل من هؤلاء الأغبياء؟ إنني لا أكذب الرسول ﷺ، ولكنني لا أتبعه، فلا أكذبه ولا أصدقه. فنقول: كذبت يا عدو الله، فعدم اتباعك للرسول ﷺ تكذيب برسالته، وطعن في نبوته؛ ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُتْدِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الاحقاف، الآية: ٣].

فما صرف الله من صرف عن الهداية، وما أضل الله من أضل، إلا لأنهم لا يريدون إلا الضلال، ولا يريدون إلا الكفر والإعراض. ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة الانفال، الآية: ٢٣].

(١) أخرجه البخاري (٧ / ١٩٠).

● السبب الثاني: مرض الشبهة والشك والإلحاد: وهو الذي ابتلي به كثير من شبابنا، حتى صار يشك في القدرة، ويشك في الإيمان، ويشك في الرسول ﷺ، وقد حوربنا بهذا المرض الخطير في هذه الفترة، وهي حرب شعواء، أعظم وأشد من حرب الطائرات والصواريخ؛ إنها حرب الإلحاد، حرب الرأي العفن المتخلف، رأي ماركس ولينين وإستالين، الذين اجتاحتوا المعمورة بهذا التخلف والعفن، واجتاحوا به أيضاً كثيراً من البلاد الإسلامية، فنشروا الشكوك، وأبرزوا الشبهات، واستخدموا كل وسيلة للدعوة إلى باطلهم وكفرهم، حتى ألد كثير من الناس وتركوا دينهم، وانصرفوا عن المسجد وتلاوة القرآن إلى جهنم وساءت مصيراً.

● ولكن الله عز وجل يقول: ﴿فَأَمَّا الزُّبَيُّدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [الرعد الآية: ١٧]. فانتقم الله عز وجل منهم، وأزال دولتهم، ومحاهما من الوجود، ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة، الآية: ٢٨].

● والسبب الثالث: مرض الشهوة: وهو التهالك، والتزاحم، والتقاتل، على الحطام.

فكثير من الناس، لا يعرف شيئاً في حياته، إلا أنه يجمع المال، ولا نقول إن جمع المال حرام؛ بل هو مطلوب، وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم من أغنى الأغنياء، ولكن الحرام أن يعبد الإنسان المال من دون الله، أو أن يشغله عن طاعة الله، أو ينفقه في معصية الله، ولا يؤدي حق الله فيه.

وكثير من الناس ابتلوا بالفحش؛ كالزنا، وشرب الخمر، وتعاطي السموم المخدرة، ذهبت عقولهم، فأعرضوا عن الله تبارك وتعالى، فتركوا الطاعات، وهجروا المساجد، وقاطعوا كتاب الله، وامتألت بهم السجون، فما نفعت معهم موعظة، ولا أثرت فيهم نصيحة.

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يقربنا من أسباب الهداية، وأن يصرفنا، ويصرف

شبابنا عن موانعها، حتى نكون كما أرادنا الله عز وجل؛ خير أمة أخرجت للناس.

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [سورة آل عمران: الآية: ١٩٣].

● عباد الله:

وصلوا وسلموا على مَنْ أَمَرَكم اللهُ بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

● وقد قال ﷺ: «من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشراً» (١).

اللهم صلِّ على نبيك وحبيبك محمد، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين.



(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم: (٣٨٤).

■ لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ■

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الاحزاب الآيات: ٧٠، ٧١].

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

لما أرسل رسول الله ﷺ كتائبه مشرقةً ومغربيةً، تنشر لا إله إلا الله في أرجاء المعمورة، كان من ضمن من أرسله الرسول ﷺ الفارس المغوار، والقائد الخطير سيف الله المسلول، أبو سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه أرسله الرسول ﷺ إلى جبلي «أجا وسلمي»، حيث قبائل طيء فلما سمعت هذه القبائل بمقدم خالد ابن الوليد، ارتعدت وفرت لا تلوي على شيء، ثم ذهبت إلى الشام ودخلت في النصرانية.

وكان ممن فر إلى هناك «عدي بن حاتم الطائي»، ابن كريم العرب، فرّ تاركاً أخته «صفانة» في بيته، فنزل خالد بن الوليد، وتمركز بجيشه هناك، ولم يجد أي مقاومة، فساق الغنائم والأسرى والسبايا، وقفل راجعاً إلى مدينة رسول الله ﷺ، عاصمة الإسلام.

وكان من بين الأسرى، صفانة بنت حاتم الطائي، الكريم المشهور، فأنزلهم خالد بن الوليد حول المسجد، وقامت صفانة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وقالت: اشفع لي إلى ابن عمك، فقال علي رضي الله عنه: إنا لا نشفع عنده، ولكن إذا خرج للصلاة، فسوف ينظر إليكم، فتشفعي عنده، واذكري أباك، فإن رسول الله صلوات الله عليه أكرم الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس.

فخرج الرسول صلوات الله عليه إلى المسجد لصلاة العصر، وفي طريقه إلى المسجد، عرض له الأسرى، فقامت صفانة وقالت: يا رسول الله، إن أبي كان يحمل الكل، ويكرم الضيف، ويعين على نوائب الدهر، أنا بنت حاتم الطائي كريم العرب، فاعف عني، عفا الله عنك .

فالتفت صلوات الله عليه إلى أصحابه، وقال: «خلوا عنها، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق»، ثم قال: «يا هنتاه، لو أن أباك مات مسلماً، لترحمنا عليه». ثم أكرمها صلوات الله عليه، وأعادها صينةً كريمة إلى ديار أهلها.

وهناك لقيت أخاها عدياً، فقالت: يا قطوع، يا عقوق، تركتني وفررت، جئتك من عند رسول الله صلوات الله عليه حقاً، من عند أبر الناس، وأرحم الناس^(١) .

فتهياً عدي رضي الله عنه فلبس لباسه، وركب صليياً من ذهب على صدره، وقصد المدينة، فتسامع الناس بقدم ابن حاتم الطائي كريم العرب، فخرجوا في استقباله.

● قال عدي: فأتيت رسول الله صلوات الله عليه، وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن» وسمعته يقرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣١].

● ثم قال رسول الله صلوات الله عليه: «أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه»^(٢) .

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤/٢٩٨ - ٣٠١).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٢٥٩، ٢٦٠) رقم: ٣٠٩٥. وقال حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام ابن حرب. وغطيف بن أعين، ليس بمعروف في الحديث. والحديث حسنة الألباني في «غاية المرام» ص (٢٠).

فبين له النبي ﷺ أن طاعة أي مخلوق في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، هي عبادة لذلك المخلوق، فليس هناك عظيم إلا الله، وليس هناك من يستحق العبادة سوى الله، فلا يُعبد إلا الله، ولا يُتوكل إلا على الله، ولا يحلف إلا بالله. فمن توكل على الله كفاه، ومن توكل على غير الله خذله وأرداه، ومن عظم الله حفظه الله، ومن امتن أسماء الله امتنه الله، وحقره، وأذله، وخذله.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، أنه ذكر رجلاً من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهود، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت، فدفعتها إليه إلى أجلٍ مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها، يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج^(١) موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أنني كنت تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله كفيلاً، فرضي بك. وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضي بك، وإني جهدتُ أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له، فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر، حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده.

فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر، لعلَّ مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب، لآتيك بمالك، فما وجدت مركباً قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله قد أدّى عنك الذي بعتت في الخشبة، فانصرف بالألف الدينار راشداً^(٢).

(١) زجج موضعها: أي سوى موضع النقر وأصلحه.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦/٣، ٥٧).

● عباد الله:

إن كثيراً من الناس بجهلهم ، يعظمون غير الله ، فلا يصدقون الحالف ، ولا يأتون يمينه ، حتى يحلف بالطلاق ، أو بالحرام .

وهؤلاء جهلوا عظمة الله ، ولم يقدره حق قدره ، وفي الطبراني بسند صحيح عن سلمان الفارسي ، داعية الإسلام إلى أهل فارس قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : أشيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشتري إلا بيمينه ، ولا يبيع إلا بيمينه»^(١)

● أما قوله ﷺ : «أشيمط زان» فهو الشيخ الكبير ، الذي اشتعل رأسه شيباً ، واحدودب ظهره ، ومع ذلك يقع في الكبائر ، ويزني وهو في هذه السن ، بعد أن وعظه الله بالشيب ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما لما قرأ قوله تبارك وتعالى : ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْذِرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ سورة فاطر ، الآية : ٣٧ .

قال : النذير والله الشيب . وكفى بالشيب نذيراً .

ومرّ عمر - رضي الله عنه - برجل ، وهو يترنم بقصيدة ، يقول فيها :

كفى المرء بالإسلام والشيب ناهياً

فدمعت عيناه وقال إي والله :

كفى المرء بالإسلام والشيب ناهياً

وأثر عن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، أن الشيب لما ظهر في لحيته ، نظر إلى المرأة ، فقال : يا رب ، ما هذا الشيء الأبيض الذي في لحيتي ؟ قال : يا إبراهيم ، هذا وقار . قال إبراهيم : اللهم زدني وقاراً .

فمن وقره الله - عز وجل - بالشيب ، ثم يقع في الفواحش ، ويفعل فعل

(١) صححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٣٠٧٢) وقد أخرجه أيضاً البيهقي في الشعب .

المراهقين الذين لم يتمكن الإسلام في قلوبهم، لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكيه، وله عذاب أليم؛ لأنه شيخٌ قد دنا من حفرته، فكان الأجدر به أن يحفر قبره، ويستعد للموت، كما قال سفيان الثوري رضي الله عنه: «يا من بلغ الستين سنة، خذ لك كفنًا على أكتافك، واحفر قبرك، فإنك بلغت من الموت قاب قوسين أو أدنى».

● وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «وعائل مستكبر»، ففقير معدم، ومع ذلك يتكبر على عباد الله، كما قيل: «حشفاً وسوء كيل»، ليس عنده ما يدعوه إلى التكبر، أو يجذبه إلى الزهو والغرور والعجب، ثم هو ينفخ صدره، ويمشي في الأرض مرحاً. فهذا ممقوت، منبوذ، ليس له قيمة عند الله عز وجل، لأن الله - عز وجل - إذا أراد أن يصحح نية العبد جعله من المتواضعين، كما قال سبحانه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ {الفرقان: ٦٣}.

● ويروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى، أتدري لماذا اصطفتك على الناس، واخترتك على بني إسرائيل؟ قال: لا يا ربي. قال: نظرت في قلوب بني إسرائيل، فوجدت قلبك يحبني أكثر من كل قلب، ورأيتك ما جلست مع أحد، إلا شعرت في نفسك أنك أوضع منه وأقل منه.

● ومصدق ذلك في صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»^(١). وذلك لأن العظمة لله عز وجل، فلا ينبغي لأحد أن ينازع الله في ذلك، ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم، عن الحلف بغير الله عز وجل، لأن الحلف بغير الله تعظيم للمحلوف به، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(٢).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٠١/٤) رقم: (٢٥٨٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٩٣/٤، ٩٤) رقم: (١٥٣٥). وقال: حديث حسن. وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٢٠٥).

● وصح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما عند الإمام أحمد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رجلاً قال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما شاء الله وشئت ، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أجعلتني لله عدلاً، بل ما شاء الله وحده» (١) .

● وصح عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال : لأن أحلف بالله كاذباً ، أحب إليّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق (٢) .

● وصح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أن أعرابياً قال : يا رسول الله ! جهدت الأنفس ، وضاعت العيال ، ونهكت الأموال ، وهلكت الأنعام ، فاستسقى الله لنا ، فإننا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «ويحك !! أتدري ما تقول؟» وسبح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ، ثم قال : «ويحك !! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك» (٣)

ولذلك فإن هناك واجبات تجاه الأيمان ، ينبغي أن نلتزم بها :

● أولها : ألا نحلف إلا إذا اضطررنا إلى اليمين . قال الشافعي - رحمه الله - كما ذكر عنه الذهبي - : ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً في حياتي ؛ توقيراً لله تبارك وتعالى ، وتعظيماً له .

وقال مطرف بن عبدالله بن الشَّخِير : عظموا الله تعالى ؛ لا يقول أحدكم لمولاه : أخزأك الله ، أو قبحك الله .

وذكر ابن تيمية رحمه الله ، أن محمد بن جعفر الصادق ، كان إذا قال له الرجل : لا والله ، احمرّ وجهه إجلالاً لله تعالى .

● ثانياً : ألا نحلف إذا اضطررنا إلا بالله تعالى ، فالذي لا يستكفي بالله عز وجل ، فلا كفاه الله . والذي لا تشفيه اليمين بالله تبارك وتعالى ، بأسمائه

(١) أخرجه أحمد (١/٢١٤ ، ٢٨٣ ، ٣٤٧) .

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٤/١٨٠) رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح .

(٣) أخرجه أبو داود (٤/٢٣٢) رقم : (٤٧٢٦) .

وصفاته، فلا شفاه الله، لأنه قد عظم غير الله تعالى، وجعل غيره ندأً له سبحانه.

ويدخل في ذلك أيضاً الحلف بالطلاق أو بالحرام، فإن هذا أيضاً تعظيم لغير الله، لأن لفظ الطلاق في الإسلام إنما وضع لمفارقة الزوجة، لا لليمين. ومع ذلك فإن بعض الناس لا يستجيبون، ولا يصدقون، إلا إذا حلف الرجل بالطلاق أو بالحرام، وهذا لجهلهم، وعدم فقههم، وهوان الله - عز وجل - في قلوبهم. قال رسول الله ﷺ: «رأى عيسى ابن مريم رجلاً يسرق، فقال له عيسى: أسرقت؟ قال: كلاً والذي لا إله إلا هو!! فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني»^(١) وذلك تعظيماً لله تبارك وتعالى، واحتراماً لليمين لأنه حلف بالله - عز وجل -.

فعلينا ألا نكثر من الحلف والأيمان وإن كنا صادقين، لأن كثرة الحلف قد تؤدي إلى امتهان اسم الله تعالى وعدم توقيره، كما يفعل بعض الناس في مجالسهم ومنتدياتهم، فيحلفون بالله عشرات المرات دون أدنى سبب، إذا قام أحدهم يحلف، وإذا جلس يحلف، وإذا شرب يحلف، فهذا دليل على عدم تعظيم الله عز وجل.

● ثانيًا: هناك بعض الناس، خاصة من أهل التجارات والبيع والشراء، لا يصرفون سلعتهم إلا بالأيمان الكاذبة، وقد قال النبي ﷺ، في هؤلاء: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان؛ الذي لا يعطي شيئاً إلا منه، والمنفق؛ سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره»^(٢).

● وقال ﷺ أيضاً: «ثلاث لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم». وذكر منهم ﷺ: «ورجل بايع رجلاً بسلعة بعد العصر، فحلف له بالله، لأخذها بكذا وكذا، فصدقه، وهو على غير ذلك»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (١٤٢/٤). ومسلم (١٨٣٨/٤) رقم: (٢٣٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢ / ١) رقم: (١٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٤/٨). ومسلم واللفظ له (١٠٣/١) رقم: (١٠٨).

● وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلسَّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلبَرَكَةِ»^(١) فلا يبارك الله في مال الفاجر، ولا في سلعته، ولا في تجارته.

● رابعاً: ينبغي على المسلم إذا حلف على يمين، ثم رأى غيرها خيراً منها، أن يكفر عن يمينه، ويفعل الذي هو خير، ففي الصحيحين، عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة، وكُلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة، أعتت عليها. وإذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك، وائت الذي هو خير»^(٢).

فبعض الناس يحلف ألا يفعل الخير، يحلف ألا يزور أقاربه، ولا يصل أرحامه، ولا يبر أباه، ولا يتصدق، ثم يندم على ذلك، ولكن يمنعه يمينه من فعل الخير، فالواجب على هذا أن يفعل الخير من صلة الرحم، وبر الوالدين، والصدقة، وأن يكفر عن يمينه، وأن يتقي الله عز وجل، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٤].

● فاتقوا الله - عباد الله - واحفظوا أيمانكم، وراقبوا ربكم تبارك وتعالى.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم وجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) أخرجه البخاري (١٢/٣) واللفظ له، ومسلم (١٢٢٨/٣) رقم: (١٦٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٠٦/٨)، ومسلم (١٢٧٣/٣) رقم: (١٦٥٢).

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،
والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وأشرف الخلق أجمعين، نبينا
محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

● أما بعد.. عباد الله:

إن بعض الناس ابتدعوا ألفاظاً وأيماناً ما أنزل الله بها من سلطان، تعظيماً
لأنفسهم؛ كقول بعضهم: وحياتي، وشرفي، وكرامتي، ونجاحي. ولو كان عنده
شرف وكرامة، ما عظم إلا الله، وما كرم إلا الله، وما حلف إلا بالله ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الاحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

ذكر الذهبي وابن كثير أن الحسن بن هانئ الشاعر، وفد على ملك من ملوك
الدنيا فمدحه قائلاً:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ * * * فاحكم فأنت الواحدُ القهارُ

يخاطب بهذا الكلام بشراً، لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، ولا يملك موتاً ولا
حياة ولا نشوراً.

فابتلاه الله - عز وجل - بمرض عضال، أسهره الليل، وحرمه الطعام
والشراب، وتتابع عليه الأطباء والحكماء، فما نفعه ذلك، لأن الله - عز وجل -
أراد أن يريه من هو الواحد القهار!!

فأخذ يتقلب على فراشه، يبكي ويقول:

أبعينَ مفتقرٍ إليك نظرتَ لي * * * فأهنتني وقدفتني من حالقي؟
لستَ المَلُومُ أنا المَلُومُ لأنني * * * علقتُ آمالي بغير الخالقِ

فمن علق آماله بغير الله خذله الله، ومقته الله، وأذله الله. وهناك بعض الناس غلوا في مدح الرسول ﷺ، حتى أوصلهم ذلك إلى الشرك بالله عز وجل، والتلفظ بألفاظ كفرية، سوف يحاسبهم الله - عز وجل - عنها يوم القيامة، كقول البرعي يخاطب رسول الله ﷺ قائلاً:

يا رسولَ الله يا من ذكره * * * في نهارِ الحشرِ رمزاً ومقاماً
فأقِلني عَثرتي يا سيدي * * * في اكتسابِ الذنبِ في خمسين عاماً

● والرسول ﷺ لا يرضى أن يخاطب بهذا الكلام؛ لأنه ﷺ بشرٌ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً، فكيف يملك لغيره مغفرة الذنوب، وإقالة العثرات، وهو الذي أمره ربه أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الاعراف: ١٨٨].

● وأمره أن يقول: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩].

● وقال ﷺ محذراً من الغلو فيه «لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(١).

● عباد الله:

بين الله - عز وجل - كفارة اليمين في كتابه حيث قال: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨٩].

قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: يطعمهم وجبتين: غداء وعشاء.

والجمهور على أنه يطعمهم وجبة واحدة، لكل مسكين نصف صاع من طعام، ليبرئ ذمته، ويرفع الإثم عنه، فإن شاء أن يكسوهم، فهو بالخيار، فيكسو كل مسكين، ما تجوز الصلاة فيه، وله أن يعتق رقبة إن أراد.

(١) أخرجه البخاري (١٠٦/٨). ومسلم (١٢٧٣/٣) رقم: (١٦٥٢).

فإن عجز عن هذه الثلاث، فعليه بصيام ثلاثة أيام، يصومها متتابعات، وله أن يندرهما في أي وقت شاء، والتعجيل بها أفضل، وقد مدح الله - عز وجل - الذين يوفون بالنذر فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ {الإنسان: ٧}.

فاتقوا الله عباد الله، وعظموا الله في نفوسكم، واحفظوا أيمانكم، تقبل الله مني ومنكم صالح العمل، وجنبي وإياكم المعصية والزلل.

وصلوا وسلموا - رحمكم الله - على من أمركم الله تعالى بالصلاة والسلام عليه حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ {سورة الأحزاب، الآية: ٥٦}.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



■ الأمير العباسي الفقير ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسن الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

يا عامراً خراب الدار مجتهداً * * بالله هل خراب الدار عمرانُ
 ويا حريصاً على الأموال يجمعها * * أبصر فإن سرور المال أحزانُ
 من يتق الله يحمده في عواقبه * * ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
 فالزم يديك بحبل الله معتصماً * * فإنه الركن إن خانتك أركانُ

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
 {سورة هود، الآيات: ١٥، ١٦}.

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * كَلَّا

نُمدُّ هؤلاءِ وهؤلاءِ مِنْ عطاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عطاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿١٨﴾ (سورة الإسراء، الآيات: ١٨ - ٢١).

● أيها الناس:

ما الدنيا؟ ما ذهبها؟ ما فضتها؟ ما قصورها؟ ما مناصبها؟ كل هذا لا يساوي شيئاً.

لعبٌ ولهو، تفاخر وتكاثر، زهو ورياء، إعجاب وغرور، أما الحقيقة الثابتة، أما القضية المهمة، فهو الإيمان والعمل الصالح.

خرج علي بن المأمون، ابن الخليفة العباسي المأمون، إلى شرفة من شرفات القصر ذات يوم، ينظر إلى سوق بغداد، ينظر من البروج العاجية، طعامه شهياً، ومركبه وطياً، وعيشه هنيئاً، يلبس أفخر الثياب، ويأكل ما لذ وطاب، ما جاع يوماً في حياته، وما ظمئ أبداً، وما مست الشمس جبهته.

فأخذ ينظر من القصر إلى الناس في السوق، هذا يذهب، وهذا يأتي، هذا يبيع، وهذا يشتري.

ولفت نظر الأمير رجل من الناس، يعمل حملاً بالأجرة، وكان يظهر عليه الصلاح والنسك، حباله على كتفيه، والحمل على ظهره، ينقل الحمولة من دكان إلى دكان، ومن مكان إلى مكان.

فأخذ الأمير يتابع حركاته في السوق، فكان هذا الحمّال إذا انتصف الضحى، ترك السوق، وخرج إلى ضفاف دجلة، فتوضأ وصلى ركعتين، ورفع يديه إلى الحي القيوم.

سبحان من يعفو ونهفوا دائماً

ولم يزل مهما هفا العبد عفا

يعطي الذي يُخطي ولا يمنعه

جلاله عن العطا لذي الخطا

سبحان من اتصل به الفقراء والمساكين، سبحان من التجأ إليه الضعفاء والمظلومون، سبحان من عرفه البسطاء، وحُجِبَ عنه كثير من الأغنياء والوجهاء .
عرفه الذي في الخيمة، وعلى الرصيف بيده كسرة الخبز، ولم يعرفه الذي في القصر الشاهق، والمنصب العالي، والمنزلة الرفيعة .

أخذ الأمير ينظر إلى هذا الرجل، فكان إذا صلى الضحى، عاد إلى عمله، فعمل حتى قبيل الظهر، ثم اشترى خبزة جافة بدرهم، فبأخذها إلى نهر دجلة، فيأتي إلى النهر، فيبلّ كسرة الخبز بالماء، ويأكلها، ثم يشرب من الماء، ويحمد الله عز وجل، ثم يتوضأ لصلاة الظهر، فإذا صلى، جلس فدعا الله عز وجل، وابتهل وبكى، وناجى الحي القيوم، ثم ينام ساعة، وبعد النوم ينزل إلى السوق، فيعمل ويجتهد، ثم يشتري خبزاً ويذهب إلى بيته .

وفي اليوم الثاني يعود إلى نفس العمل، وهكذا في اليوم الثالث والرابع، إلى أيام كثيرة .

فتعجب الأمير من ذلك الرجل، وأصرّ على أن يعرف قصته، فأرسل جندياً من جنوده إليه؛ ليستدعيه في القصر، فذهب الجندي، واستدعى الحمال، فقال الحمال: ما لي وملوك بني العباس، ليس بيني وبين الخلفاء صلة، ليست لي قضية، ولا مشكلة، ولا مهمة، إن أشكل عليّ شيء رفعته إلى الحي القيوم، إن جعت أشبعني الله، وإن ظمئت سقاني الله، ما عندي دار، ولا عقار، ولا أرض، فقال الجندي: أمرُ الأمير، لا بد أن تحضر اليوم في قصر أمير المؤمنين . فظن المسكين أن الأمير سوف يحاسبه أو يحاكمه، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل !!

وهذه الكلمة سلاح الفقراء والمساكين، سلاح المظلومين والمضطهدين، بها تتكسر رءوس الطغاة، وتتحطم عروش الجبابرة، وتسحق قلاع الظالمين .

قالها إبراهيم عليه السلام، لما أتوا به، ووضعوه في النار المحرقة، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً .

وقالها موسى عليه السلام، لما طارده فرعون وجنوده، والبحر أمامه، والموت وراءه، فأخرج سلاحه وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنجاه الله.

وقالها محمد ﷺ، في بدر، وأحد، والأحزاب، وتبوك، والمسلمون في قلة، وضعف، وفقر، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنصره الله، وهداه الله.

ذهب خالد بن الوليد إلى اليرموك، فرأى جيوش الروم كالجبال، والمسلمون فئة قليلة، فقال أحد الصحابة لخالد رضي الله عنه، اليوم نلتجئ إلى جبال «أجا وسلمى» فدمعت عينا خالد، وقال: بل إلى الله المتلجأ، حسبنا الله ونعم الوكيل.. فانتصر.

ورأى سعداً فارسي الكفر والعمالة والجهالة، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، فداس رءوسهم بقدميه.

وقالها صلاح الدين فانتصر المسلمون وداسوا أهل الصليب بأقدامهم.

وقالها المجاهدون الأفغان، لما أتت روسيا بقواتها، وطائراتها، ودباباتها، وصواريخها، فخرج المسلمون الأفغان بأسلحتهم البسيطة، متوضئين، متوكلين على الله.

قال لهم الناس: التجئوا إلى القوى العالمية، قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

قالوا لهم: اذهبوا إلى العواصم الدولية، قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

قالوا لهم: الحل في واشنطن ونيويورك، قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ

عَظِيمٍ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٧٤].

نصرهم الله عز وجل، وخذل عدوهم، وأزال دولة الشيوعية من على خارطة

الوجود!!

دخل الفقير على ابن المأمون الأمير، فسلم عليه.

قال الأمير: أما تعرفني .

قال الحمّال: ما أتيتك ، وما رأيتك حتى أعرفك !!

قال الأمير: أنا ابن الخليفة .

قال الحمّال: يقولون ذلك !!

قال الأمير: ماذا تعمل ؟

قال الحمّال: أعمل مع عباد الله ، في بلاد الله !!

قال الأمير: قد رأيتك أياماً ، ورأيت ما أنت فيه من مشقة وعناء ، وإنّي أريد أن أخفف عنك .

قال الحمّال: وكيف ذلك ؟

قال الأمير: انتِ بأهلك ، واسكن معي بالقصر ، أكلاً ، شارباً ، مستريحاً ، لا همّ ، لا غمّ ، لا حزن .

قال الحمّال: يا ابن الخليفة ، لا همّ على من لم يذنب ، ولا غمّ على من لم يعص ، ولا حزن على من لم يسيء !! أما من أمسى في غضب الله ، وأصبح في معصية الله ، فهو في الغم والهم والحزن .

فقال له الأمير: وهل عندك أهل ؟

قال الحمّال: أمي عجوز ، وأختي عمياء ، آتي بإفطارهما قبل الغروب ، فهما تصومان كل يوم ، فنفطر جميعاً ثم ننام بعد العشاء .

قال الأمير: فمتى تستيقظ ؟

قال الحمّال: إذا نزل الحي القيوم إلى سماء الدنيا ، في الثلث الأخير من الليل !!

قال الأمير: وهل عليك من دين ؟

قال الحمال: ذنوب سلفت بيني وبين الحي القيوم.

قال الأمير: ألا تريد أن تسكن معي القصر؟

قال الحمال: لا والله.

قال الأمير: ولم؟

قال الحمال: أخاف أن يقسو قلبي، وأن يضيع ديني.

قال الأمير: أنفضل أن تكون حمالاً جائعاً عارياً، ولا تكون معي في القصر؟!

قال الحمال: إي والله!!

ثم تركه الحمال وانصرف، فأخذ الأمير يتأمل، وينظر إليه وهو مشدوه، فقد أعطاه درساً عملياً في الإيمان والتوكل على الله، أملى عليه دروساً في التوحيد والعبودية، ألقى عليه كلمات نفذت إلى قلبه، فأخذ يتابعه بطرفه، حتى اختفى عنه.

وفي ذات ليلة، استفاق الأمير من غفلته، وأفاق من غيبوبته وصحا من نومه، وعلم أنه كان في سبات عميق، ونوم طويل، وأن الوقت قد حان للتوبة والتشمير.

تنبهوا يارقود * * إلى متى الجمود
فهذه الدار تبلى * * وما عليها يبىد
الخير فيها قليل * * والشر فيها عتيد
والعمر ينقص فيها * * وسيئات تزيد
فاستكثر الزاد فيها * * إن الطريق بعبيد

فاستيقظ الأمير وسط الليل، وقال لخدمته: اني ذاهب إلى مكان بعيد، فإذا أتى بعد ثلاثة أيام، فأخبروا والدي أنني ذهبت، فسوف ألتقي أنا وإياه يوم العرض الأكبر.

إِنْ كَانَ قَدْ عَزَّ فِي الدُّنْيَا اللَّقَاءُ فَفِي

مَوَاقِفِ الْحَشْرِ نَلْقَاكُمْ وَيَكْفِينَا

خَرَجَ الْأَمِيرُ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ ، خَلَعَ ثِيَابَهُ الْفَاخِرَةَ ، وَلَبَسَ لِبَاسَ الْفَقِيرِ ، ذَهَبَ
وَاخْتَفَى ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ أَيْنَ ذَهَبَ .

يَقُولُ أَهْلُ التَّارِيخِ : رَكِبَ إِلَى وَاسِطٍ ، وَغَيَّرَ هَيْئَتَهُ ، وَصَارَ مَسْكِينًا مِنَ الْمَسَاكِينِ ،
وَعَمِلَ أَجِيرًا مَعَ تَاجِرٍ مِنْ تِجَارِ الْأَجْرِ ، يَعْمَلُ فِي صِنْعِ الطُّوبِ وَالطِّينِ وَالْبِنَاءِ .

أَصْبَحَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ صَوَامًا ، قَوَامًا ، ذَاكِرًا لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، لَهُ أُرُودٌ فِي
الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ ، يَحْفَظُ الْقُرْآنَ ، يَصُومُ فِي شِدَّةِ الْهَجِيرِ ، يَقُومُ اللَّيْلَ ، يَتَّصِلُ بِالْحَيِ
الْقِيَوْمِ ، لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَا يَكْفِيهِ يَوْمًا وَاحِدًا . ذَهَبَ هَمُّهُ وَغَمُّهُ وَكُرْبُهُ
وَحَزْنُهُ ، ذَهَبَ عَنْهُ الْعَجَبُ وَالْكَبْرُ وَالْحَيْلَاءُ وَالغُرُورُ .

﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ
بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٢] .

ثُمَّ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ، أَتَتْهُ الْوَفَاةُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، فَأَخْبَرَ التَّاجِرَ أَنَّهُ
ابْنُ الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ ، وَأَوْصَاهُ إِذَا مَاتَ ، أَنْ يَغْسِلَهُ ، وَيَكْفِنَهُ ، وَيُدْفِنَهُ ، ثُمَّ أَعْطَاهُ
خَاتَمَهُ لِيَسْلَمَهُ إِلَى الْمَأْمُونِ بَعْدَ وَفَاتِهِ .

وَمَاتَ الْأَمِيرُ ، فَغَسَلَهُ الرَّجُلُ ، وَكْفَنَهُ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ ، وَدْفَنَهُ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِالْخَاتَمِ
إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَلَمَّا رَأَى الْمَأْمُونُ الْخَاتَمَ شَهَقَ وَبَكَى حَتَّى ارْتَفَعَ صَوْتُهُ ، ثُمَّ سَأَلَ
التَّاجِرَ عَنْهُ : وَمَاذَا كَانَ يَفْعَلُ ؟ فَأَخْبِرَهُ التَّاجِرَ أَنَّهُ كَانَ عَابِدًا ، نَاسِكًا ، وَأَبًا ، ذَاكِرًا
لِلَّهِ تَعَالَى ، ثُمَّ أَخْبِرَهُ بِمَوْتِهِ ، فَضَجَّ الْخَلِيفَةُ وَالْوُزَرَاءُ وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْبُكَاءِ
وَالنَّحِيبِ ، وَأَيَقِنُوا أَنَّ الْأَمِيرَ قَدْ عَرَفَ طَرِيقَ السَّعَادَةِ ، وَطَرِيقَ النِّجَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

لَكِنَّهُمْ مَا مَشَوْا مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ ، وَمَا أَنْبَأُوا إِلَى اللَّهِ كَمَا أَنْابَ ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ
يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي
السَّمَاءِ ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٥] .

● أيها الناس.. عباد الله:

هذه قصة من قصص التائبين ذكرها أهل التاريخ في كتبهم، وأثبتوها، وحفظوها، ونقلت إلينا، لنعتبر بها، ولنتعظ بغيرنا.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَبْأَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ {يوسف: ١١١} فهل من متدبر، وهل من عاقل يعلم أن السعادة في التذلل لله، في السجود لله، في تلاوة كتاب الله، في ذكر الله، في الالتجاء إلى الله، فوالله ليست السعادة في الدور، ولا في القصور، ولا في الأموال، ولا في الحدايق، وإنما السعادة الحقيقية في طاعة الله الواحد الأحد.

● قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعمة أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصنع في النار صبغة»^(١)، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب!! ويؤتى بأشدّ الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصنع صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤساً قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مرّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»^(٢).

فكم من نعيم للمساكين عند الله، وكم من سعادة للعارفين بالله، وكم من شقاوة لمن جعل الدنيا همه، وقدم المعاصي والشهوات على طاعة ربه، فسوف يبكي ويندم، ولات حين مندم ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ {سورة الأنعام: الآية: ٩٤}.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

(١) أي يغمس غمسة.

(٢) أخرجه مسلم (٢/٤١٦٢). رقم: (٢٨٠٧).

■ الحُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ ■

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

● أما بعد:

فصور اللجوء إلى الله، وصور التمسك بالله، وصور عبودية الله، كثيرة جداً، عاشها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فدعوة الأنبياء تعيش مع الفقراء، وتحب المساكين، فهي انتصار للضعفاء، وترسيخ لمبدأ المساواة، وهذا المبدأ أرساه الإسلام بلا منازع.

«جلييب» أحد المساكين من الصحابة الكرام، ليست له أسرة معروفة، ليس عنده مال، ولا منصب، ولا شيء.

يذهب إلى الرسول ﷺ في ثيابه الممزقة، بطنه جائع، ووجهه شاحب، وأعضاؤه هزيلة، فقال له النبي ﷺ: «يا جلييب ألا تزوج؟» قال: يا رسول الله، غفر الله لك، ومن يزوجني؟ ثم يلقاه النبي ﷺ ثانية، فيقول له: «يا جلييب ألا تزوج؟» فيقول: يا رسول الله، ومن يزوجني، لا مال ولا جمال. لأن كثيراً من الناس، لا يزوج إلا على الدراهم والدنانير، لا يزوج الرجل إلا إذا رأى عنده ممتلكات، وشاحنات، وسيارات، وقصور، فيبيع ابنته من ذاك الرجل، كما تباع الناقة، أو السيارة في سوق المزادة، لا ينظر إلى دينه، ولا إلى صلاته، ولا إلى صدقه، ولا إلى أمانته، لا ينظر إلا إلى ماله، وداره، وعقاره.

وقد يكون هذا الرجل فاجراً سكيراً، قد يكون لعيناً طريداً بعيداً، ولكن أنساه ذلك كله مال هذا الرجل، ومنصب هذا الرجل، وسيارة هذا الرجل، وقصر هذا الرجل، فيبيع ابنته، ويقطع رحمها، فيخسر بذلك الدنيا والآخرة.

ويلقى النبي ﷺ ، جليبيًا مرة ثالثة، فيقول: «يا جليبيب ألا تزوج؟» فيقول: يا رسول الله ومن يزوجني، لا مال ولا جمال، فيقول ﷺ له: «أذهب إلى ذاك البيت من الأنصار، وقل لهم: رسول الله ﷺ، يبلغكم السلام، ويقول: زوجوني ابتكم». هذا مرسوم من كلام محمد عليه الصلاة والسلام، فذهب جليبيب، فطرق الباب، قال أهل البيت، من؟ قال: جليبيب، قالوا: ما لنا ولك يا جليبيب، فخرج صاحب البيت قال: ماذا تريد؟ قال: الرسول ﷺ يبلغكم السلام، فارتج البيت فرحًا، ثم قال: ويأمركم أن تزوجوني ابتكم.

فقال الرجل: أشاور أمها، فشاورها فقالت: لا لعمر الله، لا نزوجه، فسمعت البنت العابدة الناصحة الصالحة، فقالت: أتردان على رسول الله ﷺ أمره، ادفعوني إليه فإنه لن يضيعني، فانطلق أبوها إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: شأنك بها، فزوجها جليبيبا^(١).

فأنشأ النبي ﷺ بيتًا، أساسه على الإيمان والتقوي ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٩].

أفمن أدخل ابنته بيتًا مسلمًا، تاليًا لكتاب الله، مستقيمًا على أوامر الله، معظمًا لحدود الله، خيرٌ أمَّن أدخل ابنته بيتًا فيه التبرج والغناء، فيه الفحش والضلال واللعنة!!؟

وعاشت هذه المرأة في سعادة حقيقية، ليست كالسعادة الوهمية التي يتمناها البعض، أو يحلم بها البعض.

وفي إحدى الغزوات، وقد أفاء الله على نبيه فيها، فقال لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نعم؛ فلائًا، وفلائًا، وفلائًا. ثم قال: «هل تفقدون من

(١) أخرجه بمعناه الإمام أحمد (٤/٤٢٢، ٤٢٥)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٧٠، ٣٧١): رجاله رجال الصحيح.

أحد؟». قالوا: نعم؛ فلانًا، وفلانًا، وفلانًا. ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا، قال: «لكنني أفقد جليبيًا فاطلبوه» فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ، فوقف عليه، فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه» فوضعه على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ، قال: فحُفِرَ له، ووضع في قبره^(١). وفي المسند أن النبي ﷺ، دعا لزوجته، فقال: «اللهم صب عليها الخير صبًّا، ولا تجعل عيشها كدًّا كدًّا». قال ثابت: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها^(٢)!!

هذا هو جليبيب الصحابي الفقير، يقول له النبي ﷺ: «أنت مني وأنا منك!!».

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى * * * نوراً ومن فلق الصباح عموداً

فهنيئاً لك يا جليبيب، وهنيئاً للمخلصين، وهنيئاً للصادقين، السائرين إلى الله - عز وجل -.

تردِّي ثياب الموت حمراً فما أتى * * * لها الليل إلا وهي من سندسٍ خضرُ
هنيئاً لمن قتل في سبيل الله، ولمن باع نفسه وروحه بجنة عرضها السموات والأرض.

وقبحاً للمتخلفين عن ركب النجاة، وحسرةً على الضائعين الضالين.
فيا من أخذ بأيدي الصالحين، خذ بأيدينا إليك، ونور قلوبنا بطاعتك، وعمرُ بيوتنا بذكرك، واغرس في قلوبنا لا إله إلا الله، لتؤتي أكلها كل حين بإذنك يا واحد يا أحد.

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩١٨، ١٩١٩). رقم (٢٤٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤/٤٢٢، ٤٢٥) قال الهيثمي في المجمع (٩/٣٧١): رجاله رجال الصحيح.

● عباد الله:

وصلوا وسلموا - رحمكم الله - على مَنْ أَمَرَكم اللهُ بالصلاة والسلام عليه حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأَحْزَاب، الآية: ٥٦].

● ويقول النبي ﷺ: «من صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١).

فاللهم صل وسلم وبارك على نبيك وحبيبك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم: (٣٨٤).

■ الذين يستحقون اللعنة ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنُ الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● أما بعد أيها الناس :

سوف أتلو عليكم بعد قليل وثيقة شرعية وقائمة نبوية بأصناف الذين لعنهم الله على لسان رسوله ﷺ ، وكل أمرٍ ورد فيه اللعن من الله تعالى أو من الرسول ﷺ فهو من كبائر الذنوب وعظائم الآثام، فنعوذ بالله من مقتته وغضبه.

واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله عز وجل ، فالملعون بعيد عن رحمة الله ، بعيد عن كرم الله ، بعيد عن عفو الله نسأل الله السلامة والعافية.

وهذا الأحاديث التي سوف أسردها - إن شاء الله - هي من الأحاديث الصحيحة أو الحسنة التي ثبتت عن النبي ﷺ بالسند المتصل إلا في بعض

الألفاظ، وسوف أنبه عليها إن شاء الله، وتجنبت الروايات الضعيفة التي لم يصح إسنادها عن النبي ﷺ .

وسوف أعود بعد سرد هذه الأحاديث فأعقب بشرح موجز على بعض ألفاظها تمييزاً للفائدة، ليسهل فهمها، وتتضح معانيها وفوائدها .

● يقول النبي ﷺ : «لعن الله الخمر، وشاربها، وساقبها، وبائعها، ومبتاعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه»^(١) رواه أبو داود وأحمد عن ابن عمر .

● وقال ﷺ : «لعن الله الراشي والمرثشي»^(٢) أخرجه الترمذي وأحمد .

● وقال ﷺ : «لعن الله آكل الربا، وموكله، وشاهديه، وكاتبه: هم فيه سواء»^(٣) رواه مسلم .

● وقال ﷺ : «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده»^(٤) رواه البخاري ومسلم .

● وقال ﷺ : «لعن الله المثسبات من النساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»^(٥) رواه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي .

● وقال ﷺ : «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل»^(٦) رواه أبو داود .

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٦/٣) رقم (٣٦٧٤) وأحمد (٩٧/٢) من حديث ابن عمر، وصححه الحاكم (١٤٥/٤)

من حديث ابن عباس وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٠٩١) .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣/٣) رقم (١٣٣٧) . وأبو داود (٣٠٠/٣) رقم (٣٥٨٠) . وابن ماجه (٧٧٥/٢) رقم

(٢٣١٣) . والحديث قال عنه الترمذي: حسن صحيح . وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥١١٤) .

(٣) أخرجه مسلم (١٢١٩/٣) رقم (١٥٩٧) .

(٤) أخرجه البخاري (١٥/٨) كتاب الحدود . ومسلم (١٣١٤/٣) رقم (١٦٨٧) .

(٥) أخرجه البخاري (٥٥/٧) كتاب اللباس . وأبو داود (٦٠/٤) رقم (٤٠٩٧) والترمذي (٩٨/٥) رقم (٢٧٨٤)

وأحمد (٣٣٩/١) .

(٦) أخرجه أبو داود (٦٠/٤) رقم (٤٠٩٨) ، وأحمد (٣٢٥/٢) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم

(٥٠٩٥) .

- وقال عليه السلام : «لعن الله الرجلَةَ من النساء»^(١) رواه أبو داود .
- وقال رسول الله عليه السلام : «لعن الله المحلَّلَ والمحلَّلَ له»^(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه .
- وقال رسول الله عليه السلام : «لعن رسول الله عليه السلام النَّائِحةَ والمستمعة»^(٣) .
- وقال عليه السلام : «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله»^(٤) . رواه البخاري ومسلم .
- وقال عليه السلام : «لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة»^(٥) رواه البخاري ومسلم .
- وقال عليه السلام : «لعن الله زوارات القبور»^(٦) رواه الترمذي وابن ماجه . وفي لفظ له عليه السلام عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «لعن رسول الله عليه السلام زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج»^(٧) أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد، وفي الجملة الثانية ضعف ولها شواهد تحسن بها^(٨) .
-
- (١) أخرجه أبو داود (٦١/٤) رقم (٤٠٩٩) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥٠٩٦) .
- (٢) أخرجه أبو داود (٢٢٧/٢) رقم (٢٠٧٦) . والترمذي (٤٢٨/٣) رقم (١١٢٠) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (٦٢٢/١) رقم (١٩٣٥) والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥١٠١) .
- (٣) أخرجه أبو داود (١٩٤/٣) رقم (٣١٢٨) ، وأحمد (٦٥/٣) والحديث ضعفه الألباني كما في الإرواء رقم (٧٦٩) وضعيف الجامع رقم (٤٦٩٠) .
- (٤) أخرجه البخاري (٦١/٧ ، ٦٢) كتاب اللباس . ومسلم (١٦٧٨/٣) رقم (٢١٢٥) .
- (٥) أخرجه البخاري (٦٢/٧) كتاب اللباس . ومسلم (١٦٧٧/٣) رقم (٢١٢٤) .
- (٦) أخرجه الترمذي (٣٧١/٣) رقم (١٠٥٦) وقال الترمذي : حسن صحيح ، وابن ماجه (٥٠٢/١) رقم (١٥٧٦) . وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٥١٠٩) .
- (٧) أخرجه الترمذي (١٣٦/٢) رقم (٣٢٠) وقال : حديث حسن ، والنسائي (٩٥/٤) رقم (٢٠٤٣) . وأبو داود (٢١٨/٣) رقم (٣٢٣٦) .
- (٨) حسنَ هذا الحديث الترمذي وحسنه أيضاً - لشواهد - العلامة أحمد شاكِر في تخريجه للترمذي (١٣٧/٢) أما الألباني فقد قال : والواقع أن الحديث له شواهد كثيرة في جملته الأوليين ، وأما (السرَج) فليس لها شاهد البتة فيما علمت ، ولذا لا يمكن القول بتحسين الحديث بتمامه ؛ بل باستثناء (السرَج) . انظر الإرواء (٢١٣/٣) .

● وقال عليه السلام: «لعن الله من لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض»^(١) رواه مسلم والنسائي وأحمد.

● وقال عليه السلام: «لعن الله من مثل بالحيوان»^(٢) رواه البخاري.

● وقال عليه السلام: «لعن الله الخامشة وجهها والشاقة جيبها، والداعية بالويل والثبور»^(٣) رواه ابن ماجه وصححه ابن حبان.

● أيها المسلمون:

فلنعند إلى بعض الألفاظ التي وردت في هذه الأحاديث النبوية الشريفة، لنستجلي صفات هؤلاء الملعونين والملعونات، ولنعرف أسباب لعنهم، حتى لا نسلك سبيلهم، أو نسير في طريقهم، فمعرفة سبيل أهل الضلال هدف رئيس من أهداف القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأعمام، الآية: ٥٥]. فلا يستطيع العبد أن يسلك سبيل الحق والخير، إلا إذا عرف الشر وطرقه ومسالكه، وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشر مخافة أن يدركه^(٤). فنسأل الله تعالى أن يدرأ عنا سبيل غضبه ومقتته ولعنته.

● أما قوله عليه السلام: «لعن الله الخمر وشاربها» فهذا وعيد شديد لكل من تعامل في الخمر، فهي من أكبر الكبائر، وهي أم الخبائث لعن الله - عز وجل - فيها عشرة؛ لعنها أولاً، ولعن عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وبائعها، ومبتاعها، وساقها، ومسقاها، وأكل ثمنها^(٥). ويدخل

(١) أخرجه مسلم (١٥٦٧/٣) رقم (١٩٧٨). والنسائي (٢٣٢/٧) رقم (٤٤٢٢) وأحمد (١٠٨/١، ١١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٨/٦) كتاب الصيد والذبائح.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٥٠٥/١) رقم (١٥٨٥)، وابن حبان رقم (٧١٥٦) قال البوصيري في مصباح الزجاجة

(١/٥٢١): هذا إسناد صحيح وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة رقم (٢١٤٧) والأرناؤوط كما في

الإحسان (٧/٤٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٩٣/٨) كتاب الفتن. ومسلم (١٤٧٥/٣) رقم (١٨٤٧).

(٥) ورد ذلك في حديث عن أحمد في المسند (٧١/٢).

في ذلك أيضاً كل من تعامل في تجارة المخدرات فهو ملعون أيضاً؛ لأن المخدرات مثل الخمر في إذهاب العقل، وتدمير المجتمعات وضياع الأموال، واختلاط الأنساب، وغير ذلك من الأضرار التي ترتكب بسبب الخمر والمخدرات.

وأما قوله ﷺ: «لعن الله الراشي والمرتشي» فالراشي: هو الذي يرشي المسؤولين والموظفين ليحصل على حق ليس له، ويصرف عن الناس حقوقهم، فمن دفع رشوة لمسئول أو لموظف أو لعامل، ليتوصل بذلك إلى شيء ليس من حقه فهو ملعون.

والمرتشي: هو الذي يأخذ الرشوة، فيأخذ ما لا ليس من كسبه ولم يرثه عن أبيه أو أمه، ثم هو يأخذ أجراً وراتباً نظير القيام بعمله، فليس له الحق في أن يأخذ أموال الناس، حتى ينهي لهم معاملاتهم ومصالحهم، فهذا أيضاً ملعون بلعنة الله - عز وجل - ورسوله ﷺ.

وورد في رواية فيها ضعف زيادة: «والرائش»^(١) وهو الذي يسير بين الراشي والمرتشي بالواسطة، يكلم هذا ويكلم هذا حتى تتم هذه الجريمة الشنعاء والفعلة النكراء فهذا أيضاً لعنه النبي ﷺ.

فأله الله . . كم للرشوة من إفساد لمجتمعاتنا، وكم عطلت من حقوق، وكم منعت من بركات، وكم أحدثت من ظلم، وكم أفسدت من ذمم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وأما آكل الربا فهو الذي يتعامل به، ويزاوله، وكاتبه: هو الموظف الذي يكتب عقود الربا ويزاول العمل في مجاله.

(١) حديث: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش الذي يمشي بينهما» أخرجه أحمد (٢٧٩/٥) والحاكم (١٠٣/٤) والطبراني في الكبير رقم (١٤٩٥) والبزار رقم (١٣٥٣) وفي إسناده ليث بن أبي سليم ضعيف وشيخه أبو الخطاب لا يعرف. قال الألباني: ولم يرو هذه الزيادة غير ليث بن أبي سليم كما ذكر البزار، فهي زيادة منكرة لتفرد ليث بها وهو ضعيف لاختلاطه. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم (١٢٣٥) وضعيف الجامع رقم (٤٦٨٤).

وشاهداه: هما من يوقع على العقود والصكوك الربوية، ولا يكون العقد ماضياً إلا بتوقيعهما، فكل هؤلاء ملعونون على لسان محمد بن عبد الله ﷺ .

وقوله: «لعن الله السارق يسرق البيضة» هي بيضة الدجاجة، ولما كانت البيضة لا قطع فيها كان ذلك من باب التحقير، أي لعن الله السارق التي تقطع يده في شيء حقير، وأشياء الدنيا كلها حقيرة، فالدنيا لا تساوي عند الله - عز وجل - جناح بعوضة.

وقيل: البيضة هي التي يضعها المقاتل على رأسه، وهي شيء حقير أيضاً.

ولما اعترض أبو العلاء المعري على قطع يد السارق وزعم أن هذا الحكم مخالف للعقل، فإن اليد في الإسلام قيمتها خمسمائة دينار، فكيف تقطع في ربع دينار، ردّ عليه أحد علماء الإسلام قائلاً:

عزُّ الأمانة أغلاها.. وأرخصها * * * ذلُّ الخيانة فافهم حكمة الباري

فالأمانة والتقوى والخوف من الله - عز وجل - هو الذي أغلاها في الإسلام وجعلها تستحق هذا المبلغ الكبير، والخيانة والدناءة هي التي أرخصتها وجعلتها تقطع في ربع دينار فافهم حكمة التشريع الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وأما لعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء، فإن ذلك لمحاولة هؤلاء تغيير الفطرة التي فطر الله عليها عباده، فالرجل له صفات معينة، والمرأة كذلك فإذا مشت المرأة مشية الرجل، ولبست لبس الرجال، وتكلمت كالرجال، وزاولت أعمال الرجال، كانت ملعونة مطرودة من رحمة الله - عز وجل - لأنها بذلك تعترض على قدر الله - عز وجل - في أن جعلها أنثى، ولما في ذلك أيضاً من نشر الرذيلة وتحريك شهوات الرجال، وانتشار الشذوذ بين الجنسين .

ويدخل في ذلك أيضاً المغنيات والممثلات والراقصات، فإنهن خرجن عن الحجاب والستر، واختلطن بالرجال الأجانب إلى غير ذلك من الأمور التي يعرفها كل إنسان، ولا داعي لأن نصرح بها هنا .

وأما المتشبهون من الرجال بالنساء، فإنهم أيضاً ملعونون، وهم يسمون في الشريعة: المخنثون، ولا حظ لهؤلاء في رحمة الله - عز وجل - إلا أن يتوبوا من هذا الفجور، ويكونوا رجالاً كما خلقهم الله - عز وجل - .
ويدخل في ذلك أيضاً من رقق صوته تشبهاً بالمرأة، ومن ثنى في مشيته كالمرأة، ومن استخدم أدوات الزينة التي تتزين بها المرأة .

● وقوله ﷺ: «لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل» .

قال أهل العلم: لبسة الرجل، هو اللباس الخاص به في عرف الناس، ولبسة المرأة: هو اللباس الخاص بها في عرف الناس، والناس هنا هم المسلمون المؤمنون أهل التوحيد من أمة محمد ﷺ، فإنه لا اعتبار بأعراف الجاهلية ولا تقاليد الجاهلية، وإن كان أصحاب هذه الأعراف والتقاليد ممن يتسمون بأسماء إسلامية .
فَمَنْ لبس من الرجال لبسة المرأة فهو ملعون، ومن لبست من النساء لبسة الرجل فهي ملعونة .

● وقوله ﷺ: «لعن الله المحلل والمحلل له» . المحلل: هو الذي يأتي إلى الزوجة المطلقة فيتزوجها وهي التي طلقت بثلاث وأخذت العدة فلا تجوز للأول حتى ينكحها زوج آخر كما نص على ذلك سبحانه وتعالى، فيأتي هذا الرجل يتزوج هذه المرأة باتفاق مع الزوج الأول، لا لقصد أن تكون زوجة له، ولكن ليحللها للأول فيمكث معها فترة متفقاً عليها ثم يطلقها ليتزوجها الأول، فيكون تيساً مستعاراً، فهذا ملعون وذاك ملعون، وإنما يجوز أن يتزوجها بقصد أن تكون زوجة ثم إذا بدا له أن يطلقها فيطلقها، وعندها يجوز للأول أن يتزوجها من جديد .

فَمَنْ فعل الصورة الأولى فهو ملعون بلعنة الله على لسان رسول الله ﷺ .
وقال ﷺ: «لعن الله النائحة»، والنائحة: التي تنوح في المآتم وتدعو بالويل والثبور، وتصيح في وقت المصائب والكوارث فإذا مات أبوها أو أخوها أو زوجها

أو ابنها رفعت صوتها وولوت وناحت وقالت : يا فلان بن فلان ، واطهراه !! واجبلاه !! واكرماه !! واشجاعاه !! فهي ملعونة ، ويدخل في ذلك المستمعة . قال أهل العلم : هي التي تأتي بالنائحة وتدفع لها أجره وتمهد لها وتدخلها بيتها فهي ملعونة . والسر أنهم لم يرضوا بقضاء الله ، وتسخطوا على حكم الله وأثاروا الهلع والجزع في عباد الله فهن ملعونات .

● وقال ﷺ : «لعن الله الواشمات والمستوشمات» الواشمة : هي التي تضع الوشم في حدود النساء ، والوشم كالحبر وكالصبيغ الأخضر والأسود وما يدخل في حكمه ، فهي تأتي بعقاقير معها وبمخاط ، وتصنع الوشم للنساء فمن فعلت ذلك فهي ملعونة .

والمستوشمات : وهن اللواتي يُصنع الوشم لهن في خدودهن وعلى أنوفهن وتحت شفاههن فهن ملعونات ، هذا الوشم حرام ، الواشمة والمستوشمة والنامصة والمنمصة ملعونات ، والنامصة هي التي تُقلع شعر حاجبيها ، وتنتف شعر حاجبيها ، لتزججة وترققه ، فهذه ملعونة والمنمصة هي التي تستدعيه وتحبذه وتفعله بنفسها بواسطة هذه النامصة فهي ملعونة أيضاً بلعنة الله على لسان رسول الله ﷺ .

والمتفلجات : وهن اللواتي يوسعن ما بين أسنانهن وينشرن أسنانهن ، ويغيرن خلق الله تعالى ، فإنهن ملعونات ؛ لأن ذلك يدل على خبث النفس ، ومحبة الفتنة ، وتحريك الشهوات .

و«المغيرات خلق الله» هن اللواتي يفعلن بأنفسهن ما يغير خلق الله . ثم قال ﷺ : «لعن الله الواصلة والمستوصلة» .

الواصلة : هي التي تصل شعر غيرها ، فوصل شعر المرأة حرام ، لا يكون إلا من أصل شعرها ، أما الوصل بشعر خارجي فهو حرام .

والمستوصلة : التي تطلب ذلك وتدعو ذلك وتطلب من النساء أن يصلن شعرهن أو شعرها ، فملعونة أيضاً بلعنة الله على لسان رسول الله ﷺ .

وهذه اللعنة وإن كانت خاصة بالنساء ، إلا أنه والله الذي لا إله إلا هو لقد وجد من بعض الشباب الذين ضيعوا دينهم وعبثوا بأحكام شرعهم وجهلوا لا إله إلا الله ، وضيعوا أصلاتهم وكراماتهم وعزهم ونخوتهم ، وُجد من هؤلاء من يوصل شعره ويركب الباروكة على رأسه فهو حقيق باللعنة وأحق بها .

وللحديث بقية في الخطبة الثانية - إن شاء الله - نسأل الله أن يدرأ عنا وعنكم غضبه ولعنته ، ونسأله رضوانه ورحمته ، وأن يفقها وإياكم من الدين ، ويجعلنا وإياكم من الراشدين المهديين .

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم .



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين وقدوة الناس إلى الله أجمعين وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

● أما بعد:

فبقي من هذه الأصناف التي صحّت بلغنهم الأحاديث وحسنت عن المصطفى عليه الصلاة والسلام قوله ﷺ: «لعن الله زوارات القبور» رواه أحمد كما أسلفنا وابن ماجه والحاكم.

ومعنى زوارات: بصيغة المبالغة هن اللواتي يتعهدن القبور بالزيارة، ويكون لهن زيارة مكثفة للقبور، فدائماً تراهن عند القبور، وحول القبور.

وقد نهى النبي ﷺ عن زيارة المرأة للقبور لما في زيارتها من فتنة وجزع وهلع وتسخط، ولأنها ضعيفة القلب قد لا تتحمل مشاهدة الموتى فتصرع، وكذلك فهي متعرضة للعيون الضارية التي تتبعها حتى عند المقابر، فمنع ﷺ زيارة المرأة، ولعن من اتخذ من النساء زيارة القبر عادة وأكثر منها، فمن فعل ذلك من النساء فقد استحقت اللعنة. وفي لفظ: «لعن رسول الله ﷺ أو لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» قال بعض أهل العلم: لا تشملهن اللعنة حتى تتخذن المسجد والسرج.

ولكن أبعد للريبة، وأبعد للمعصية ألا تزور المرأة القبر بحال من الأحوال، وإذا أتت على القبر فاتخذت مسجداً أو مصلى أو سراجاً أو بنت بناءً، فإن اللعنة تشملها وتحيط بها، لأنها ضربت بأحكام الشريعة عرض الحائط، ولأنها خالفت أمر الله - عز وجل - وأتت بكبيرة من الكبائر، واستحدثت في دين الله - عز وجل - ما يمكن أن يؤدي إلى أكبر الكبائر وهو الشرك بالله - عز وجل - .

وقد رأينا في كثير من بلاد المسلمين أنه بسبب التساهل في هذا الباب أصبح الشرك أمراً عادياً فعكفت النساء على القبور، وعبدت القبور من دون الله، وصرفت لها جميع أنواع العبادة التي لا تجوز إلا لله - عز وجل - كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة وغير ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقوله ﷺ : «لعن الله من لعن والديه» فهذا أيضاً من أصناف الملعونين ، ولا يفعل ذلك إلا فاجر وقد وجد من هذا الصنف كثير ، بل أخبرنا كثير من الإخوة الثقات أن هناك شباباً ضربوا أمهاتهم ضرباً مبرحاً ، وقد استدعي بعضهم إلى رجال الأمن في بعض المناطق بشكوى من أمه ، ضربها سبع مرات ، فلما أوقف أمام رجال الأمن بكى وأخذ يقبل رجلي أمه وقال أتوب . قالت : لا والله اضربوه فإنه طالما أبكاني فإذا ضرب وبكى مرة فقد ضربني وأبكاني مرات ومرات ، فهذا فاجر وهذا ملعون ؛ لأن الله عز وجل جعل حق الوالدين عظيماً وقرن شكرهما بشكره فقال : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [نعمان: ١٤] . حتى ولو دعاك والداك إلى الإشراف بالله فلا تطعهما في ذلك ولكن كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [نعمان: ١٥] .

● ومن الكبائر أيضاً : أن يكون الإنسان سبياً في لعن والديه كما قال النبي ﷺ : « من الكبائر شتم الرجل والديه » !! فاستغرب الصحابة ذلك وقالوا : يا رسول الله : وهل يشتم الرجل والديه قال : « نعم ؛ يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه ويسبُّ أمه فيسبُّ أمه » (١) .

● وقال ﷺ : «ولعن الله من ذبح لغير الله» وهي الذبيحة الشركية ، التي تذبح في النذور الشركية ، وعند القبور ، وعند الأصنام ، وبأمر الكهنة والسحرة والمشعوذين ؛ فيقولون : اذبح ذبيحة لونها كذا ، وصفتها كذا ، فمن فعل ذلك وأطاعهم فهو ملعون ، وهذه الذبائح كثرت في هذا الزمن خاصة في البوادي والقرى ، بسبب الكهنة والسحرة والعرافين والمشعوذين أعداء الله .

(١) أخرجه مسلم (١ / ٩٢) رقم (٩٢) .

فليعرف المؤمن لمن يذبح ولمن ينسك ولمن ينذر، ومن يدعو ومن يعبد، فلتكن ذبيحته لله تعالى، وليكن نسكه لله - عز وجل - وليكن نذره ودعاؤه وعبادته للواحد الأحد لا شريك له، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ .

{سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣}

وقوله: «لعن الله من أوى محدثاً» المحدث هو الفاجر المنتهك لحدود الله تعالى الذي اشتهر فجوره، كالسارق الذي يسرق الناس وكقاطع الطريق الذي يتعرض للناس ويشهر في وجوههم السلاح، وكالبغاة الذين تمددوا على ولاية الأمور وعلى حدود الله وشرعه، وكالمروج للمخدرات، وكالفاجر الذي عرف فجوره، فمن ستره وتستر عليه وحاول أن يخفيه عن أعين العدالة فهو ملعون؛ لأنه فعل كبيرة، وجرح شعور المسلمين؛ ولأنه سبب في انتشار الجريمة والفاحشة في المجتمع المسلم.

● «ولعن الله من غير منار الأرض» منار الأرض: هو الحد الذي يفصل الرجل عن الرجل في المزارع والحقول والديار والدور، وهو يسمى في اللغة العامية التي ليست بصحيحة «الوثن» ويسمى «الحد» فمن غيره على غير ما وضع له فهو ملعون. ولا يفعل ذلك إلا أولئك الذين يغتصبون أموال الناس وحقوقهم وأراضيهم ويضعون أيديهم على ما ليس لهم، فهؤلاء ملعونون بلعنة الله على لسان رسوله عليه السلام، نسأل الله العافية والسلامة.

● وقال عليه السلام: «لعن الله من مثل بالحيوان» أي شوه الحيوان، أو قتله من غير مذبحه، كأن يقطع رجله وهو حي، أو يقطع ذيله، أو يصعقه صعقاً، أو يرميه برصاص وهو واقف مربوط، وكذلك إذا قطع أذنه، أو فقأ عينه فقد مثل به وارتكب كبيرة من الكبائر، فذلك ملعون بلعنة الله على لسان رسول الله عليه السلام.

● «ولعن الله الخامسة وجهها» في المآثم وفي المعازي التي تخمش وجهها من

الجزع والهلع «والشاقة جيها» في مناسبات الموت تشق ثوبها، قد تظهر عورتها أمام الناس فهي أيضاً ملعونة.

وكذلك «الداعية بالويل والثبور» والداعية بالويل والثبور، هي التي تتسخط على القضاء والقدر، وقد سبق بيان ذلك في النائحة.

● فيا عباد الله:

أخبروا أسركم بهذا، وأخبروا زوجاتكم وبناتكم وعماتكم وخالاتكم، وانشروا الخير في بيوتكم.

أخبروهم بمحارم الله وحدوده، وحذروهم من انتهاك حرماته؛ لأن في انتهاك حرماته لعنة وغضباً ومقتاً وبلاء. نسأل الله العافية والسلامة.

* ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم، الآية: ٦].

● عباد الله:

صلوا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦].

● وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١). اللهم صلّ على نبيك وحبيبك محمد واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين.

وأظننا مع أصحابه الأطهار، من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤).

■ الرحلة في طلب العلم ■

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنُ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● أما بعد عباد الله :

يقص الله علينا قصة موسى ﷺ وهو يرتحل في البحر ليلقى الخضر ﷺ، فيتعلم منه علماً، ما كان له أن يعلمه لولا أن وفقه الله لسلك السبيل الصحيح الموصل إلى هذا العلم، فلسان حال هذه القصة يقول: هكذا فليكن طلب العلم، رحلة طويلة، عناء ومشقة، بحث متواصل، نفسٌ طويل وعزيمة قوية، بصر حاد ورؤية فاحصة.

وإذا كان موسى ﷺ على سمو قدره، ورفعة مكانته يحرص على طلب العلم، فما بالنا نحن الضعفاء المحاويج الجهلة نفرط في طلب العلم، ولا نسلك السبل الموصلة إليه.

يشير الإمام البخاري في الصحيح إلى هذه القصة وإلى هذه الرحلة فيقول:
باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر عليهما السلام^(١)، ثم يشير
الإمام البخاري - رحمه الله - إلى هذه القصة وإلى سببها فروى عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه تمارى هو والحُرُّ بن قيس بن حِصْنِ الفزاري في صاحب موسى فقال ابن
عباس: هو خَضِرٌ، فمرَّ بهما أبي بن كعب فدعا ابن عباس فقال: إني تماريت أنا
وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيلَ إلى لقيِّه هل سمعت
النبي ﷺ يذكر شأنه؟ قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «بينما
موسى في ملاء من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال
موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى عبدنا خَضِرٌ، فسأل موسى السبيلَ إليه،
فجعل الله له الحوت آية وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه»^(٢). إلى
أن لقيه وكان من أمره ما كان.

قصة عجيبة تتجلى فيها شرف الرحلة في طلب العلم، وفضل العلم الذي
يُضْحَى في سبيله بكل نفيس وغالٍ.

ولقد عرف السلف الصالح هذا الفضل فسهروا الليالي الطويلة وأنفقوا
الأعمار النفيسة، لأن العلم - بعد الهداية - شرف ما بعده شرف، وعبادة من أجلَّ
العبادات.

هو العَضْبُ المَهْنَدُ ليس ينبو * * * تصيب به مضاربٌ مَنْ أردت
وكنزٌ لا تخاف عليه لصاً * * * خفيف الحمل يوجد حيث كنت
يزيد بكثرة الإنفاق منه * * * وينقص إن به كفاً شددت

رحل الصحابي الجليل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى مصر إلى مدينة
العريش ليكتسب حديثاً واحداً من عبد الله بن أنيس - رضي الله عنه - .

(١) صحيح البخاري (٢٦/١) كتاب العلم، باب (١٦).

(٢) صحيح البخاري (٢٦/١، ٢٧) كتاب العلم، باب (١٦).

ورحل الإمام أحمد شهرين كاملين من بغداد - دار السلام - إلى صنعاء اليمن ليأخذ عشرة أحاديث .

قال سعيد بن المسيب: والله الذي لا إله إلا هو إني كنت أرحل الأيام الطوال لحديث واحد!!

فيا أيتها الأمة الواعية . . ويا أيها الشباب الرائد . . هكذا يطلب العلم ، وهذا طريق طلبه الصحيح .

ولنستمع الآن إلى القصة الرائعة التي ساقها ربنا - تبارك وتعالى - في كتابه ، ففيها العبرة ، وفيها العظة ، وفيها الدروس العظيمة والمواقف الجليلة .

موسى الآن يغادر أرض بني إسرائيل من فلسطين ليركب البحر بعد أن ألقى فيهم خطبة عظيمة وبعد أن انتهى قال له أحد بني إسرائيل : يا موسى : هل تعلم من الناس من هو أعلم منك؟ قال : لا والله لا أعلم أحداً أعلم مني ، وقد صدق ﷺ فهو نبي الله ورسوله ، وهو لا يعلم أحداً أعلم منه ، ولكن الله - عز وجل - عاتبه من فوق سبع سموات وقال له : يا موسى : الخضر في مجمع البحرين أعلم منك فارحل إليه وتزود منه علماً إلى علمك ، قال : يا رب وكيف أعرفه إذا لقيته؟ قال : « يا موسى خذ حوتاً واجعله في مكمل فإذا فقدت الحوت فقد لقيت الخضر ، فأخذ موسى حوتاً مملوحاً وجعله في مكمل وأخذ غلامه يوشع بن نون يحمل معه الغذاء في السفر ، فسارا طويلاً وشقَّ عليهما السير فعندئذ قال موسى لفتاه : ﴿ لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا ﴾ سورة الكهف ، الآية : ٦٠ ، أي لا أزال سائراً إلى مجمع البحرين وهو المكان الذي سوف أجد فيه من هو أعلم مني ، حتى ولو سرت حقبا من الزمان . ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرايا ﴾ سورة الكهف ، الآية : ٦١ ، سار موسى وفتاه حتى بلغا مجمع البحرين فنام موسى وفتاه من شدة التعب والإرهاق ، أما الحوت فقد أصابه رشاش من ماء عين هناك تسمى عين الحياة فاضطرب وانتفض وقفز من المكمل إلى البحر ، فاستيقظ

يوشع عليه السلام، وسقط الحوت في البحر فجعل يسير في الماء وهو ينظر إليه ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٦٢] ، أي المكان الذي نسيا الحوت فيه : ﴿ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٦٢] ، أي تعبًا ، فقد تعب ، عليه السلام ، فأراد أن يستريح قليلاً حتى يستمر في مواصلة الرحلة المضنية قال يوشع : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٦٣] ، فلا طعام ولا غداء ، فالحوت الميت قد تحرك وانطلق إلى سبيله في مشهد عجيب : ﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ﴾ [الكهف: ٦٤] ، أي هذا الذي نطلب : ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٦٤] ، أي رجعا يقصان آثار مشيهما ويقفوان أثرهما ، ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٦٥] ، وهذا العبد هو الخضر عليه السلام وجده موسى عليه السلام عند الصخرة مُسَجَّى بثوب ، فسلم عليه فقال الخضر : وأني بأرضك السلام فقال : أنا موسى ، فقال : موسى بني إسرائيل ؟ قال : نعم ، قد أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً .

ووصف الله - عز وجل - الخضر بأنه آتاه الرحمة وعلمه العلم ، وهذه هي الغاية التي لا يدركها إلا القليل ، فَعَلِمَ بلا رحمة قسوة وجبروت ، ورحمة بلا علم جهل وتردي ، فجمع الله للخضر الاثنين ؛ الرحمة والعلم ، ليكون قدوة لموسى عليه السلام ، قال له موسى : ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦] ، سؤال تلطف لا على وجه الإلزام ، وهذا من حسن أدبه ، عليه السلام ، حيث أنزل نفسه منزلة التلميذ الذي يريد أن يتعلم من أستاذه ، فقال الخضر : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٦٧] ، مع أنه يعرف قوة موسى عليه السلام ، وشدة عزمته في طلبه العلم ، ثم قال له : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨] ، فأنا أعرف أنك سوف تنكر علي ما أنت معذور فيه ، لأنك لم تطلع على حكمته ومصالحته الباطنة التي اطلعت عليها أنا دونك ، فردَّ موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي

إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿سورة الكهف، الآية: ٦٩﴾، سوف أصبر على ما أرى منك من أمور ولن أخالفك في شيء أبداً، فعند ذلك شارطة الخضر عليه السلام: ﴿قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧٠]، إياك أن تسألني عن شيء قبل أن أبدأك أنا به، فاتفقا على ذلك، وانطلقا يمسيان على ساحل البحر حتى بلغا مجمع البحرين، ومر عصفور فتزل حتى شرب من الماء، ثم انطلق فقال الخضر لموسى عليهما السلام: كم ترى هذا العصفور نقص من هذا الماء؟ فأجاب موسى: ما أقل ما نقص!! فقال الخضر: يا موسى فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما نقص هذا العصفور من هذا الماء.

وبينا هما يمسيان على ساحل البحر، إذ مرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر بنوره ووقاره فحملوهم بغير أجر، فركبوا في السفينة، فكان أول ما فعل الخضر أن بدأ يقلع في ألواح السفينة مما يعرضها للغرق، فاندش موسى عليه السلام، وقال منكرًا عليه: ﴿أَحْرَقْتَهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧١]، مع أنهم حملونا بغير نول: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧١]، شيئًا عجبًا، فاعترض موسى عليه السلام؛ لأنه ما كان ليسكت على هذا الأمر المخالف لشريعته، ولكن الخضر عليه السلام، ذكره بالشرط الذي بينهما: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧٢]، لأن ما فعلته من الأمور التي اشترطت عليك ألا تنكر عليَّ فيها، وهو أيضًا من الأمور التي تحتوي على مصلحة لم تعلمها أنت ولم تحط بها خبرًا. فقال موسى مستحيا: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧٣]، أي لا تضيق عليَّ ولا تشدد عليَّ وقد ورد أن هذه المرة كانت من موسى عليه السلام، نسيانًا.

خرج موسى والخضر، عليهما السلام، من السفينة وبينما هما يمسيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان، فتقدم إليه وصرعه على الأرض ثم أخذ رأسه فاقتلعه بيده فقتله، فصرخ موسى: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ

جِئْتَ شَيْئًا نَكْرًا ﴿الكهف: ٧٤﴾، أقتل نفساً صغيرة لم تعمل إثماً قط بغير مستند لقتلها، إن هذا الأمر منكر ظاهر النكارة، فما كان من الخضر عليه السلام، إلا أن أعاد عليه الشرط الذي بينهما: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ﴿الكهف: ٧٥﴾، فأتى بالجار والمجرور تأكيداً على التذكار بالشرط الأول، فاستحى موسى عليه السلام، مرة ثانية وقال في هذه المرة: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ ﴿سورة الكهف، الآية: ٧٦﴾، أي إن اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني بعدها، لأنك قد أعذرت إليّ مرة بعد مرة، وهذه الثانية.

وتبدأ القضية الثالثة وفيها يقول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ * اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ ﴿سورة الكهف، الآية: ٧٧﴾، مرّ موسى والخضر على قرية بخيلة لا تطعم ضيفاً ولا تسقي ظمآن، ولا ترحب بوافد، ومن شدة بخل هذه القرية أن طلب موسى والخضر الطعام فأبوا وهذا من أعظم اللؤم وأشد درجات البخل:

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَا بَيْنَ ضَيْفِهِمْ * * * عَنِ الْقَرِيِّ وَعَنِ التَّرْحَالِ مَطْرُودُ
جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودِهِمْ * * * مِنَ اللِّسَانِ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ

امتنت بيوت هذه القرية أن تضيف هذين الرجلين الصالحين: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ﴾ ﴿الكهف: ٧٧﴾، نزلا في مكان، في سكة من السكك، فوجدا جداراً مائلاً يكاد أن يسقط، فرده الخضر إلى حاله من الاستقامة، فعند ذلك قال له موسى عليه السلام: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ﴿سورة الكهف، الآية: ٧٧﴾، إن هذه القرية أبت أن تضيفنا، فلا هم أطعمونا ولا سقونا ولا آوونا، ثم تأتي أنت فتبني جدارها مجاناً بدون أجر، أما الذين أركبونا في سفينتهم بلا عطية ولا أجر فكان جزاؤهم أن عمدت إلى تخريب سفينتهم، فقال له الخضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ ﴿سورة الكهف، الآية: ٧٨﴾، لأنك شرطت عند قتل الغلام أنك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني فهذا فراق بيني وبينك: ﴿سَأَلْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ

صَبْرًا ﴿سورة الكهف، الآية: ٢٨﴾، سوف أخبرك بتفسير ما أنكرته عليّ من أمور لتعلم أن هناك حكماً باطنة لا تعلمها أنت، قد أطلعني الله - عز وجل - عليها. وقبل أن نستمع إلى الخضر وهو يشرح لموسى عليه السلام ما أشكل عليه من أمور وتصرفات، يحسن بنا أن نعيش بعض الدروس المستفادة من هذه القصة:

● **الدرس الأول:** موسى عليه السلام، على جلالته وعلو قدره يترك موطنه وقومه، ويذهب في رحلة طويلة لتعلم العلم النافع على الخضر، مع أن موسى عليه السلام، أفضل من الخضر بلا شك.

● **الدرس الثاني:** العلم هو قال الله - تعالى - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأي مصنف يخلو من كلام الله - عز وجل - وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، فضرره أكثر من نفعه، لأنه يفتقد إلى نور الكتاب والسنة.

دين النبي محمد أخبار * * نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله * * فالرأي ليل والحديث نهار
* * *

العلم قال الله قال رسوله * * قال الصحابة هم أولو العرفان

● **الدرس الثالث:** ما موقفنا نحن كأمة رائدة مكلفة بقيادة البشرية نحو معالم التوحيد والإيمان، فالكتب قد طبعت في أفخر الطبعات، والأحاديث حققت، وصنعت الفهارس العلمية التي وفرت على الباحث زماناً طويلاً، كان يستغرقه في البحث عن مسألة أو حديث، فليس لدينا عذر في عدم الإقبال على العلم الشرعي، وسوف يسألنا الله - تبارك وتعالى - عن تضييع زماننا وأوقاتنا في غير طلب العلم والرحلة في سبيله.

بقي الإمام أحمد يجمع مسنده أربعين سنة، لم يهدأ له بال ولم يرتاح له خاطر حتى أتمه، دخل مصر والعراق والشام وخراسان والحجاز وصنعاء اليمن، وجمع مسنده حديثاً حديثاً، وبحث في الأسانيد، والعلل والطرق، وها هو مسند

الإمام أحمد يملأ الدنيا، وهو في أدراجنا وفي مكتباتنا، وعلى الأرفف يزيناها، ولكن أين الذين يقرءون المسند؟ أين الذين يعكفون على المسند دراسة وتحقيقاً، وبحثاً في الأحاديث التي تضمنها هذا السُّرُّ العظيم؟ .

كانوا يقرءون في الشمس المحرقة، وفي البرد القارس، مع قلة الطعام والشراب، كان الإمام ابن الجوزي يأتي إلى نهر دجلة ومعه كسر الخبز اليابس، لأنه ما كان يستطيع أن يأكل هذا الخبز بغير ماء حتى لا يتجرح حلقه من شدة يسه .

أما نحن فلا نقرأ مع أن الماء البارد أماننا، وأشهى الأطعمة من حولنا وأجهزة التبريد قد بددت حرارة الشمس الملتهبة، فرحم الله علماء السلف .

● إسحاق الكوسج أحد العلماء، سافر إلى خراسان، وأتاه وهو في الصحراء مطر عظيم وهو يحمل كتبه معه التي جمعها في سنين طويلة، فقال: يا رب هذه كتي تعبت عليها، وسوف يحو هذا المطر المداد الذي كُتِبَتْ به، يا رب أضيع كل هذا الجهد، وكل هذا التعب، يا رب لا تضيعني، فلما انقطع القطر وجف الغيث أخذ يبحث عن كتبه فما وجد حرماً منها أصابه البلل، إلا أن الله - عز وجل - لم يضيعه، رآه الصالحون في المنام وقالوا: يا إسحاق ما فعل الله بك، قال: غفر لي، قالوا: بماذا؟ قال: بما حصل لي في تلك الليلة التي أصابني فيها المطر!!

● وهذا عبد الله بن المبارك، وقف مع شيخه من صلاة العشاء إلى صلاة الفجر يسأله حتى فصل بينهما المؤذن، فقال له تلاميذه: لو أنك أرحت نفسك؟ قال: والله لو وقفت شهراً كاملاً في مسألة ما أنصفتها!!

أولئك الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، يوم طلبوا العلم لوجه الله - عز وجل - لا لأجل أموال زائلة، ولا لأجل منصب دنيوي، ولا لأجل ثناء من الناس عليهم، فهذه الأمور جميعاً لا تساوي ساعة واحدة من تلك الرحلة الطويلة التي قضوها في البحث عن العلم وفي تحصيله من أهله.

● عباد الله:

«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١) ، هكذا قال ﷺ . من يرد الله به خيراً يشرح صدره للإقبال على العلم ، يعلمه المسائل الشرعية ، ويبصره بالأدلة القرآنية التي تزيل عنه الغشاوة وتبهر له طريق الطلب ، وتدله على أقصر الطرق للوصول إلى المطلوب .

وفقني الله وإياكم لما يحبه ويرضاه ، وعلمني الله وإياكم العلم النافع ، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .



(١) أخرجه البخاري (٢٦/١) كتاب العلم ، باب (١٣) ، ومسلم (١٥٢٤/٣) كتاب الإمامة رقم (١٧٥) .

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقدوة الناس إلى ربهم
أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

● أما بعد:

وقبل أن يفارق الخضر موسى عليه السلام، وقف معه وقفة يخبره فيها بما أشكل
عليه من تصرفات حدثت أثناء مسيرهما معًا، الأمر الذي تحير معه موسى،
عليه السلام، وجعله يحتج دائماً وينكر مراراً، حتى بعد أن أخذ على نفسه العهد بأن لا
يحتج ولا يسأل ولا ينكر.

قال له الخضر:

﴿ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ {الكهف: ٧٨}.

● القضية الأولى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ {سورة الكهف، الآية: ٧٩} هذا تفسير القضية
الأولى التي أشكلت على موسى عليه السلام، مما خفي عليه حكمته.

إن هذه السفينة كانت لبعض المساكين، وكانوا يعملون عليها، ويرزقون
بسيبها، وعند الشاطئ على الساحل ملك ظالم جبار، يقف لكل سفينة بالمرصاد،
فهو يأخذ كل سفينة صالحة لا عيب فيها، ولذلك عمدت إلى هذه السفينة
فأحدثت فيها عيباً بسيطاً لا يعطلها، ولا يضرها، حتى لا يلتفت إليها هذا الملك
الظالم ويتركها إذا شاهد العيب الذي فيها.

● القضية الثانية: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يَرُهِقَهُمَا طُغْيَانًا
وَكَفْرًا﴾ {الكهف: ٨٠}، وورد أن هذا الغلام طبع يوم طبع كافراً^(١)، وكان أبواه

(١) أخرجه مسلم مرفوعاً من حديث أبي بن كعب (٤/٢٠٥٠) كتاب القدر، رقم (٢٩).

مؤمنين، فخشى الخضر أن يحملهما حبه على متابعتة على الكفر. قال قتادة: قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقي لكان فيه هلاكهما، فليرض كل امرئ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحبّ قال - تعالى - ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ {البقرة: ٢١٦}، ثم علل الخضر قتله بقول: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ {سورة الكهف الآية: ٨١} أي ولدًا أذكى من هذا الغلام وهما أرحم به منه، وقيل: لما قتله الخضر كانت أمه حاملًا بغلام مسلم.

● القضية الثالثة: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ {الكهف: ٨٢}، يقول الخضر: إن هذا الجدار إنما أصلحته لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما، فلو سقط الجدار لظهر هذا الكنز ولأخذته الناس، فهذا من حفظ الله - عز وجل - لأبناء العبد الصالح بعد وفاته، ولذلك قال الخضر: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ {سورة الكهف الآية: ٨٢}، فانظر إلى تقدير رب العزة - سبحانه وتعالى - كيف حفظ هؤلاء الأبناء بصلاح أبيهم، وفي الغالب أن الأب إذا كان صالحًا كانت ذريته كذلك، وإذا كان فاجرًا غلب على ذريته الفجور والفسق. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ {سورة الكهف الآية: ٨٢}، وهنا أسند الإرادة إلى الله - عز وجل - تأدبًا مع الله - عز وجل - حيث أسند ما هو خير محض إلى الله - عز وجل - وكذلك بلوغ الغلامين الحلم لا يقدر عليه إلا الله - عز وجل - أما في مسألة السفينة، فقال: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ {سورة الكهف الآية: ٧٩}، فنسب الإرادة إلى نفسه لأن ظاهر الفعل الفساد، وإن كان حقيقته غير ذلك.

ثم بين الخضر بعد ذلك أنه ليس له من الأمر شيء فقال: ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ {سورة الكهف الآية: ٨٢}، إن هذا الذي فعلته في هذه الأحوال الثلاثة

إنما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة، ووالدي الغلام، والغلامين اليتيمين، وما فعلته عن أمري ولكني أمرت به ووقفتُ عليه، ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٨٢]، أي هذا تفسير ما ضقت به ذرعاً ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداءً.

● أيها المسلمون:

هذه هي الرحلة، التي ارتحلها موسى عليه السلام لطلب العلم، باحثاً عن المعرفة، طالباً للحكمة، فهلا حرصنا على طلب العلم، وحضور مجالس العلماء، وهلا اجتهدنا في التفقه في الدين، والاسترشاد بأقوال أهل العلم من فقهاء الأمة الذين هم أهل الحل والعقد عند المسلمين.

● عباد الله:

وصلوا وسلموا على من أمركم الله، بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

● وقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١).

اللهم صلِّ على نبيك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين.

وارض اللهم عن أصحابه الأظهار، من المهاجرين والأنصار، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك ومنك يا أكرم الأكرمين.



(١) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤).

■ حق المسلم على المسلم ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الاحزاب الآيات : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسنَ الهديِ هديُّ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النارِ.

● أيها الناس :

إن من أعظم مقاصد الشريعة، ومن أجل أهداف الإسلام، أن يؤلف بين القلوب، وأن يجمع بين الصفوف، وأن يوحد الكلمة، وأن يرأب الصدع، وأن يزيل أسباب الخلاف والتدابير والتقاطع، وإذا لم يتم ذلك في واقع المسلمين، وفي حياة الأمة، فيجب أن نعلم جميعاً أننا ما التزمنا بالإسلام، وما اهتدينا بنور القرآن، وما تشرفنا بالسير على هدي رسول الأنام ﷺ، يقول الله تعالى ممتناً على هذه الأمة: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ {سورة الأنفال، الآية: ٦٣} فسبحان من ألف بين هذه القلوب وسبحان من وحد بين هذه الأجناس، وسبحان من جمّع بين هذه الألوان واللغات والعادات.

جمع الله بين بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعلي القرشي في وحدة وألفة وترابط أخوي لم يعرف التاريخ له مثيلاً.

والله تبارك وتعالى يأمرنا بالاعتصام بحبله جميعاً، وبنهانا عن التفرق والتشردم والتحزب، وعن موجبات ذلك من العصبية القبلية أو التعصب للون، أو الجنس، أو اللغة، فكل هذه العصبيات موضوعة في الإسلام، قد جعلها النبي ﷺ تحت قدميه.

فلماذا يبغض بعضنا بعضاً، ولماذا يحسد بعضنا بعضاً، ولماذا يغتب بعضنا بعضاً، ولماذا هتكت الأعراس والتقاطع والتدابير والتباغض، والله - عز وجل - يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣].

● أيها المسلم:

اعلم أنك لن تنال رضوان الله عز وجل، ولا رحمة الله تبارك وتعالى وعفوه ومغفرته، إلا بمحبتك لأخيك المسلم، ويره ومساعدته، فالله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، وإن رحمة الله - عز وجل - تنزل بمساعدة الإخوان، وتقديم العون لهم، ومحاولة التيسير على المعسرين وأهل الحاجة، قال الله تعالى: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحج، الآية: ٧٧]، ويقول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»^(١).

● وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ سُلَامِي^(٢) من

(١) أخرجه البخاري (٩٨/٣) كتاب المظالم باب (٣). ومسلم (١٩٩٦/٤) كتاب البر والصلة رقم (٥٨).

(٢) «السلامي» أصله عظام الأصابع وسائر الكف، ثم استعمل في سائر عظام البدن ومفاصله.

الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة^(١).

● ويقول النبي ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»^(٢)، وإفشاء السلام معناه التواضع لعباد الله، والمحبة لهم ومسالمتهم، وعدم إضرار شيء في نفسه لهم، ويوم يتخلى الناس عن السلام، ويوم يستهينوا بهذه الشعيرة العظيمة من شعائر الدين، فيمر بعضهم على بعض بلا سلام ولا تحية، تظهر الضغائن، وينتشر الحقد والحسد والبغض بين الناس، وهذا من فساد ذات البين الذي حذر منه نبينا ﷺ بقوله: «إياكم وفساد ذات البين، فإن فساد ذات البين الحالقة؛ لا أقول تحلق الشعر وإنما تحلق الدين»^(٣).

فعليك أيها العبد المسلم أن تُخرج من قلبك كل حقد، وكل حسد، وكل بغضاء تجدها لأحد من المسلمين، إذا طرحت نفسك على الفراش، ووكلت أمرك إلى خالك فاسأل الله - عز وجل - أن ينزع من قلبك كل غشٍّ وضيعنة، وحسد وبغضاء.

● عباد الله:

أراد النبي ﷺ أن يبين لأصحابه فضل محبة المسلمين وعدم إضرار شيء لهم وسلامة الصدر تجاههم فيينا هو جالس مع أصحابه ذات مرة، إذ قال ﷺ لهم: «يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة»، فطلع رجل من الأنصار، يتساقط ماء الوضوء من لحيته، وقد علَّق نعليه في شماله، فلما كان من الغد قال

(١) أخرجه البخاري (٢٢٤/٣) كتاب الجهاد باب (٧٢، ١٢٨). ومسلم (٦٩٩/٢) كتاب الزكاة رقم (٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤/١) كتاب الإيمان، رقم (٩٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٥٧٢/٤) كتاب صفة القيامة، رقم (٢٥٠٨) قال أبو عيسى: حديث صحيح غريب. وحسنه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٢٦٨٣).

رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة»، فطلع ذلك الرجل على مثل مرتبته الأولى، فلما قام رسول الله ﷺ، اتبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال لذلك الرجل: إني خاصمت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاث ليالٍ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تحلَّ يميني فعلت، فقال: نعم، فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث أنه بات معه ليلة أو ثلاث ليالٍ، فلم يره يقوم من الليل بشيء، غير أنه إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، فيسبغ الوضوء، قال عبد الله: غير أنني لا أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليالٍ كدتُ أحترق عمله، قلت: يا عبد الله إنه لم يكن بيني وبين والدي غضب هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات في ثلاث مجالس: «يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة» فطلعت أنت تلك الثلاث مرات، فأردت أوي إليك فأنظر عملك، فلم أرك تعمل كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟ قال: ما هو إلا ما رأيت. فانصرفت عنه فلماً وليتُ دعائي فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنني لا أجد في نفسي غلاً لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه. قال عبد الله بن عمرو: هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطبق^(١).

● أيها المسلمون:

لينظر كلُّ منا في قصة هذا الرجل وليأخذ منها العبرة والعظة، ما الذي بلغ بهذا الرجل تلك المنزلة الرفيعة، ما الذي جعله من المشهود لهم بالجنة والفضل وهو لا زال يعيش على ظهر هذه الدنيا؟ ما أعماله؟ ما عبادته؟ ما جهاده؟ إن الذي بلغ بهذا الرجل تلك المنزلة هو سلامة الصدر لإخوانه المسلمين، ينام

(١) أخرجه أحمد (١٦٦، ٣٥٦) والنسائي في اليوم والليلة رقم (٨٦٣) وابن السني في اليوم والليلة رقم (٧٥٤). قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (٣/١٨٧): رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

وليس في قلبه غشٌ ولا حسدٌ ولا بغضاء لأحد، وهذا ليس بالأمر اليسير ولذلك قال عبدالله بن عمرو: «هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق».

إن من الناس من يتصدق ولكنه حقود، ومنهم من يدعو لكنه حسود، ومنهم من يقوم الليل ويقوم النهار، ولكنه يؤذي جيرانه، ويأكل لحوم إخوانه المسلمين ويقع في أعراضهم.

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم * * * وأنتُم يا عبَادَ اللَّهِ إخوان

إن اليهود والنصارى والشيوعيين وأهل الحداثة والعلمانيين يختلفون فيما بينهم؛ ولكنهم يتفقون على حرب الإسلام والمسلمين، أما أهل الإسلام فمشارب وأساليب وأهواء وجماعات وأحزاب، ولا نراهم يتفقون حتى على حرب أعدائهم من أهل الإلحاد وفرق الكفر والزندقة.

● الرسول ﷺ يبين حق المسلم على المسلم فيقول: «المسلم أخو المسلم» ولك أن تتصور حقوق أخيك عليك، وما يجب عليك تجاهه: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه وماله وعرضه»^(١).

ما أعظم تلك الحقوق، وما أجلّ هذه التوجيهات، لا يظلم المسلم أخاه، لأن عاقبة الظلم وخيمة ولذلك فإن الله - عز وجل - حرم الظلم على نفسه، ولا يخذل المسلم أخاه بأن يترك إعانته ونصره والدفاع عنه في موطن يستطيع أن ينصره فيه، ولا يحقر المسلم أخاه بأن يستهزئ به ويستهين به ويستقله ويستصغر شأنه، فهذا كله ليس من أخلاق المؤمنين.

فيا من يجلس في مجالس الغيبة والنميمة، ويا من يقضي وقته في هتك الأعراض والتفكك بالحرمات، أما تعرف أنك تحارب الله؟ أما تعرف أنك تعلن

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٨٦) كتاب البر والصلة، رقم (٣٢).

الحرب على جبار السموات والأرض، أما تعرف أنك تهدم في صرح هذه الرسالة الخالدة، اتق الله في نفسك، اتق الله في مصيرك، واعلم بأننا أمة واحدة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ {الحجرات: ١٠}، واعلم بأن الله عز وجل سوف يقتصم منك لا محالة، وسوف يأخذ من حسناتك لتجعل في موازين من اغتبت وظلمت وشتمت، حتى إذا فنيت حسناتك أخذ من سيئاتهم لتجعل في ميزانك حتى تطرح في النار^(١): ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ {الحج: ٣٨}.

إن هناك من يتخذون أساليباً في الدعوة والتربية تضر مسيرة الصحوة الإسلامية ضرراً بالغاً، إنهم يتحزبون ضد إخوانهم، ولا يتلمسون لغيرهم العذر، ويشككون في مصداقية الدعوة ونياتهم، مما يعمل على تفريق الأمة وتمزيقها إلى جماعات وأحزاب متعادية.

كيف يتحد أهل الباطل ضدنا ويكونون صفاً واحداً في حربنا مع أنهم أعداء فيما بينهم، ثم نتعادي نحن ونتقاتل ونتباغض!!

● فيا عباد الله:

لقد تشتت الأسر في مجتمعاتنا، يوم أن قطعنا أرحامنا وحصل الفساد فيما بيننا: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ {محمد: ٢٢}.

إن من الأرحام من يحقد على رحمه، ويتعرض له بالكيد والدسائس، ولذلك فقد قست القلوب، وجفت العيون، وقلَّت الأرزاق، وذهبت البركة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فأين نحن من قول النبي ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»^(٢). فأين هذا من أناس جعلوا

(١) ورد بذلك الحديث الصحيح. انظر صحيح مسلم (١٩٩٧/٤) كتاب البر والصلة رقم (٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٠٥/٤) رقم (٢١٦٢).

السلام على المعرفة والمكانة، فلا يسلم أحدهم إلا على الكبار، والنبي ﷺ يقول: «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه»^(١).

• وبين النبي ﷺ أن السلام لا يكون على المعرفة ولا يكون على المكانة، فروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل النبي ﷺ: «أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(٢).

فالسلام هو شعار المحبة والود الذي أقامه رسولنا ﷺ وحث على إرسائه وتثبيته في قلوب أتباعه وأمته من بعده، وعند البخاري موقوفاً على عمار بن ياسر أنه قال: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»^(٣).

وبذل السلام للعالم - هنا - يتضمن تواضع العبد، وأنه لا يتكبر على أحد، بل يبذل السلام للصغير والكبير، لمن عرف ومن لم يعرف.

ومن حق المسلم على أخيه أيضاً إجابة دعوته، ومن الدعوات ما تكون واجبة، ومنها ما تكون مستحبة، ومنها ما يحرم إجابتها، فأما التي هي واجبة فالدعوة إلى وليمة الزواج، ما لم يكن هناك منكر، وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «إذا دعيت إلى وليمة فليأتها»^(٤). والوليمة هي وليمة العرس، وفي لفظ في الصحيح أيضاً: «إذا دعيت إلى وليمة فليأتها»^(٥).

قال أهل العلم: هذا الأمر للوجوب، أي يجب عليك أن تجيب الداعي ما لم يكن هناك منكر أو شيء يخالف الشرع.

(١) أخرجه أبو داود (٣٥١/٤) رقم (٥٢٠٠) قال الألباني: رواه بإسنادين أحدهما صحيح كما في المشكاة رقم (٤٦٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/١)، ومسلم (٦٥/١) رقم (٣٩).

(٣) أخرجه البخاري (١٢/١) معلقاً، وقد وصله عبد الرزاق في المصنف رقم (١٩٤٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (١٤٣/٦)، ومسلم (٢/١٠٥٢) رقم (١٤٢٩).

(٥) صحيح مسلم (١٠٥٣/٢) رقم (١٤٢٩).

● عباد الله:

إن من الناس من يدعو إلى وليمته وطعامه عِلْيَةَ القوم، وكبار الشخصيات، ويترك الفقراء والمساكين وهم أحقّ بالدعوة من هؤلاء وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «شرُّ الطعامِ طعامُ الوليمةِ يُمنَعُها من يأتها، ويدعى إليها من لم يأتها»^(١).

فشرُّ الولائم التي للرياء والسمعة، يدعى إليها الأغنياء، ويمنع منها الفقراء.

وهناك من الناس أيضاً من لا يجيب الداعي إلا إذا علم أنه من الأغنياء وأنه سوف يذبح كذا وكذا، وسوف يقدم كذا وكذا، فهذا أيضاً مخالف لهدي الإسلام، لأن النبي ﷺ وهو خير البشر كان يقبل دعوة كل أحد، وكان يقول ﷺ: «لو دعيت إلى ذراعٍ أو كراعٍ لأجبت، ولو أهدى إلي ذراعاً أو كراعاً لقبلت»^(٢).

ويقول ﷺ أيضاً: «يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارةً لجارتها ولو فرسن شاة»^(٣).

● عباد الله:

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.



(١) أخرجه البخاري (١٤٤/٦)، ومسلم (١٠٥٤/٢) رقم (١٤٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩/٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩/٣)، ومسلم (٧١٤/٢) رقم (٩٠) والفرسن: عظم قليل اللحم وموضع الحافر في الإبل.

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله المعروف بالإحسان المحمود بكل لسان، الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، الشمس والقمر بحسبان، والنجم والشجر يسجدان، والصلاة والسلام على رسول الإسلام، وهادي الأنام، أفضل من صلى وصام، وطاف بالبيت الحرام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

● عباد الله:

ومن حقوق المسلم على أخيه أداء النصيحة إليه، فالنصيحة واجبة عند أهل العلم، وقد قال ﷺ: «الدين النصيحة، قالوا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

والنصيحة من نصرة المسلم لأخيه وعدم خذلانه، وقد قال، ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، قلنا يا رسول الله ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: ترده عن الباطل فإن ذلك نصره»^(٢).

فالواجب علينا أن نتناصح فيما بيننا، والإنسان لا يسلم من الخطأ والسيان، ونحن جميعًا يعترينا الخطأ في كثير من تصرفاتنا، فالواجب على الأخ الناصح إذا رأى أخاه قد أخطأ في قضية أو مسألة أو اجتهاد أو تصرف، أن يذهب إليه وينصحه، ولن يجد من أخيه إلا الحب والدعاء والبشر والاستقبال الحسن.

أما أن ينتقصد إخوانه وينال منهم في المجالس، ويتعرض لأعراضهم، ثم يهرب من أداء النصيحة إليهم في وجوههم، فإن هذا من الغش لله ولرسوله ﷺ، وللمؤمنين.

(١) أخرجه مسلم (٧٤/١) رقم (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٩٨/٣) من حديث أنس واللفظ له، ومسلم (١٩٩٨/٤) رقم (٢٥٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

ومن علامة المؤمن ، أنه يتلطف في نصحه ، فيذهب إلى أخيه ويأخذه على انفراد ويسرّ إليه بالنصيحة ، ولا يُشهرّ به أمام الناس ، لأنه لا ينبغي من وراء ذلك إلا رضى الله - عز وجل - .

وللنصيحة آداب منها: الإخلاص ، ومنها الصدق في أدائها ، ومنها الإسرار بها واختيار الأسلوب اللين الذي لا يجرح شعوراً ولا يسبب ضغينة .

فالإسرار بالنصيحة من هدي النبي ﷺ ؛ لأن النصيحة على رءوس الأشهاد فضيحة وتشهير .

ومما يروى عن الشافعي - رضى الله عنه - قوله :

تعمدني بنصحك في انفراد * * * وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع * * * من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت أمري * * * فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

● عباد الله :

ومن حق المسلم على أخيه أن يشمته إذا عطس ، فقد ورد في الحديث : «إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه : يرحمك الله ، فإذا قال : يرحمك الله ، فليقل : يهديك الله ويصلح بالك»^(١) .

وعن أنس أنه عطس عنده رجلان ، فشمت أحدهما ، ولم يشمت الآخر ، فقال الذي لم يشمته : عطس فلان فشمته ، وعطست فلم تُشمتني ، فقال : هذا حمداً لله ، وأنت لم تحمد الله»^(٢) .

وروى أبو موسى الأشعري عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا عطس أحدكم

(١) أخرجه البخاري (١٢٥/٧) وأحمد (٣٥٣/٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١٢٥/٧) ، ومسلم (٢٢٩٢/٤) ، رقم (٢٩٩١) ، والترمذي (٧٨/٥) رقم (٢٧٤٢) ، وابن

ماجه (١٢٢٣/٢) رقم (٣٧١٣) .

فحمد الله فشمته، فإن لم يحمد الله فلا تشمته»^(١) . فإذا قال العاطس : الحمد لله ، فواجب علينا أن نقول له : يرحمك الله ، وإذا سكت فلم يحمد الله ، فليس علينا أن نقول له يرحمك الله عملاً بهذا الحديث عن النبي ﷺ .

● أيها المسلمون:

ومن حق المسلم على أخيه عيادته إذا مرض ، وعيادة المرضى من الأمور التي تزرع المحبة والألفة بين المسلمين ، ولذلك فقد جاءت الأحاديث الصحيحة مبيّنة فضل زيارة المرضى منها ما رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من عاد مريضاً لم يزل في خُرقة الجنة حتى يرجع»^(٢) . وقد عاد عليه الصلاة والسلام أصحابه ودعا لهم منهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عاده رضي الله عنه ودعا له^(٣) .

وعاد عليه الصلاة والسلام جابر بن عبد الله رضي الله عنه فوجده مغمى عليه فتوضأ ، عليه الصلاة والسلام ، وصبَّ عليه الماء فاستفاق^(٤) .

وعاد عليه الصلاة والسلام أعرابياً جافياً ودعا له فأبى^(٥) .

وهناك آداب لعيادة المرضى ينبغي على المسلم مراعاتها ، منها عدم إطالة الجلوس عند المريض ، وقد ذكر الذهبي في ترجمة سليمان بن مهران الملقب : «بالأعمش» أنه مرض مرضاً مزمنًا ، فدخل عليه الناس ، وترددوا عليه كثيراً حتى أزعجوه ، فكان من أمره أن كتب ووصف مرضه وما يعاني منه في ورقة ، ووضعها تحت وساده التي ينام عليها ، فكان كلما سأله أحد عن مرضه أخرج هذه الورقة وقال له : اقرأ!! فلما كثر الناس عليه ، قفز فأخذ المخدة وجعلها تحت إبطه ووقف وقال للناس : شافى الله مريضكم!!

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٢/٤) رقم (٢٩٩٢) ، وأحمد (٤١٢/٤) .

(٢) صحيح مسلم (١٩٨٩/٤) رقم (٢٥٦٨) وخُرقة الجنة : بسايتها .

(٣) انظر : صحيح البخاري (٦/٧) ، ومسلم (١٢٥٣/٣) رقم (١٦٢٨) .

(٤) انظر صحيح البخاري (١٤٩/٨) ، وصحيح مسلم (١٢٣٤/٣) رقم (٥ - ٧) .

(٥) أخرجه البخاري (٧/٧) .

فعلى المسلم أن يراعي حال المريض في الزيارة، وعليه أيضاً أن يتحرى وقت العيادة بحيث يكون مناسباً للمريض، فلا يكون عند نومه، ولا عند طعامه، ولا عند صلاته، بل يجتهد في معرفة الوقت المناسب للعيادة.

كذلك ومن آداب العيادة، تهوين أمر المرض على المريض، وذلك باختصار الكلمات المناسبة التي تدخل عليه الفرح والسرور، وليس كما يفعل بعض الناس - هداهم الله - فإنهم يشعرون المريض بأن مرضه خطير وحاله سيئة، وأنه يجب عليه أن يوصي بماله، وأن يوزع تركته، وكأن ملك الموت ينتظره عند الباب.

وهذا خطأ جسيم، فالحالة النفسية لها دورها في تعجيل الشفاء، ولذلك فإن النبي ﷺ كان إذا عاد مريضاً قال له: «لا بأس طهور إن شاء الله»^(١) كما فعل مع الأعرابي.

ولكن قال بعض أهل العلم: إذا وجدت رجلاً قد اشتد مرضه، وظهرت عليه علامات الموت، وأصبح قريباً من الآخرة، فحسن ظنه بالله، وبشره بالجنة، وحسن رجاءه في الله.

● أيها المسلمون:

إن حقوق المسلمين على إخوانهم لا تنقطع ولا تنتهي حتى بعد الموت، فللمسلم حقوق على إخوانه حتى بعد أن يصبح جثماناً، وتصعد روحه إلى بارئها.

فمن حقوقه بعد وفاته: اتباع جنازته، والصلاة عليها، ومواصلته بالدعاء بالمغفرة والرحمة، فهذه هي أخوة الإسلام وهذا هو ميثاق الإيمان، وقد قال ﷺ: «من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان»، قيل: وما القيراطان؟ قال: «مثل الجبلين العظيمين»^(٢). وانظر إلى عظم الأجر وجزيل الثواب مع أن العمل بسيط والمشقة محدودة.

(١) أخرجه البخاري (٢/٩٠)، ومسلم (٢/٦٥٢) رقم: (٩٤٥).

(٢) متفق عليه.

● أيها الناس:

إن حقوق المسلمين كثيرة، لا نستطيع في هذه الدقائق أن نستوعبها، وإذا لم يستطع أحد منا أن يقوم بكل ما عليه تجاه أخيه من حقوق، فعليه أن يكف شره عن عباد الله، فلا يغتاب أحداً، ولا ينال من عرض أحد، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَاب بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ {الحجرات: ١٢}.

وقد بلغ الحسن البصري أن رجلاً قد اغتابه، فأتي بطبق ووضع فيه رطباً ثم قال لخادمه: اذهب إليه وقل له: أهدى لنا حسناته، وأهدينا له رطباً!!

وأتى رجل إلى جعفر الصادق، فسب رجلاً من المسلمين في مجلسه، فقال له جعفر الصادق: أيها الرجل.. أقاتلت الروم؟ قال: لا. فقال له: أقاتلت فارس؟ قال: لا. قال: أجاهدت الكفار؟ قال: لا. فقال: سبحان الله!! يسلم منك الروم وفارس واليهود والنصارى، ولا يسلم منك المسلمون!!

فاتق الله أيها المسلم في أعراض المسلمين، فعرض المسلم أمره عظيم، وشأنه خطير، فكيف يزين لك الشيطان أن تتحدث في أعراض إخوانك، فتعدل هذا، وتجرح ذاك، وتشتتم هذا، وتسب هذا، وقد يكون هذا الذي سببت وتشتتم أفضل منك وأتقى منك لله - عز وجل -.

فأين نحن من أبي الدرداء الذي كان يدعو في السحر لسبعين من أصحابه، وأين نحن من الإمام أحمد وقد رأى ابن الشافعي فقال له: أبوك من الذين أدعوا لهم كل يوم!!

وأين نحن من الإمام الشافعي يوم عاتبه بعض الحاقدين في زيارته للإمام أحمد وقالوا له: كيف تزوره وأنت أكبر منه سنًا؟ فرد عليهم قائلاً:

قالوا يزورك أحمد وتزوره * * * قلت الفضائل لا تغادر منزله
إن زارني فلفضله أو زرتُه * * * فلفضله فالفضل في الحالين له

فألله الله في الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، والله الله في حفظ عورات المسلمين وأعراضهم، والله الله في التناصح والتألف والتآزر.

● عباد الله :

وصلوا وسلموا على مَنْ أَمَرَكَ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ {الاحزاب: ٥٦} .
وقد قال ﷺ: « من صلى عليَّ صلاةً، صلى الله عليه بها عشراً »^(١)،
فاللهم صلِّ على نبيك وحبيبك محمد ﷺ ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في
هذه الساعة يا رب العالمين .



(١) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤) .

■ قصة عائذ إلى الله ■

إنَّ الحمد لله، نحمدهُ ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

● أما بعد أيها الناس :

ما أجمل العودة إلى الله - عز وجل - وما أروع التائب يوم يتذكر أن له رباً قادراً، يراه على حاله من الذنوب والمعاصي، فينتفض بدنه، ويخشع قلبه، ويندم ندماً عظيماً، ويعزم على التوبة والعودة والإنابة.

يارب عفوك لا تأخذ بزلتنا * * * وارحم إلهي ذنباً قد جنيناه
 كم نطلب الله في ضرٍ يحلُّ بنا * * * فإن تولت بلايانا نسيناه
 ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا * * * فإن رجعنا إلى الشاطي عصيناه
 ونركب الجوفي أمن وفي دعةٍ * * * فما سقطنا لأن الحافظ الله

• عباد الله :

* يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿

{سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥، ١٣٦}

* وقال عز من قائل : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ {سورة الزمر، الآية: ٥٣} .

هذه قصة أرويهها هذا اليوم؛ قصة عائد إلى الله، قصة تائب عرف طريقه المستقيم إلى الله، رجل يعيش ولا يزال يعيش على قيد الحياة، رجل نيف على الخمسين من عمره، عابد من العباد، ولي من الأولياء، نحسبه كذلك والله حسيبه، لا أذكر اسمه، فقد سألني بالله ألا أذكر اسمه للناس يوم أروي هذه القصة، يعيش في مدينة من مدن بلادنا، هذا الرجل قصته عجيبة تروي قصة الإنسان، يوم يعيش حياتين وفترتين ومرحلتين، يوم يعيش في أول عمره الضياع والهيام والضلال والشroud والتمرد على أمر الله - تبارك وتعالى - : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ {سورة الفرقان، الآية: ٤٤} .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ﴾ {سورة الجاثية، الآية: ٢٣} . هذا الرجل كان يعمل جندياً حارساً، يتولى نوبته ببندقيته، لكنه ما يعرف الله، يقول: مرت بي تلك الفترة، والله ما سجدت لله سجدة إلا رياءً ومجاملة للناس، كانت تمر به الأشهر الطويلة لا يغتسل من الجنابة، لا يركع ركعة، لا يتلو القرآن، لا يذكر الواحد الديان، شاردٌ على الله، ميت بمعنى الكلمة، ليلهُ سهر مع الغناء الماجن، مع رفقة السوء، مع شلل الإجرام، مع عصابات التمزق والفسل والانهازم، مع الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، فإذا أدركة النوم نام بلا طهارة، كالبهيمة التي لا تعقل،

ميتٌ لا يعرف مواقيت الصلاة، لأنه لا يصلي، وإذا استيقظ استيقظ متى يريد بلا طهارة، بلا وضوء بلا عبادة، بلا ذكر. والعجيب أنه كان قوي البنية، ضخم الهيئة، لكنه ضعيف القلب مهزوم الإرادة، لا يعرف هدفاً للحياة، وكان يكره التدين وأهل الدين، حتى إذا رأى أهل الدين والالتزام، جعلهم مجالاً لاستهزائه وسخريته، لأنه يرى أن الإسلام رجعية، وأن الدين تخلف، وأن السنة قد مضى عهدها ولم تعد صالحة للتطبيق.

ولطالما زاره الدعاة لما سمعوا من إجرامه وفساده، ووعظوه وحذروه وأذروه، فكان يردد كلمته المشهورة: «كفر صراحٌ ولا دين مخشخش» يتهم بذلك أهل الدين بالنفاق وعدم الصدق، وأنهم مداهنون متملقون، وهذا من آثار الغزو الفكري الذي يصور المتدينين بصور النفاق والإرهاب والتطرف.

هذا الرجل قاطع والديه وهما على بعد ثلاثمائة كيلو متراً منه، هجرهم، وسبهم، وشتمهم.

كان يجلس مع رفقة السوء فيستهزئ بالصالحين واللحي والسنن والعبادات والطاعات.

﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ﴾ { عيس: ١٧ - ٢٠ }. ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ * فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ {سورة البلد، الآيات: ٨ - ١٠}. ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿ {الانفطار: ٦ - ٨} ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ {الإنسان، الآيات: ١ - ٣}.

واستمرت السنوات تلو السنوات وهو يعيش في ظلام كما يعيش كثير من الشباب المعرض عن الله، يأكلون ويشربون ويطلبون ويزمرون ويرقصون، لكن لا يعرفون الله.

مساكين الذين يتصورون الحياة دُفًا ونايًّا ووترًا. . مساكين الذين جعلوا الحياة لذة وشرابًا وأكلًا كالبهائم، مساكين الذين ما عرفوا حلاوة وطعم ولذة الإيمان، واستمرت الليالي والأيام بهذا الرجل وهو في حراسته، يحمل بندقيته، يسمع النداء الخافق العالي بالأذان، فلا يجيب داعي الله، يرى الصالحين يتوجهون إلى المسجد فلا يشاركونهم أبدًا.

وفي يوم من أعظم أيام عمره قىض الله له داعية عملاقًا، لا أعرفه أنا وإنما يعرفه كثير من العلماء وطلبة العلم في هذه المنطقة وفي غيرها اسمه: محمد ابن حمود اليميني، رجل ما ذكرته الكتب لكن ذكرته القلوب، وما عرفته الصحف ولكن عرفته الأرواح، وما سجل في الجرائد لكن سجله الله في الخالدين، حَدَّثنا بتواتر عنه أنه كان يأخذ القلوب فيسافر بها إلى الله.

وأقف في قصة حَدَّثنا بها بعض الصالحين، قصة تتحدَّث عن هذا الداعية. يقول الرجل الصالح: رأيت في المنام رسول الله ﷺ رأيت كأنني في سوق، وقد اجتمع الناس يتبايعون ويشترون، في السوق وإذا برسول الله ﷺ بأبي هو وأمي يرتقي إلى منبر السوق، وإلى مكان عالٍ في السوق فيعظ الناس ويبكي ويبكي الناس، قال حتى رأيت بعض الناس سقطوا مغمى عليهم من التأثر، فرشوا بالماء وحملوا من السوق - هذه رؤيا منام - قال وفي الصباح نزلت إلى سوق البلدة فوفقت مع الناس فلما حميت الشمس وارتفع النهار، واجتمع الناس وإذا بهذا الداعية يصعد منبرًا منصوبًا في السوق، يكبر ويهلل وتتسابق دموعه قبل كلماته، قال فرأيت الناس يتساقطون من التأثر، ويرشون بالماء ويحملون إلى الظل، فكان هذا تأويل رؤياي من قبل، وعلمت أن هذا الداعية من الصالحين، وأنه يسير على هدي رسول الله ﷺ ويقضي أثره في الدعوة إلى الله - عز وجل.

● أيها المسلمون:

نعود إلى قصة الرجل الأول، قال: وفي أثناء نوبتي في الحراسة أخذًا بندقيتي

بجانب مسجد في هذه البلدة، والناس يتوافدون لأداء الصلاة، وأنا لا أعرف الصلاة، إذا بهذا الداعية يرتفع صوته بعد صلاة العصر منذراً ومحذراً ومذكراً وهو يتلو قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ [الحج، الآية: ١] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

ثم أخذ يشرح الموقف والعرض الأكبر، ويصف الجنة والنار وقد سلم هذا الرجل قلبه لهذا الداعية، ووصل صوته إلى قلبه قبل أن يصل إلى أذنيه، لأن الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب. قال: فأسر قلبي بين يديه: ﴿ فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [سورة محمد: ٤]. قال: وانتقلت من البلدة بروحي فما أدري ما أنا، وأصابني من الإعياء ومن البكاء ومن الإغماء ما الله به عليم حتى ما استطعت أن أتحمّل على رجلي، فجلست على الأرض، قال: وكان صوته ينفذ إلى القلب مباشرة، وهو يتحدث عن الحشر، وأحوال الناس فيه، والصحف وتطاييرها، فأخذ يمينه، وأخذ بشماله. اللهم سلم سلم.

قال: وأخذت في البكاء إلى قبيل المغرب حتى سلمت نوبتي لزيملي، وذهل الناس مني واجتمعوا عليّ، قالوا: ما لك؟ قلت: لا شيء، أتوب إلى الله، أستغفر الله، أعود إلى الله، اللهم اغفر لي اللهم ارحمني.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ فَسَوْفَ يَرْحَمْهُ إِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ لِمَنْ يَرْحَمْهُ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٥].

وهكذا يفعل الداعية المخلص في القلوب، وهكذا يفتح مدناً من القلوب بالكلمات، لا تفتحها الجيوش المجيشة، ولا الجنود المجنّدة، وقام هذا الرجل، وذهب فاغتسل من الجنابة، التي مكثت عليه أشهراً طويلة، وغير ملابسه؛ لأنه قد تغير قلبه، وقام يستغفر ويتوب ودموعه تتسابق مع قطر ماء الوضوء.

إذا اشتبكت دموع في حدود

تبيّن من بكى ممن تباكى

قال وأول صلاة صليتُها صلاة المغرب، فلما صليت وإذا أنا بالداعية فسلمت عليه، فهشَّ وبشَّ في وجهي، وكأنه اشتراني وأعتقني والله، وعانقه في نفس الوقت وهذا هو السحر الحلال، وهو تَبَسُّمُ أهل الفضل وأهل النبل وأهل العلم ليشتروا القلوب بجنة عرضها السموات والأرض.

يقول الله لرسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ {القلم: ٤}. ويقول له: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ {آل عمران: ١٥٩}، قال فذهب بي هذا الداعية إلى بيت يجاور المسجد، وسألني لماذا أبكي؟ فقصصت عليه قصة حياتي فشاركني في البكاء وقلت الآن أولد مولدًا جديدًا.

﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ {سورة الأنعام، الآية: ١٢٢}، وأخذ يحدثني من الهداية، وعن طريق الجنة، وعن ثواب الله للصادقين، وعن جزائه للتائبين، وعن إقباله على المقبلين، قال: وسألني كم أحفظ من القرآن؟ قلت: لا أحفظ شيئًا، قال: سبحان الله!! كيف صليتَ معنا آنفًا؟ قال: وقفت هكذا حتى الفاتحة ما أحفظها، لأنه قد يبلغ ببعض الناس التمرد والإعراض إلى أن يفهم كل شيء إلا الإسلام، ويعرف كل شيء إلا القرآن، ويحب كل شيء إلا الدين، بل وجد في مجتمعاتنا وفي أوساطنا وفي مدننا، من يحفظ مئات الأغنيات، ولا يحفظ سورة واحدة من القرآن، هذا موجود وحاصل، وهو ثمرة من ثمار الإعراض عن الله - عز وجل - قال: فقام فعلمني الفاتحة وسورًا صغيرة، ثم ألزمني برجل من أهل القرية عنده صلاح، وقال حَفِّظْهُ كتاب الله، قال والله الذي لا إله إلا هو - الرجل يروي قصته - ما أخذت أنام من الخوف - من خوف الله - في الأربع والعشرين ساعة إلا ساعتين، وحفظت القرآن حفظًا عن ظهر قلب، كل القرآن في أربعة أشهر، لأنه أحب القرآن، وأقبل على الواحد الديان وعرف طريقه إلى جنة الرضوان، هذا الرجل استمر في الهداية، وأصبح عابدًا لله - عز وجل - وأعرف عنه أنه يقرأ القرآن

ويختمه في كل ثلاثة أيام، ويصوم كثيراً من الأيام، ولا يتمالك عينيه إذا قرأ القرآن إلا أن ينهدّ باكياً، يحدث بقصته هذه فيبكي لأنها قصةٌ عجيبةٌ تمر بنا كثيراً، وهي قصة النجاة من النار، وقصة العودة إلى الواحد القهّار.

في أولها حرمان، وفي آخرها رضوان، أولها لعنة وشقاوة، وآخرها رحمة وهداية، وإقبال على الواحد الأحد.

فيا من عاش حياة الإعراض، ويا من أدبر طويلاً في أيامه، ويا من جعل ليله ونهاره في المعاصي والمخالفات، تب إلى الله، أقبل على الله، سر في طريق محمد، عليه الصلاة والسلام، ليصلك بالله الواحد الأحد.

● أيها الناس:

هذا أتموذج من حياة كثير من الناس وعندنا من هذا وعند كثير من الأخوة عشرات النماذج ممن أعرضوا ثم أقبلوا، من الذين عاشوا الحرمان والخذلان ثم عرفوا الطريق إلى الواحد الديان.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢٥].

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم وجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين والصلاة والسلام على إمام المتقين وقدوة الناس أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين .

● أما بعد:

أيها الأخوة الكرام فإن قصص التوبة والإقبال على الله - عز وجل - ملء التاريخ، ومن يقرأ سير الصحابة والسلف الصالح يجد أن كثيراً منهم قد مرَّ بفترتين؛ فترة الإعراض والظلام، وفترة الإقبال على الله .

ومما حفظ عن شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه أنه قال: لا بد لكل عبد أن يولد ميلادين اثنين، المولد الأول: يوم أتت به أمه، وهذا يشترك فيه الناس جميعاً حتى البهائم، فإن كل مخلوق يمر بهذا المولد، ويعيش هذه الحياة، ويحسُّ بهذا الميلاد، الكافر والمؤمن، البهيمة والدابة، الطائر والحشرة، كلهم يولدون هذا المولد، وأما المولد الثاني فلا يذوقه إلا المؤمن، ولا يحسه إلا المؤمن، وهو الميلاد الذي ذكره - سبحانه وتعالى - بقوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ {الأنعام: ١٢٢}، ما معنى ذلك: أنه كان مَيِّتًا لا يتحرك ولا يأكل ولا يشرب؟ لا .

معناه أنه كان ميت القلب، ميت الإرادة، ميت العزيمة، ميت السير إلى الله، يأكل ويشرب ويطلب ويزمر ويغني ويتمرد ويفسق، لكنه ميت، قال الله: ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾، بالإيمان: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ {سورة الأنعام، الآية: ١٢٢}، نور العلم والإيمان: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ {سورة الأنعام، الآية: ١٢٢}، فالميلاد الثاني كما قال ابن تيمية هو ميلاد الإنسان في الإسلام، يوم يخلع كلَّ شرك وشبهة ونفاق ومعصية، ويأتي فيسلم نفسه إلى الله، ويشترى نفسه من الله، ويعتق رقبته من النار، هذا هو الميلاد الثاني، وهذا الميلاد ذاقه الصحابة رضوان الله عليهم، ولا زال كثير من الناس يعيشونه في هذا العصر، وفي كل عصر، فسلام

على التائبين الذين استنارت قلوبهم بالعودة إلى الله - عز وجل - والذين عرفوا الطريق إلى الله وإلى الهداية والتوفيق .

● عباد الله :

أحد العلماء في مدينة الرياض حدثنا بقصة وقعت لقريب له ، هذا القريب كان جندياً من جنود إبليس .

وقد كنت من جنود إبليس فارتقى

بي الحال حتى صار إبليس من جندي

يقول : كان متمرداً على الله بمعنى الكلمة ، حتى وصل الحال به إلى أن دعت عليه أمه بالهلاك ، وأن يريح الله العباد والبلاد منه ، يذهب في الليل فلا يأتي إلا في ساعة متأخرة ، يأتي محشواً من حبوب المخدرات ، ومن السكر والخمر والعريضة ، أما المسجد فما دخل المسجد أبداً ، قال : واستمرت هذه الحال حتى تأذى منه جيرانه وشكوه ، وحاول بعض الدعاة معه محاولة ، فأوصلوه إلى بيته ، ووعظوه بالله ، وسألوه بأسماء الله الحسنى أن يتوب ، أو على الأقل أن يكف على الناس شره ، وصل البلاء به مبلغاً عظيماً ، وما بقي إلا توبة نصوح ، أو قاصمة من الله تأخذه يوم يأخذ الظالم فلا يفلته أبداً قال : وبينما نحن نعظه بكى فظننا أنه تاب ، وأنه أحس بالعودة إلى الله ، ولكن دون جدوى عاد كما كان ؛ بل أمراً مما كان ، وكان يستهزئ بنا ويسخر منّا في رسائل وفي جلسات ، وعنده أصحاب يدعونه إلى الردى والغواية ، قال : واستمر به الحال على ذلك ، كتبنا له رسائل ، حاولنا معه بكل وسيلة ، شفّعنا فيه أن يهتدي فرفض ، وتذكرنا طريقة مبتكرة للهداية ، وهي طريقة ناجحة في الغالب ، وهي طريقة إهداء الشريط الإسلامي ، فانتفقوا له مجموعة من الأشرطة الإسلامية المفيدة ، والتي تناسب مع حالته ، فاشتروها له ، ووضعها في سيارته .

وقالوا : هذه المحاولة الأخيرة معه ، فإن هداه الله ، كان هذا ما نتمناه ، وهو

أحب الأمرين إلينا، وإن لم يهده دعونا الله عليه أن يريح العباد والبلاد منه؛ لأنه تسبب في غواية كثير من شباب الحي. قال: وقدر الله - عز وجل - هدايته، لحكمة يعلمها الله - عز وجل - ولذلك فإنه ينبغي على الدعاة ألا يأسوا من هداية الناس وأن يتحلوا بالصبر، ولا يستعجلوا أمر الله - عز وجل - فإن كل شيء بقدر، ولكل أجل كتاب: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ {النحل: ١}.

قال سافر هذا الرجل إلى مدينة الدمام، وفي أثناء الطريق سمع الغناء حتى ملَّ، وسمع البذاء والسخط حتى كلَّ وسئم، وقبل أن يصل إلى المدينة، نظر إلى هذه الأشرطة الإسلامية، وقرر أن يسمع أحدها ليضحك على هؤلاء البشر السفهاء في نظرة، الحقراء في فكره، هل يعرفون الكلام مع الناس؟ هل عندهم شيء؟ فأخذ يستمع إلى أحد الأشرطة التي تتحدث عن اليوم الآخر، والأهوال التي سوف تحدث في هذا اليوم. قال: وتأمَّل، وألقى سمعه، وتحدَّث الشريط عن حياة الإنسان، وعن ضعف الإنسان، وعن موقف الإنسان يوم العرض الأكبر.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ {سورة الحاقة، الآية: ١٨}.

قال: وبدأ التأثر وانتهى الشريط، وأخذ شريطاً آخر يتحدث عن الجنة وبدأ التأثر، وهجم عليه البكاء، فأخذ يبكي بقوة حتى أنه لم يعد يتحكم في قيادة سيارته.

وظل على هذا الحال من البكاء والندم حتى وصل إلى مدينة الدمام، ومع دخوله المدينة، أدخل الله الهداية قلبه، فانطلق يبحث عن مكان يتوضأ فيه، فتطهر وتوضأ، ثم دخل المسجد وصلى ركعتين وأعلن توبته، وهو يبكي أمام الله، وصلى مع الناس، وعاد فأكمل سماع هذه الأشرطة التي زادت عمقاً وإيماناً وبصيرة، عاد إلى أهله بوجه غير الذي ذهب به، وجه الإيمان، وجه النور والهداية، وجه الإقبال على الله - عز وجل -: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَادُّوْا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ {سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧}.

ليسوا كقوم إذا لاقيتهم عرضاً
أهدوك من نورهم ما يُتحف الساري
تروى وتشبع من سيماء طلعتهم
بوصفهم ذكروك الواحد الباري
ومن تلق منهم تقل لاقيت سيدهم
مثل النجوم التي يسري بها الساري
وصل إلى بيته وأخبر والدته فانصدعت بالبكاء من الفرح ومن الفرح ما
بيكي .
طفح السرور عليّ حتى إنني
من عظم ما قد سرّني أبكاني
وأيام وإذا بالناس من الجيران يتوافدون عليه يهتثونه بهذه النجاة وهذا
المستقبل .

وإذا برّب العباد يوزع محبته على الناس، فأحبه القلوب، واستأنس بصحبته
الصالحون، ففي الصحيح: «أن الله - عز وجل - إذا أحب عبداً قال لجبريل: إنني
أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم يقول للملائكة: إن الله يحب فلاناً فأحبوه،
فيحبه الملائكة، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبداً قال لجبريل: إنني
أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم يخبر أهل السماء فيبغضونه، ثم توضع له
البغضاء في الأرض»^(١) .

أحبه الناس؛ لأنه أحسن إليهم، وتغيرت معاملاته معهم، فرحم صغيرهم،
ووقر كبيرهم، ونذر نفسه لخدمتهم وحلّ مشاكلهم، وواصل مسيرته مع الله، ولا
زال حياً وأصبح مثلاً وأسوة ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] وهدى الله على يديه
كثيراً من الناس ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] .

(١) أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٣٠) كتاب البر والصلة ، رقم (١٥٧) .

● عباد الله:

جددوا توبتكم وإقبالكم على الله الواحد الأحد، أصبحوا تائبين، وأمسوا تائبين، فإن ربكم غفور شكور.

● أيها الناس:

وصلوا وسلموا على مَنْ أَمَرَكَ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ {الاحزاب: ٥٦}.

* وقد قال ﷺ: «من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً»^(١).

اللهم صلِّ على نبيك وحييِّك محمد، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارض اللهم عن أصحابه الأطهار، من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.



(١) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم (٣٨٤).

■ مراتب الإحسان ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدى هدى محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .
 ● أيها المسلمون :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله - عز وجل - وطاعته ، واتباع أمره والوقوف عند حدوده ومحارمه ، والحذر من مخالفته ومعصيته .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ { الحشر : ١٨ - ٢٠ } .

فقد أمر الله - عز وجل - في هذه الآيات بالتقوى والمراقبة التي هي أعلى مراتب الدين ومنازله ، وهي الإحسان الذي سأل عنه جبريلُ رسولَ الله ﷺ ، بعد أن سألَه عن الإيمان والإسلام ، فقال : أخبرني عن

الإحسان؟ فقال النبي ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١) فهذه حقيقة الإحسان مأخوذة من مشكاة النبوة. والإحسان مراتب ودرجات.

أولها: مرتبة المراقبة والمشاهدة والخوف من الله - عز وجل - وخشيته.

وثانيها: مرتبة الحياء من الله - سبحانه وتعالى - .

وثالثها: مرتبة الأتس برب العالمين.

فأما مرتبة الخوف والمراقبة فهي أن يعبد الإنسان ربه على وجه الحضور وكأنه يرى الله - عز وجل - بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، والجزاء من جنس العمل، فمن عبد الله على هذه الكيفية في الدنيا، كان جزاؤه أن ينظر إلى وجه الله الكريم عياناً في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣].

وكما أخبر عن المحسنين فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وعن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تَرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تَدْخُلْنَا الْجَنَّةَ وَتَنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» ثم قرأ النبي ﷺ هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾^(٢).

أما المعرضون عن الله - عز وجل - أما أهل الكفر والنفاق، فإنهم محجوبون عن رؤية الله - عز وجل - يوم القيامة، لأنهم كانوا لا يراقبون الله - عز وجل - في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حُجبوا عن رؤيته في الآخرة، فلا بد للعبد أن يستحضر قرب الرب - جلَّ وعلا - منه وإطلاعه عليه، لأن ذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، ويوجب أيضاً النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها وإكمالها.

(١) أخرجه البخاري (١٨/١) كتاب الإيمان، ومسلم (٣٧/١) رقم (٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣/١) رقم (١٨١).

وأما المرتبة الثانية وهي مرتبة الحياء من الله - عز وجل - فهي ناتجة عن معرفة العبد بأن الله - عز وجل - يراه على أي حال ، ويطلع عليه في كل أمر من أمره ، فيستحيي العبد من خالقه أن يجده حيث نهاه أو يفقده حيث أمره ، فيكون بذلك قد جعل الله - عز وجل - أهون الناظرين إليه . كما قال تعالى : ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [سورة النساء، الآية : ١٠٨] .

قال بعض الصالحين : خف الله على قدر قدرته عليك ، واستحيي من الله على قدر قربه منك .

وقد دلّ القرآن على قرب الرب تبارك وتعالى من عباده واطلاعه عليهم في كثير من آياته ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [سورة البقرة، الآية : ١٨٦] .

وقال تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] . وقال - عز وجل - : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [سورة ق، الآية : ١٦] .

● وقد وردت الأحاديث الصحيحة بالندب إلى استحضار هذا القرب في حال العبادات كقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أحدكم إذا قام يصلي فإنما يناجي ربه أو ربه بينه وبين القبلة »^(١) .

● وقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه ، وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ، وإن تقرب مني ذراعاً تقربت من بآعاً ، وإن أتاني يمشي أتيتته هرولة »^(٢) .

(١) أخرجه البخاري (١٠٦/١) كتاب الصلاة ، ومسلم (٣٩٠/١) رقم (٥٥١) .

(٢) أخرجه البخاري (١٧١/٨) كتاب التوحيد ، ومسلم (٢٠٦١/٤) رقم (٢٦٧٥) .

قال أبو بكر المزني: من مثلك يا ابن آدم، خُلِّي بينك وبين المحراب وبين الماء كلما شئت دخلت على الله - عز وجل - وليس بينك وبينه ترجمان.

والشاهد من ذلك أن من وصل إلى استحضار قرب الله - عز وجل - منه وإطلاعه عليه استأنس بالله - عز وجل - واطمأن قلبه، ولم تنازعه نفسه في معصية الله والتجرؤ عليه؛ لأن هذه المراقبة يتولد عنها الحياء وهذا الحياء يمنع العبد من مقارفة المعصية وموافقة النفس والشيطان عليها.

وأما المرتبة الثالثة التي يتضمنها الإحسان فهي مرتبة الأُنس بالله - عز وجل - والاطمئنان إليه والفرح بعبوديته.

قال أبو أسامة: دخلت على محمد بن النضر الحارثي فرأيته كأنه ينقبض فقلت: كأنك تكره أن تؤتى؟ قال: أجل! فقلت: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني.

وقيل لمالك بن مغفل وهو جالس في بيته وحده: ألا تستوحش؟ قال: أويستوحش مع الله أحد؟!.

وكان حبيب أبو محمد يخلو في بيته ويقول: من لم تقر عينه بك فلا قرت عينه، ومن لم يأنس بك فلا أنس.

وقال غزوان: إني أصبت راحة قلبي في مجالسة من لديه حاجتي.

وقال الفضيل: طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله جليسه.

فهؤلاء القوم استأنسوا بالله - عز وجل - واطمأنوا إليه، فلم يحوجهم إلى غيره، بل جعل لهم من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية.

وقد بلغ نبينا ﷺ الغاية في ذلك، لأنه أكمل الخلق فما انقطع عن الناس، وما أغلق الأبواب، وما وضع الحجاب، وما سكن الجبال والكهوف ليختلي بالله -

عز وجل - وإنما كان يجالس أصحابه، ويمشي في حاجة الأرملة والمسكين، ومع ذلك كان في أنس دائم بالله - عز وجل - وكان الحبل ممدوداً بينه وبين الله - تبارك وتعالى - قال عبد الله بن عمر: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»^(١).

• وقال ﷺ: «إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»^(٢). وهذا هو الكمال الحقيقي الذي أوتيته النبي ﷺ حيث كان يقوم بحقوق العباد على أتم وجه وأكملة، ويقوم بحقوق النفس والأهل كذلك، وهو في ذلك كله لا يفتر لسانه من ذكر الله - عز وجل - كان إذا أراد الصلاة قال: «أرحنا بها يا بلال»^(٣). وقال ابن مسعود رضي عنه: صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء. قيل: ما هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه^(٤).

ويحدثنا حذيفة رضي عنه عن طول قيام النبي ﷺ، في الليل لله رب العالمين فيقول: صليت مع النبي ﷺ، ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً^(٥)، إذا مرَّ فيها تسيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريباً من قيامه^(٦).

(١) أخرجه أبو داود (٨٥/٢) رقم (١٥١٦). والترمذي (٤٦١ / ٥) رقم (٣٤٣٠). وابن ماجه (١٢٥٣/٢) رقم (٣٨١٤). قال الترمذي: حسن صحيح غريب. وصححه الحاكم في المستدرک.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٧٥ / ٤) رقم (٢٧٠٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٢٩٦/٤) رقم (٤٩٨٥، ٤٩٨٦)، وأحمد (٣٦٤/٥، ٣٧١) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٧٨٩٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٥ / ٢) كتاب التهجد، ومسلم (٥٣٧/١) رقم (٧٧٤).

(٥) مترسلاً: الترسل: ترتيل الحروف وإعطاؤها حقها ومستحقها.

(٦) أخرجه مسلم (٥٣٦/١) رقم (٧٧٢).

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد عُفِّرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(١) فهكذا حصل للنبي صلى الله عليه وسلم الكمال في كل مراتب العبودية، وهذا ما عجز عنه غيره من البشر. فقد روي عن مسلم بن عابد - عليه رحمة الله - أنه قال: لولا صلاة الجماعة ما خرجت من بيتي أبداً. فأين عيادة المرضى، واتباع الجنائز، والسعي في حوائج المسلمين؟!

والشاهد من ذلك كله أنه ينبغي للعبد أن يكون متصلاً بالله - عز وجل - ذاكراً له، مستأنساً به - تبارك وتعالى - غير مستوحش من فقد الأُنس والجليس. فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - لما سجنه أعداؤه، وأغلقوا عليه الأبواب، كان يكثر من قوله تعالى: ﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [سورة الحديد، الآية: ١٣] وكان يقول: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أينما ذهبت فهي معي.. أنا قتلي شهادة، وسجني خلوة، ونفي سياحة، وكان عليه رحمة الله يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

● أيها المسلمون:

أمر الله - عز وجل - بالإحسان فقال سبحانه: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٥]. وقال - عز وجل -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٠].

فإن الله - عز وجل - أمر بالإحسان وحث عليه وبين فضائله، ولذلك فهو يحب المحسنين، ويثيبهم ويدافع عنهم، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف: ٣٠]. وكما قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

(١) أخرجه البخاري (٤٤/٢) كتاب التهجد، ومسلم (٢١٧١/٤) رقم (٢٨١٩، ٢٨٢٠).

يكلأهم، ويؤيدهم، وينصرهم على أعدائهم، ويقضي حوائجهم. قال - سبحانه وتعالى - في ثواب من أحسن: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٢]. ولماذا يخاف والله معه؟! ولماذا يحزن والله ناصره ومؤيده؟! ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر، الآية: ٥١]. أما الذين أعرضوا عن الله، وتكبوا الصراط المستقيم، وساروا في طريق الغي والضلال، فأولئك لهم الخزي في الدنيا والآخرة، فلا حظَّ لهم في الجنة، ولا حظَّ لهم من النظر إلى الله - عز وجل - وهذا من أعظم العقاب وأشدّه عليهم يوم القيامة، كما قال الله - عز وجل -: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [سورة المطففين، الآية: ١٥].

وسوف يصطرخون يوم القيامة، ويتمنون أن لو كانوا أحسنوا في الدنيا وقدموا لأنفسهم عملاً صالحاً: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الزمر، الآيات: ٥٦ - ٥٨] ولكن هيهات هيهات: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة الانعام، الآية: ٢٨].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم للإيمان، وأن يجعلنا ممن بلغ مرتبة الإحسان.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يليق بجلاله وكما يكافئ إحسانه ونعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين، وعنا وعن عباد الله الصالحين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.
● أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله واتباع أمره، واحترام محارمه، فإن تقواه وصيته للأولين والآخرين من خلقه. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٣١].

● أيها المسلم:

إذا عرفت فضل الإحسان وحقيقته ومنزلته وأجره وثوابه، فاعلم أنك مأمور بالإحسان في كل شيء، وفي كل عمل، وفي كل قول، وفي كل فعل، بل وفي كل خطرات قلبك وسكناتك، كما قال - عز وجل - : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٠].

● وكما قال النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم عن شداد بن أوس قال النبي ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته فليح ذبيحته»^(١) فهذا الحديث بين النبي ﷺ أن الله - عز وجل - كتب الإحسان على كل شيء.

(١) أخرجه مسلم (١٥٤٨/٣) رقم (١٩٥٥).

وأعظم ما يكون الإحسان؛ الإحسان في عبادة الله، الإحسان في توحيد الله - عز وجل - الإحسان في الاعتقاد، بأن يعتقد اعتقاداً سليماً، ويوحد توحيداً خالصاً، لا يشوبه شرك في الربوبية، ولا في الألوهية، ولا إلحاد، ولا تعطيل من الأسماء والصفات، كما كان النبي ﷺ، وأصحابه والقرون المفضلة، فإن اتباع النبي ﷺ شرط للإحسان وصحة العمل كما قال - عز وجل - : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي حقق التوحيد ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي : متبع للرسول ﷺ ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة : ١١٢ .

كذلك أيها المسلمون يكون الإحسان في العبادات، فالعبد مأمور بالإحسان في الصلاة، وذلك بأن يستكمل طهارتها، ويستحضر خشوعها، ويستكمل أركانها، ويستقضي واجباتها، ويحرص على أداء سننها، وأن يحرص على جماعة المسلمين، وبهذا يكون محسناً في صلاته، فتكون حينئذ ناهية له عن الفحشاء والمنكر .

ومأمور أن يحسن في الزكاة بأن يؤديها عند حلولها طيبةً بها نفسه، من أطيب ماله وأحسنه .

ومأمور بأن يحسن في الصيام، بأن يحرص على إكمال صيامه، وإتمام عدته، وأن يجنبه المحارم والتي تؤدي به إلى ذهاب الأجر والثواب . كالغيبة والنميمة وأكل الحرام وما أشبه ذلك .

ومأمور بالإحسان في الحج؛ بأن يحرص على أن يحجَّ من مال طيب حلال مبارك، وأن يجتنب الرفث والفسوق والعصيان، وأن يحجَّ كما أمره النبي ﷺ .

كذلك مأمور أن يحسن في كل عباداته، في جهاده لرب العالمين، وذلك بأن تكون نيته سليمة خالصة لله، أن يجاهد كما جاهد النبي ﷺ، لتكون كلمة الله هي العليا، فمن جاهد لتكون كلمة الله هي العليا فهو محسن متبع نبيه ﷺ، فلا بد من إحسان النية في الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا .

ومن ذلك أن يدافع عن بلاد المسلمين ومقدسات، ضد أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والملاحدة الوثنيين وغيرهم من أهل العلمنة والنفاق.

فالجهاد الشرعي هو أن يجاهد المرء لتكون كلمة الله هي العليا، وأن يدافع عن مقدسات المسلمين، وأن يدافع عن راية لا إله إلا الله، وعن شريعة رب العالمين سبحانه وتعالى.

والعبد مأمور بالإحسان في المعاملات أيضاً، معاملاته للناس بقوله وفعله كما قال - عز وجل - : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ { البقرة: ٨٣ } وكما قال الله - عز وجل - : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ { البقرة: ١٩٥ } . مأمور بالإحسان في معاملته ابتداءً من أقرب الأقربين والديه وذوي أرحامه، كما قال - عز وجل - : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ { النساء: ٣٦} . وهكذا مع جميع المسلمين حتى مع الكفار لا يجوز له أن يظلم الكفار ؛ بل لا بد أن يعاملهم بالعدل في حدود ما شرع الله عز وجل، وبين رسول الهدى صلوات الله وسلامه عليه .

بل إن العبد أيها المسلمون مأمور بالإحسان حتى مع البهائم ولهذا نبه النبي ﷺ على هذه النقطة اللطيفة ليعين أن الإحسان مطلوب في كل شيء قال ﷺ : «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته»^(١) حتى مع الحيوانات في حال القتل العبد مأمور بالإحسان ، كيف لا وقد قال النبي ﷺ : «دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(٢) .

يا عباد الله: امرأة دخلت النار في هرة، كما أن امرأة بغية دخلت الجنة في كلب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «بينما كلب يطيف

(١) تقدم تخريجه في نفس الخطبة.

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢/٤) كتاب الأنبياء. ومسلم (٢٠٢٢/٤) رقم (٢٢٤٢).

بركیة - أي بئر - قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها - يعني خفها - فاستقت له به، فسقته إياه، فغفر لها به»^(١).

والظاهر من هذا أنها تابت من الزنا.

امرأة دخلت الجنة في كلب، وأخرى دخلت النار في هرة.

● أيها المسلمون:

إذا كان الأمر كذلك فما ظنكم بالذين يجيعون ويعطشون الخدم والعمال، هؤلاء الظلمة الذين يمر الشهر والشهران وعندهم عمال مسلمون ضعفاء لا يستطيعون أن يصلوا إلى المحاكم، لا يستطيعون أن يطالبوا بحقوقهم، فيمنعونهم حقهم شهوراً عديدة؛ بل ربما بعضهم سافر عامله ولم يدفع له ريالاً واحداً، فذلكم أولئ بالنار والعياذ بالله يقول النبي ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»^(٢) أخرجه ابن ماجه وغيره. ويقول ﷺ: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته وذكر منهم: ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره»^(٣). تلکم والله جريمة عظيمة أيها المسلمون، وليس هذا من الإحسان؛ ولكنه من البغي والجور والظلم، فليترك الله الذين يتعاطون هذا العمل.

كما أن العبد مأمور بالإحسان في ترك المحارم والبعد عنها، لأن المحسن يعلم أن الله - عز وجل - يراه فيستحي أن يقدم على شيء منها فلا ينظر إليها بعينه، ولا يسمعها بأذنيه، ولا يأكلها، ولا يتعاطاها، ولا يسعى إليها، فكل ذلك حرام وقد قال - عز وجل -:

﴿ وَذُرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾

سورة الأنعام، الآية: ١٢٠.

(١) أخرجه البخاري (١٤٨/٤) كتاب الأنبياء، ومسلم (١٧٦١/٤) رقم (٢٢٤٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٨١٧/٢) رقم (٢٤٤٣). والبيهقي (١٢١/٦). والطحاوي في مشكل الآثار (١٤٢/٤).

والحديث صحيح صححه الألباني كما في الإرواء رقم (١٤٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠/٣) كتاب الإجارة.

والحاصل أيها المسلمون أن الله أمر بالإحسان في كل شيء ، وأن الإحسان داخل في كل شيء ، في الاعتقادات ، في العبادات ، في المعاملات ، في الأخلاق ، في كل أمر من أمور الحياة ، هناك عدل وإحسان ، كما أن هناك أيضاً ظلمًا وبغيًا .

● أيها المسلمون:

من القصص التي تروى عن الإحسان في ترك المحارم ما روى البيهقي وغيره عليه رحمة الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يمشي ذات ليلة هو وواحد من عسسه في آخر الليل فسمع هو والرجل الذي معه سمع حواراً من داخل أحد البيوت سمع أمّاً تقول لابنتها الصغيرة يا بنية امزجي اللبن بالماء ، فقالت البنية : أما تعلمين أن أمير المؤمنين عمر نهانا أن نغش اللبن بالماء؟ فقالت الأم : إن أمير المؤمنين لا يراكي الآن!! فقالت البنت : إذا كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن رب أمير المؤمنين يرانا ، والله ما كنت لأطيعه في المأى وأعصيه في الخلاء ، فوضع عمر بن الخطاب على الباب علامة ، فلما كان الصباح سأل عن البنت فعلم أنها لم تتزوج بعد ، فجمع أولاده ، فقال : يا بني هل لأحدكم حاجة بينت تقية ، فوالله لو كان بأبيكم حركة للنساء ما سبقتموه إليها ، فتزوجها أحد أولاده ، وكان من نسلها عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وأرضاه وأكرم في الجنة مثواه .

ويروى عن رجل أنه راود امرأة عن نفسها فقال اغلقي الأبواب فقالت أغلقتها إلا باباً واحداً ، قال : أغلقيه ، قالت : والله لا أستطيع ، قال : أنا أستطيع ، فجاء ليغلقه قالت : أغلق باب السماء ، قال : والله لا أستطيع فانزجر وارعوى وترك معصيته .

والقصة الثابتة في الصحيح^(١) أن الثلاثة الذين آوؤا إلى الغار وحصل لهم ما حصل ذكر أحدهم في حاله - أنه لما جلس من ابنة عمه كما يجلس الرجل من زوجته بعد أن جاءت طائفة ومكثته من نفسها ، قالت له وهي على تلك الحال :

(١) انظر صحيح البخاري (٥١/٣) كتاب الإجارة . ومسلم (٢٠٩٩/٤) رقم (٢٧٤٣) .

يا هذا اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فأصابتة رعدة، وقام عنها، وأعطائها المال صدقة لله - عز وجل - . فهذا هو الإحسان يا عباد الله، هذا هو الإحسان في ترك المحارم، نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا ممن أحسن قولاً وعملاً، وأن يوفقنا للصالحات، ويرزقنا توبة ناصحة قبل الممات، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلوا - رحمكم الله - على رسولكم وإمامكم فقد أمركم الله بذلك فقال الله تعالى قولاً كريماً: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٦] .

• وقال ﷺ: «من صَلَّى عليَّ صلاةً صَلَّى اللهُ عليه بها عشرًا»^(١) .

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبيك نبي الرحمة، وارض اللهم عن أصحابه أجمعين، وعن التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك وإحسانك يا أرحم الراحمين .



(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤) .

■ شهيد القسطنطينية !! ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلِّ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هديُّ محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .
أيها المصلون، أيها الساجدون، أيها المؤمنون، عنوان هذه الخطبة: «شهيد القسطنطينية» من هو هذا الشهيد؟ إنه رجل مؤمن ولد في الجزيرة، وقتل في الثمانين، وقد اشتعل رأسه شيباً، قتل في سبيل الله تحت أسوار القسطنطينية، والمسلم ليس له أرض واحدة، البلاد كلها بلاده، لأنها بلاد الله كما قال الشاعر:

أنا الحجازُ أنا نجدُ أنا يمنُ * * * أنا الجنوبُ بها دمعي وأشجاني
بالشامِ أهلي وبغدادِ الهوى وأنا * * * بالرقمتينِ وبالفسطاطِ جبراني
النيلُ مائي ومن عمَّانِ تذكرتي * * * وفي الجزائرِ إخواني وتطواني
فأينما ذُكر اسمُ اللهِ في بلدٍ * * * عددتُ ذاك الحمى من صلبِ أوطاني

فمن هو هذا الرجل الشهيد؟ إنه الذي استقبل الرسول ﷺ يوم فر عليه

الصلاة والسلام، من مكة من الإرهاب، فر من السيوف التي تقطر حقدًا ودمًا، باع أهل مكة أملاكه، وحاصروه وأذوه وشتموه، ووضعوا الشوك في طريقه، والسلا على ظهره، وضاعت به الدنيا بما رحبت، فخرج يحمل مبادئه ودعوته التي رفض أن يتنازل عن أي جزئية منها مهما كانت الظروف، ومهما كان حجم الإيذاء والحصار الذي تتعرض له الفئة المؤمنة.

وانطلق عليه السلام متوجهاً إلى المدينة، إلى الأنصار، إلى أحباب الله، إلى كتبية الإسلام.

أخذ، عليه الصلاة والسلام، عشرة أيام في السفر، تلهب أقدامه من حرارة الصحراء، وقد امتلأ جوعاً وتعَباً وظمأً وسهاداً ومشقة، لكن كلُّها في سبيل الله، كانت الأنصار تخرج مع الظهيرة، يخرجون جميعاً عن بكرة أبيهم ليستقبلوا أعظم فاتح عرفه التاريخ، وأعظم رجل مشى على وجه الأرض، أما الرجال فكانوا يخرجون بالسيوف والرماح ليحيوا الزعيم المنتظر والرسول الكريم، وأما النساء فكن يصعدن على أسطح المنازل، علَّهن يظفرن بنظرة واحدة إلى وجهه المشرق بالنور واليقين، وأما الأطفال فكانوا ينتشرون كالدرر والجواهر على جنبات الطريق، يصفقون وينشدون ويرددون.

من ثنَّيات الوداع	** *	طلعَ البدرُ علينا
مادعاً لله داع	** *	وجبَ الشكرُ علينا
جئت بالأمر المطاع	** *	أيها المبعوثُ فينا
مرحباً يا خير داع	** *	جئتَ شرفَت المدينة

وفي ظهيرة اليوم الخالد الذي لا يُنسى أبداً، إذا بالصائح يصيح في قوة وفرحة: قدم الرسول، عليه الصلاة والسلام فخرج الأنصار بسيوفهم، كأنهم خرجوا من المقابر، بُعثوا من جديد، وسال الحب في دمائهم من جديد، وعادت لهم الحياة من جديد، يقول أحد الناس في الرسول صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

سَافَرَتْ نَفْسُهُ الْكَرِيمَةَ فَيضًا * * * فالليالي محسودةٌ بالليالي
وعلى يشرب أهازيح نصرٍ * * * طلع البدرُ نَفْحَةً الأَطْفَالِ
واستفاقتُ على صَبَاحِ جَدِيدٍ * * * مِلءُ أذَانِهَا أذَانُ بِلَالٍ

وصلى عليه الصلاة والسلام على ناقته، يقول أنس: والله الذي لا إله إلا هو، ما كنت أظن أن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيتُ الأَنْصَارَ يكون من الفرح، لمقدم الرسول، عليه الصلاة والسلام .

طَفَحَ السَّرُورُ عَلَيَّ حَتَّى أَنِي * * * من عَظْمِ مَا قَد سَرَّنِي أَبْكَانِي

ووقف ﷺ يحيي القبائل قبيلة قبيلة، يأخذون زمام ناقته؛ ليكون ضيفهم، فيقول دعوها فإنها مأمورة، أمرها الله، الله يأمر ناقته، الله يتولى ناقته من فوق سبع سموات، اتركوا الناقة إذا نزلت الناقة في مكان فأنا معها، فيمر ببني بياضة، فيخرجون بالسيوف، يغمرهم الفرح والغبطة لرؤية الرسول ﷺ .

فيقولون: أنت ضيفنا، قال: دعوها فإنها مأمورة، ويشير لهم، ويتبسم لهم، ويشكرهم، ويمر ببني عمرو بن عوف، وقد اصطفوا على جنبات الطرق يحيونه، قالوا: أنت ضيفنا، قال: دعوها فإنها مأمورة، وتخرق الصفوف، وتسير إلى أن تأتي بني النجار، فيخرج أطفال بني النجار وطفلات بني النجار، يقلن:

نحن جوار من بني النجار * * * يا حبذا محمدٌ من جبار

فيتبسم ﷺ، ويرفع له الأطفال على ناقته فيقبلهم، ويتركهم ﷺ، لكنه يأسر قلوبهم، فلا تعود لهم أبدأ.

ثم أناخت الناقة في مكان مسجده الآن، ولما أناخت، انتظر قليلاً، ولم ينزل من على ظهرها، فقامت، ثم مضت قليلاً، ثم رجعت إلى مكانها، فأناخت وبركت، ونزل ﷺ، ولما نزل سارع هذا الشيخ الذي قُتِلَ في أرض الروم، إلى متاع الرسول ﷺ، وإلى ملابسه، وإلى ما كان محمولاً على الناقة، فأخذه، فقال بنو النجار، عندنا يا رسول الله، أنت ضيفنا قال: لا، الرجل مع رحله،

فذهب وراء الشيخ ، الذي هو أبو أيوب الأنصاري ، ووصل معه إلى البيت ، فقال : يا رسول الله : عندي هذا البيت ، سُفلى وَعُلَيَّة يعني طابقين ، دورين اثنين ، أنت يا رسول الله اسكن في الأعلى وأنا هنا ، قال ﷺ : «أريد أن أكون قريباً من الناس ، قريباً من المسجد ، فأريد هذا» يريد الأرضي ، فأسكنه ، وصعد أبو أيوب الأنصاري وزوجته الطاهرة النقية الشريفة إلى الدور الأعلى ، وأتى النوم ، فأخذ يتقلب أبو أيوب الأنصاري ، كأنه يتقلب على الرمضاء لا ينام ، قالت له زوجته : ما لك يا أيا أيوب لا تنام ؟ قال : والله ما أتااني النوم ، كيف أنام في العُلَيَّة ، والرسول ﷺ ، ينام أسفل مني ، وفي الصباح حاول أبو أيوب ، مع الرسول ﷺ مرة أخرى فأبى .

كان الطعام يقدم لأبي أيوب ، فيرفع يده ، وترفع زوجته يدها ، ويقولان : والله لا نأكل حتى يأكل الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، فينزل بالقصعة ، وينزل بالصحفة ، ويقدم الثريد ، ويشوي اللحم ويُضيف أحسن ضيافة عرفها التاريخ .

وفي ليلة من الليالي ، يقوم أبو أيوب ليصلي ، فيصطدم بجرة الماء فتتكسر ، فينسكب الماء على الأرض ، فيأخذ شملته لينشف الأرض ، لثلا يتصبب الماء على المصطفى ، عليه الصلاة والسلام ، ثم يقول : يا رسول الله ، أسألك بالله ، أن تصعد في العُلَيَّة وأنا في السفلى ، فصعد ، عليه الصلاة والسلام .

قدم له من الإكرام ما لم يقدمه تلميذ لشيخ ، ولا مسلم لإمام عظيم ، ولا مضيف لضيف ، كان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يخرج ، قدم أبو أيوب حذاءه وألبسه في رجله ، كان يقف ليستقبله ، ويقف ليودعه ، حول نفسه إلى طباخ في البيت ، يقدم جهده ، وعرقه ، وكل ما يملك ؛ ليفي بالضيافة ، وحفظها له ، عليه الصلاة والسلام ، ولم يضيعها أبداً ، كان يدعو له ، وكان يتفقده ، وكان يرى أنه الشيخ المبارك ، الذي أصبح فيه كل شيء أبيض ، دينه ، وحيته ، وقلبه ، ومبادؤه .

وهذه قصة أذكرها وهي تدل على زهد النبي ﷺ ، وصاحبيه في هذه الدنيا، وتدل أيضاً على فضل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وكرمه .
 يجوع ﷺ فلا يجد في بيته لقمة، ولا تمر، ولا شيئاً يؤكل، فيخرج إلى الطريق، وإذا بأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فيقول لهما: «ما أخرجكما هذه الساعة؟» قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده في بطوننا من حاقّ الجوع^(١)، قال ﷺ: «وأنا والذي نفسي بيده.. ما أخرجني غيره، فقوما»، فانطلقوا فأتوا باب أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وكان أبو أيوب يدّخر لرسول الله ﷺ طعاماً كان أو لبناً، فأبطأ عليه يومئذٍ، فلم يأت لحينه، فأطعمه لأهله، وانطلق إلى نخله يعمل فيه .

فلما انتهوا إلى الباب خرجت امرأته فقالت: مرحباً بنبي الله وبمن معه، قال لها نبي الله ﷺ: «أين أبو أيوب؟» فسمعه أبو أيوب - وهو يعمل في نخل له - فجاء يشتد فقال: مرحباً بنبي الله، وبمن معه، يا نبي الله ليس بالحين الذي كنت تحيى فيه، فقال ﷺ: «صدقت». قال: فانطلق، فقطع عذقاً^(٢) من النخل فيه كل من التمر، والرطب، والبُسْر، فقال ﷺ: «ما أردت إلا هذه، ألا جنيت لنا من تمره؟» قال: يا رسول الله: أحببت أن تأكل من تمره ورطبه وبسره، ولأذبحن لك مع هذا.

قال: «إن ذبحت فلا تذبحن ذات درّ»، فأخذ عناقاً أو جدياً فذبحه، وقال لامرأته احبزي واعجني لنا وأنت أعلم بالخبز، فأخذ نصف الجدي فطبخه وشوى نصفه، فلما أدرك الطعام ووضع بين يدي النبي ﷺ وأصحابه، أخذ من الجدي فجعله في رغيب وقال: يا أبا أيوب، أبلغ بهذا فاطمة، فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام. فذهب أبو أيوب إلى فاطمة .

فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: «خبز، ولحم، وتمر، وبسرّ»

(١) حاقّ الجوع: أي صادقه .

(٢) العذق: هو الغصن من النخل .

ورطب، ودمعت عيناه، والذي نفسي بيده إن هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة»^(١).

ولكن الرسول ﷺ يموت كما يموت البشر، ولكن مبادئه لم تمت، ظلت مبادئه وأخلاقه عند أبي أيوب وغيره من أعلام الصحابة، بقي أبو أيوب شاباً وهو في الثمانين، وكان الرسول ﷺ قد أخبر أن أصحابه سوف يركبون البحر غزاة في سبيل الله دخل ﷺ عند عجوز، هي أم حرام بنت ملحان^(٢)، فنام عندها في الظهيرة، في القائلة، ثم استفاق ﷺ وهو يضحك، قالت: ما لك يا رسول الله! أضحك الله سنك. قال: «رأيت الآن أناساً من أمتي يركبون البحر غزاة في سبيل الله، كالمملوك على الأسرة، قالت: ادعوا الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم»^(٣).

وتستمر الأيام، وينادي المسلمون كتائب الإسلام، أن تجاهد في سبيل الله؛ لتفتح القسطنطينية وتغزو بلاد الروم؛ لتوسع دائرة الإسلام. ولما سمع أبو أيوب منادي الجهاد أخذ سيفه ورمحه، وركب بغلته وذهب إلى ساحة القتال، قال أبناؤه: أنت شيخ كبير في الثمانين، قال: لا.

حملت الثمانين الطوال مجاهداً

كأنك في العشرين تقرأ وتكتب

(١) أخرجه الطبراني وابن حبان في صحيحه، وانظر حياة الصحابة (١/٢٨٨)، وأخرجه مسلم مختصراً (٣/١٦٠٩) رقم (٢٠٣٨) ولم يسم الرجل الأنصاري، وأخرجه الترمذي (٤/٥٠٤، ٥٠٥) رقم (٢٣٦٩)، ومالك في الموطأ (٢/٩٣٢) رقم (٢٨) بلاغاً، وعندها أن الرجل الأنصاري هو أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري.

قال المنذري في الترغيب والترهيب: (٥/١٦٧): والظاهر أن هذه القصة اتفقت مرة مع أبي الهيثم ومرة مع أبي أيوب - رضي الله عنهما -.

(٢) اتفق العلماء على أنها كانت محرماً للرسول، عليه الصلاة والسلام، واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة، وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو جده.

(٣) أخرجه البخاري (٨/٧٣)، ومسلم (٣/١٥١٨)، رقم (١٩١٢).

قالوا: عذرك الله، أنت شيخ كبير ومريض، ولا تستطيع القتال، قال: لا والله، إن الله يقول: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤١]. وأنا ثقيل، والله لأنفرن، وذهب إلى الجهاد.

وانظر إلى هذا العمر المبارك، أين كثير من أهل الثمانين الآن، الذين حولوا آخر المطاف إلى شهادة الزور، واللهو واللعب، والظلم والجور والعياذ بالله.

ويقبح بالفتى فعلُ التصابي

وأقبح منه شيخٌ قد تفتى

إذا ما لم يَفِدْكَ العلمُ خيراً

فليتَكَ ثم ليتَكَ ما علمتَ

شيخ كبار وما تابوا، والرسول ﷺ يقول: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزيكهم، ولهم عذاب أليم، أُشِيمَظَ زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»^(١). شيخ كبير ويزني، وتفاجأ بشيخ كبير ويسرق، وشيخ كبير ويحلف أيماناً غموساً، وشيخ كبير يقطع الأرحام، وشيخ كبير يؤذي الجيران، وشيخ كبير يمضي بالنميمة بين الناس.

أما أبو أيوب فجعل الثمانين طاعة لله، وركب مع الجيش، وصعد على السفينة، وعبرت به البحر، وهو ينشد نشيد الخلود: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وتبدأ المعركة، فيغتسل، ويلبس أكفانه، ويتطيب، ويتحنط، ويقول للمسلمين: أسألكم الله، إذا قُتلت اليوم، فالتمسوا آخر أرض من أراضي المسلمين تجاه الروم، فادفوني تحت أسوار القسطنطينية، علَّ الله أن يعثني يوم القيامة، مؤمناً بين كافرين.

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب، عن سلمان، وصححه الألباني، كما في صحيح الجامع رقم (٣٠٧٢).

الله أكبر يبعث يوم القيامة، وحيداً مؤمناً بين كافرين .

إذا قامت القيامة، وبعث ما في القبور، وحصل ما في الصدور، خرج أبو أيوب من قبره، ينفذ التراب عن رأسه، وهو يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك .
وبدأت المعركة، فقاتل قتالاً شديداً، وهو في الثمانين، وقطع رأسه الطاهر الذي طالما سجد لله - عز وجل - :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا

لعلمت أنك بالعبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه

فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يُتعِبُ خيَلَه في باطل

فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

قتل رحمه الله، وهو مدفون هناك، من وصل منكم هناك، فليسلم عليه، وليبلغه سلام الأمة الإسلامية، وليقف على قبره طويلاً، وليشكره على حسن الضيافة، وعلى حسن الاستقبال وعلى حسن الحياة، وعلى حسن العطاء والفضاء والتضحية، سلام عليك يا أبا أيوب الأنصاري، من جزيرة العرب، وجزاك الله خير ما جرى ولياً عن أمة محمد، عليه الصلاة والسلام، وأحسن الله إليك، كما أحسنت إلينا، وجمعنا الله بك في دار الكرامة .

ذلكم هو شهيد القسطنطينية، وهو من أجدادنا، ومن أراد أن يسير على طريقه فما ذاك ببعيد، وإنه ليسير على من يسره الله عليه .

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم .

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه
والتابعين.

● أيها الناس: إنما وضع المنبر في كل جمعة؛ لتتدارس أخطاءنا، ولنعود إلى
حساباتنا، ونعرض مشاكلنا أمام أعيننا، نحلها بكتاب الله - عز وجل - وبسنة
رسوله، عليه الصلاة والسلام، وقد أخطأنا جميعاً خطأ اجتماعياً، مرت عليه
سنوات، وقليل من ينبه عليه، وقليل من يستنكره، وقليل من يلاحظه، حتى
أصبح سائداً بين الناس، وكأنه من الكتاب والسنة، وقد أضرَّ هذا الخطأ الجسيم
بكثير من الناس، ألا وهو: الإسراف في الزوجات، ومن صور هذا الإسراف،
الذي لا يرضاه الإسلام، الإسراف في صالات الأفراس، وفي الولائم التي يقوم
بها الناس في وقت الزواج، وكيف جعلهم يستدينون أموال الناس، لينفقوها على
هذه المظاهر الكاذبة، وهم كارهون، ولكن يرفض العرف الجاهلي، إلا البطر
والرياء والسمعة والإسراف.

تصوروا... شابٌ مقدم على حياة جديدة، وبيت جديد، راتبه زهيد، ودخله
حقير، يريد زوجة يسكن إليها، وينشئ بيتاً إسلامياً، فأول ما يواجهه من العقبات؛
صالة الأفراس، عشرون ذبيحة، إلى ثلاثين، إلى أربعين، إلى خمسين، من أين
يدفعها؟ يذهب إلى الناس؛ ليستجدي من أجل العرف الجاهلي، الذي ما أنزل الله
به من سلطان، فأين العقلاء؟ وأين أهل الرأي؟ وأين أهل العلم؟ وأين القضاة؟
وأين الدعاة؟ وأين العلماء الذين يقفون أمام هذا الخطأ الفادح؟ إن هذا يجرُّ إلى
أمرٍ محظورة وخطيرة على الأمة، منها الإسراف الذي نهى الله عنه: ﴿وَلَا تُبَدِّرْ
تَبْدِيرًا * إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ {الإسراء: ٢٦، ٢٧} .
ثلاثون ذبيحة ترمى، والفقراء في البادية وفي تهامة، لا يجدون كسرة الخبز،

ثلاثون ذبيحة ترمى، والشعوب الإسلامية بعضها يأكل أوراق الشجر. ثلاثون ذبيحة ترمى للقطط والكلاب، وكثير من المساجد لم تُعمر منذ عشر سنوات، أليس هذا هو البطر بعينه؟ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة الانفال، الآية: ٤٧].

في العطلة الماضية في أبها، وقع أكثر من اثنين وستين زواجا، كلها مغالاة، ومفاخرة، ومراءة في صالات الأفراح، وعلمت من كثير ممن تزوج، أنهم اقترضوا لإقامة الولائم وتأجير الصالات، وشراء الهدايا، وغير ذلك، فهل يرضى الإسلام بهذا؟ وهل يقر ذلك المسلمون؟

إن العالم الكافر الآن، أصبح يتعامل بالعقل في أموره الاجتماعية، وأموره الاقتصادية، ويقن مساراته، ويعرف دخله وما ينفقه، ويعرف أموره النافعة من الضارة، ونحن أمة الكتاب والسنة، منا العلماء، وأهل الرأي، والأخيار، والأبرار، ونسكت بالإجماع عن هذا الخطأ.

ثم إن ذلك يورث أيضاً، إحجام كثير من الشباب عن الزواج إذا كان المجتمع يصرُّ على هذه التكاليف، من الشرعة، والوليمة، وإيجار الصالة، وكثرة الذبائح، والحلي، والمهر، فمن يجمع هذا لهذا الشاب؟ حينها تقع العنوسة، ويتوقف الشباب، والشابات عن الزواج، وتقع أمور لا تحمد، ولا يرضاها الله، فما هو الحل؟ الحل عند محمد، عليه الصلاة والسلام، أن نفعل كما فعل - بأبي هو وأمي - فهو أغنى الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس أن نفتصد، ولا نساير الناس في أفكارهم، ولا في آرائهم، بل علينا بما يرضي الله - عز وجل - ففي الحديث: «من أَرْضَى الناس بسخط الله، وكَلَّهُ اللهُ إلى الناس، ومن أسخط الناس برضى الله، كفاه اللهُ مئونة الناس»^(١).

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، وعبد بن حميد، وأبو نعيم في الحلية، عن عائشة، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٠١٠).

أما الرسول ﷺ فتزوج تسعاً من النسوة أو أكثر، بعضهن لم يجد لها ذبيحة واحدة، وإنما قدم زيباً، وشيئاً من شعير، وشيئاً من سوق، فأكله الصحابة، وتمضمضوا وقاموا يصلون، وزواج آخر، وجد ذبيحة واحدة، جمع عليها أكثر من ثمانين من الصحابة.

لماذا لا تقام هذه الحفلات في البيوت، ولماذا نأخذ أموال الناس، ديناً في رقابنا، لنباهي الناس، ونرائي الناس، ونفاخر الناس، أما تكفي الذبيحة والذبيحتان فحسب، أليس هذا هو العقل؟ أليس هذا هو الدين؟ أليس هذا هو الترشيذ؟

ومن عنده فائض من المال، فمشاريع الخير وأبواب الجنة ثمانية، يدخل بماله من أي باب شاء.

أما هذه الأموال التي يصرفها رياءً وسمعةً، فسوف تمنعه أن ينجو كفافاً، لا له ولا عليه، بل سيحاسب عليها عند الله يوم القيامة. ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٣٦].

● أيها المسلمون:

كلكم رشيد، أو الغالب منكم أهل العقل، والواجب أن يبدأ الرشيد، بعمل يرضي الله - عز وجل - فإنه: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(١).

أسأل الله أن يحفظنا وإياكم، من المتالف، ومن الأخطاء، ومن المخالفات الشرعية.

● عباد الله:

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٥٩) رقم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - .

وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ { الأحزاب: ٥٦ .

● وقد قال ﷺ : «من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً»^(١) .

اللهم صلِّ على نبيك وحيبيك محمد، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارض اللهم عن أصحابه الأطهار، من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .



(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤) .

■ شطر الإيمان ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشرُّ
الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعةٌ ، وكلُّ بدعة ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها المسلمون:

يا لسعادة أصحاب رسول الله ﷺ ، وهو يحدثهم عن الجنة، وعن نعيم
الجنة، وعن راحة الجنة؛ لأن من جعل هذه الدنيا داراً ومستقراً، فقد أصابه الله
بالحرمان، وقد كتب الله عليه الخذلان .

يا متعب الجسم كم تسعى لراحته * * * أتعبت جسمك فيما فيه خسران
أقبل على الروح واستكمل فضائلها * * * فأنت بالروح لا بالجسم إنسان
يا عامراً خراب الدار مجتهداً * * * بالله هل خراب الدار عمران

خرج عليهم ﷺ وهو يتحدث لهم عن نعيم الجنة، ثم قال: لبلال رضي الله عنه :
«حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك بين يدي في

الجنة» قال: ما عملت عملاً أرجى عندي؛ إنني لم أتطهر طهوراً، في ساعة ليلٍ أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي^(١).

إن الوضوء معلّمٌ من معالم هذا الدين، وليس في الدين قضايا بسيطة فرعية، بحيث يستخف بها الإنسان، وليس فيه ظاهر وباطن، أو قشرٌ ولباب، بل كله أصلٌ ولبٌ ووحىٌ من عند الله عز وجل.

أعظم قضاياها لا إله إلا الله، وأيسرها إمطة الأذى عن الطريق، لكن من قصد بكل قضية وجه الله، أدخله الله الجنة، من أي أبوابها الثمانية شاء.

يقول عقبة بن عامر - رضي الله عنه وأرضاه - : كنا نتداول رعية الإبل بيننا - وهذه رواية الإمام أحمد في المسند - فأصابني رعية الإبل، فروحتها بعشي، فأدركت رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو قائم يحدث الناس، فأدركت من حديثه وهو يقول: «ما منكم من أحد يتوضأ، فيسبغ الوضوء، ثم يقوم، فيركع ركعتين، يقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة، وغفر له». فقلت: ما أجود هذا!! فقال قائل: بين يدي التي قبلها يا عقبة أجود منها. فنظرت، فإذا عمر بن الخطاب. فقلت له: وما هي يا أبا حفص. قال: إنه قال قبل أن تأتي: «ما منكم من أحد يتوضأ، فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء»^(٢).

زاد الترمذي بعد الشهادة: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»^(٣).

فهنيئاً لكم أيها المتوضئون، وهنيئاً لكم أيها المتطهرون، أبشروا وأملوا في ربكم ما يسركم.

(١) أخرجه البخاري (٤٨/٢)، ومسلم (٤/١٩١٠) رقم: (٢٤٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٤٦، ١٥٣). وصححه العلامة أحمد شاكر كما في تحقيقه لكتاب «سنن الترمذي» (١/٧٩ - ٨٣). وأخرجه أبو داود (٤٣/١) رقم: (١٦٩).

(٣) أخرجه الترمذي (١/٧٨) رقم: (٥٥). قال الترمذي: وهذا حديث في إسناده اضطراب.

هنيئاً لكم.. تتوضؤون وغيركم من الملايين، تمر عليهم السنوات لا يعرفون الوضوء.

وهنيئاً لكم الطهارة.. تتطهرون وغيركم من الملايين، يعيشون عيشة الكلاب والخنازير لا يتطهرون.

وهنيئاً لكم.. يعرفكم رسولكم ﷺ يوم القيامة بوضوئكم متطهرين، متجملين للعرض الأكبر على الله.

● يقول أبو هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه -: أتى رسول الله ﷺ المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. وددتُ أنا قد رأينا إخواننا» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنت أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيلٌ غرٌّ مُحَجَلَةٌ^(١) بين ظَهْرِي خيلٌ دُهْمٌ بُهْمٌ^(٢)، ألا يعرف خيله؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «فإنهم يأتون غرّاً مُحَجَلِينَ من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض»^(٣).

فالرسول ﷺ سيعرف أتباعه يوم القيامة، وسط الأمم التي هي كالذر؛ أمة موسى، وعيسى، ونوح، وإبراهيم، يعرفهم ﷺ بعلامة الوضوء. إذا رآك عرف أنك من أمته، ومن أهل حزبه وملته، وأنت من الذين يَرِدُونَ حوضه، ويشربون من كوثره.

إذا رأى وجهك يبرق كالقمر من آثار الوضوء، وقد امتلأت أركانك بالنور، علم أنك من أتباعه، فسقاك من يده الشريفة شربة هنيئة لا تظمأ بعدها أبداً. أما أهل النفاق والضلال، الذين لم يهتدوا بهديه ﷺ، أما الذين لا

(١) الغرّة: بياض في جبهة الفرس. والتحجيل: بياض في يديها ورجليها.

(٢) خيل دُهْمٌ بُهْمٌ: أي سود، لا يخالط لونها لون آخر.

(٣) وأنا فرطهم على الحوض: أي متقدمهم عليه. قال ابن الأثير: يقال: فرط يفرط، فهو فرطٌ وفرطٌ: إذا تقدم وسبق القوم، ليرتاد لهم الماء. والحديث أخرجه مسلم (٢١٨/١) رقم: (٢٤٩).

يتوضئون، ولا يركعون، ولا يسجدون، فيقول ﷺ كما في تامة الحديث السابق: «ألا ليُذَادَنَّ»^(١) رجالٌ عن حوضي كما يُذَادُ البعير الضال. أناديهم.. ألا هَلُمَّ»^(٢) ! فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: سَحَقًا سَحَقًا»^(٣).

فقل لبلال العزم من قلب صادق * * أرحنا بها إن كنت حقًا مصليًا
توضاً بماء التوبة اليوم مخلصاً * * به ترقى أبواب الجنان الثمانية

في الأثر أن الله - عز وجل - ينظر لعبده المؤمن، إذا قام من فراشه لصلاة الفجر، ينتفض خائفًا وجلًا، فيعمد إلى الماء البارد، فيتوضأ به في شدة البرودة، ثم يأتي للصلاة، فيقول الله للملائكة: يا ملائكتي انظروا لعبدي المؤمن ترك فراشه الدافئ، ولحافه الوثير، وقام إلى الماء البارد يتوضأ، وقام إليّ يناجيني ويتملقني، أشهدكم أنني قد غفرت له، وأدخلته الجنة.

فيالعظمة المسلم، يوم يقوم من فراشه مع صلاة الفجر، وأهل النفاق، وأهل الفجور، وأهل الإعراض عن الله، وأهل الغفلة في فرشهم، متغمصون بنفاقهم وفجورهم، فيقوم إلى الماء البارد، فيتوضأ ويرفع سبابته ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

● وفي حديث حسن أن النبي ﷺ قال: «عجب ربنا من رجلين» - والله أن يعجب من عبده؛ يوم خلقه، ويوم سواه، ويوم رزقه، وعجبه سبحانه وتعالى يليق بجلاله - «عجب ربنا من رجلين؛ رجل ثار من وطائه ولحافه، من بين حبه وأهله إلى الصلاة، فيقول الله جلّ وعلا: انظروا إلى عبدي، ثار من فراشه ووطائه؛ من بين حبه وأهله إلى صلته؛ رغبة فيما عندي، وشفقة مما عندي. ورجل غزا في سبيل الله، فانهزم أصحابه، وعلم ما عليه في الانهزام، وما له في الرجوع، فرجع حتى هربق دمه، فيقول الله للملائكة: انظروا إلى عبدي، رجع؛ رجاءً فيما عندي،

(١) يُذَادُ: يُطْرَدُ.

(٢) أَلَا هَلُمَّ: أَي تَعَالُوا.

(٣) سَحَقًا سَحَقًا: أَي بَعْدًا بَعْدًا.

وشفقاً مما عندي حتى هُريق دمه!!»^(١) فالله - عز وجل - يعجب من هذا العبد، الذي يقوم في الليل، يترك فراشه الوثير، ولحافه الدافئ، ويعمد إلى الماء البارد يتوضأ، وهو ينتفض من البرودة، ثم يصلي ما كتب الله له أن يصلي.

فأيُّ عبدٍ ذلك العبد!، وأيُّ جزاءٍ له يوم القيامة!!

● وعن أبي مالك الأشعري - رضي الله عنه وأرضاه - قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ (أَوْ تَمَلُّنِ) مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بَرَهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حِجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسِهِ، فَمَعْتُقُهَا أَوْ مَوْبِقُهَا»^(٢) وإنما صلوات الله عليه جعل الطهور شطر الإيمان؛ لأنه يتعلق بالطهارة الظاهرة وأما الباطن فأمره عند الله، فإذا طهر العبد باطنه فقد استكمل الإيمان.

فجعل صلوات الله عليه الطهارة أو الوضوء نصف الإيمان؛ لأنه علامة اليقين. ووالله، ثم والله، ثم والله، لا يحافظ على الوضوء إلا المؤمن؛ لأنه سر بين العبد وبين ربه، ولا يعلم السر وأخفى إلا الله.

ولا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور إلا الله، ولا يعلم ما تضرم وتسرى القلوب إلا الله؛ بإمكان الرجل أن يصلي وعليه جنابة، فلا يعلم الناس ذلك، وبإمكانه أن يدخل المسجد ويصلي بغير وضوء، ولكنه يعلم أن الله يراه، وهو مُطَّلِعٌ عليه، فيعمد إلى الوضوء، فإذا توضأ، حصلَّ شطر الإيمان؛ لأنه يراقب ربه في السر والعلانية.

● يقول أبو هريرة - رضي الله عنه وأرضاه - قال رسول الله صلوات الله عليه: «أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ». قالوا: بلى يا رسول الله.

(١) أخرجه أحمد (٤١٦/١). وأخرجه أبو داود بعضه (١٩/٣) رقم: (٢٥٣٦). وأخرجه البيهقي (١٦٤/٩). وابن حبان في صحيحه، كما في الإحسان (٢٩٧/٦، ٢٩٨) وصححه الأرنؤوط.
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣/١) رقم: (٢٢٣).

قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المسجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»^(١).

ومعنى إسباغ الوضوء على المكاره، أن تسبغ وضوءك في شدة البرد، يوم ألا يمس المنافقون الماء البارد، ويتأذون من الماء البارد، فتقوم تشرشر بالماء البارد على أعضائك الدافئة؛ طلباً للفضل والأجر من الله، فيحط الله عنك الخطايا، كما تحات الشجرة ورقها في شدة البرد، أو في الرياح الهوج.

● وقال أبو هريرة - رضي الله عنه -: قال رسول الله ﷺ: «إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - فإذا غسل يديه، خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يده، مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - فإذا غسل رجليه، خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه، مع الماء - أو مع آخر قطر الماء - حتى يخرج نقياً من الذنوب»^(٢) فهل يطلب المسلم أجراً بعد هذا أو يريد أكثر من هذا الترغيب لينشط للعبادة!

فيا من أراد نعيم الجنة، دونكها أبواب ثمانية فتحت لك، فتوضأ، وادخل على الله من أيها شئت، وتعال إلى المسجد طاهراً مطهراً من الذنوب والخطايا.

فما أعظمك أيها المسلم حينما تطيع ربك عز وجل، وهيناً لك يوم تتوضأ كل يوم خمس مرات، وهيناً لك يوم تتطهر بالماء البارد، فتخرج خطاياك من أعضائك، هيناً لك يوم تطلب رضوان الله وجنة الله.

فاعمل لدار غدا رضوان خازنها * * الجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك تربتها * * والزعفران حشيش نابت فيها
أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، وجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

(١) أخرجه مسلم (١ / ٢١٩) رقم: (٢٥١).

(٢) أخرجه مسلم (١ / ٢١٥) رقم: (٢٤٤).

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وحجة الله على الناس
أجمعين، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

● أما بعد:

فإن أعظم نعمة من الله تعالى بها علينا؛ أن جعلنا مسلمين، وأن هدانا
صراطه المستقيم.

فنسأله سبحانه كما رزقنا وإياكم الإسلام، أن يسترنا وألا يفضحنا، وأن
يصلح بواطننا وظواهرنا، وأن يعمر قلوبنا بالتقوى والمراقبة.

● عباد الله:

إن النعيم كل النعيم؛ أن تتلذذ بطاعة الله، بذكر الله، بالوضوء لأداء فرائض
الله، بتلاوة كلامه سبحانه وتعالى، بالصيام له، بمناجاته في غدس الليل،
بالصدقة، بطلب مرضاته، بحسن الخلق لرفع الدرجات عنده.

ولقد كان العلم عند السلف الصالح سهلاً يسيراً، كان العلم عند أصحاب
محمد عليه الصلاة والسلام، يقصد منه العمل والتقرب إلى الله، ما عرفوا هذا
التنظير العلمي، الذي شغل أوقاتنا، وهذا الجدل العقيم، الذي ضيع ساعاتنا،
علمهم سهل، يعلمون المسألة، فيعملون بها، فيرزقهم الله علماً إلى علمهم.

يروى أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قال: «من عمل بما علم، ورثه
الله علم ما لم يعلم»^(١).

(١) وهذا الحديث يروى مرفوعاً عن النبي ﷺ، ولا يصح. أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٥/١٠) ثم قال: ذكر
أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين، عن عيسى ابن مريم عليه السلام، فوهم بعض الرواة، أنه ذكره
عن النبي ﷺ، فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن
حنبل.

ولذلك دعا عثمان - رضي الله عنه وأرضاه - أصحاب محمد صلوات الله عليهم ، فاجتمعوا إليه فجلسوا خارج المسجد. أتدرون لماذا دعاهم؟ هل أراد أن يلقي عليهم محاضرة تستغرق الساعات الطوال، فيحدثهم عن مسائل غامضة لا يمكن أن يعملوا بها؟ لا، إنما دعاهم ليعلمهم قضية سهلة من قضايا الإسلام دعا عثمان بإناء، فأفرغ على كفيه ثلاث مرات، فغسلهما، ثم أدخل يمينه في الإناء، ثم تمضمض، واستنشق، واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً. ثم قال: رأيت النبي صلوات الله عليهم ، يتوضأ نحو وضوئي هذا، وقال: «من توضأ نحو وضوئي هذا، وصلى ركعتين، لا يحدث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه»^(١).

هذا هو الإسلام، وهذا هو العلم، وهذه هي طريقة الصحابة في عرض العلم والإسلام على الناس، لا تكلف، لا تنطع، لا تفلسف، وإنما تكليف عملي، وتدريب ميداني، وهكذا كانوا في كل أمورهم - رضي الله عنهم - .

ولذلك يقول سيف الله المنتضى، أبو الحسن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : إني كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله صلوات الله عليهم حديثاً، نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني رجل من أصحابه، استحلفت، فإذا حلف لي، صدقته، وإنه حدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر! قال: سمعت رسول الله صلوات الله عليهم يقول: «ما من رجل يذنب ذنباً، ثم يقوم فيستطهر، ثم يصلي، ثم يستغفر الله، إلا غفر له»^(٢) ، ثم قرأ هذه الآية:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ
الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ {آل عمران: ١٣٥} .

وهذا الحديث صحيح فاستبشروا به، فإذا ألم أحدكم بخطأ، أو بفاحشة، أو

(١) أخرجه البخاري (٤٨/١، ٤٩). ومسلم (٢٠٤، ٢٠٥) رقم: (٢٢٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٣/٥) رقم: (٣٠٠٦). وابن ماجه (٤٤٦/١) رقم: (١٣٩٥). وأحمد (١٠/١).

وقد صحح هذا الحديث الحافظ المزي، وجود إسناد ابن حجر. انظر: «تهذيب التهذيب» (٢٢٧/١، ٢٢٨) عند ترجمة: أسماء بن الحكم الفزاري.

بظلم كبير، فليذهب إلى الماء البارد، وليتوضأ بالماء البارد، وليطفئ نار الذنب، ونار الخطيئة، وليصلي ركعتين، ثم ليستغفر الله؛ لأنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ولا يستر العيوب إلا الله، ولا يتجاوز عن السيئات إلا الله، ولا يعفو عن الزلات إلا الله. فهو الذي يغفر للعبد، ويرحم العبد، ويستر العبد، ويهدي العبد، لا إله غيره ولا رب سواه.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فاستبشروا بسنة الوضوء، واستصبحوا السواك إذا توضأتم، ثم ارفعوا سباباتكم إلى الحي القيوم، وأعلنوا الوحدانية قوية حية، وقولوا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله؛ يفتح الله لكم أبواب الجنة الثمانية، وتسلم عليكم الملائكة، ويدعو لكم المقربون، ويشهد لكم الأنبياء والرسول.

فسلام على كل من توضأ، وأتى إلى بيت من بيوت الله منياً، وسلام على من تطهر لله ظاهراً وباطناً.

اللهم فاجعلنا من التوابين، واجعلنا من المتطهرين.

اللهم كما طهرت أعضاءنا بالماء البارد، فطهر قلوبنا من النفاق والكفر، ومن الغش والكبر ومن الحقد والحسد، ومن الرياء والغل يا رب العالمين.

اللهم كما سترت ظواهرنا من العيوب، والجروح، والأمراض، فاستر بواطننا يا أرحم الراحمين.

اللهم كما أضعيت علينا لباس الستر في الدنيا، فلا تفضحنا على رءوس الأشهاد، يوم تأتيك حفاة عراة غرلاً.

● عباد الله:

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ {الأحزاب: ٥٦}.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى عليَّ صلاة، صلى الله عليه بها عشراً»^(١).

اللهم صلِّ على نبيك وحبيبك محمد، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين.



(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم: (٣٨٤).

■ الوقت والحياة ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشرُّ
الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .
● قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ
وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ * وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي
جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ
حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ {سورة الزمر ، الآيات : ٥٣ - ٥٩} .

● أيها الناس :

لقد ودعنا عامًا قد انصرم ، واستقبلنا عامًا جديدًا قد أتى ، ودعنا عامًا

بحسناته وسيئاته، بأفراحه وأتراحه، ربح فيه من ربح بطاعة الله - عز وجل - وخسر فيه من خسر بمعصيته تبارك وتعالى .

وإذا كنا قد نسينا ما فعلناه في هذا العام من حسنات وسيئات، فإن ربِّي لا يضل ولا ينسى، ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٤٩].

فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها، وقبل أن يحال بينه وبينها إما بمرض أو موت أو شغل أو غير ذلك. ويروى أن النبي ﷺ قال: «بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة، والساعة أدهى وأمر»^(١).

قال الحافظ ابن رجب معلقاً على هذا الحديث: والمراد من هذا أن هذه الأشياء كلها تعوق عن الأعمال، فبعضها يشغل عنه، إما في خاصة الإنسان كفقره وغناه ومرضه وهرمه وموته، وبعضها عام كقيام الساعة وخروج الدجال، وكذلك الفتن المزعجة، وبعض هذه الأمور العامة لا ينفع بعدها عمل كما قال تعالى:

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥٨].

• وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنتم من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(٢).

• وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً

(١) أخرجه الترمذي (٤/٤٧٨، ٤٧٩) رقم (٢٣٠٦) وقال: حسن غريب وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة رقم (١٦٦٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧/١٩١) كتاب الرقاق، ومسلم (١/١٣٧) رقم (١٥٧).

إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»^(١).

قال أبو حازم: إن بضاعة الآخرة كاسدة يوشك أن تنفق فلا يوصل منها إلى قليل ولا كثير، ومتى حيل بين الإنسان والعمل لم يبقى له إلا الحسرة والأسف عليه، ويتمنى الرجوع إلى حال يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه الأمانة^(٢).

● فيا أيها الإنسان:

دقات قلب المرء قائمة له * * * إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها * * * فالذكر للإنسان عمر ثانٍ

وقال بكر المزني: ما من يوم أخرجه الله إلى الدنيا إلا يقول: يا ابن آدم اغتمني لعله لا يوم لك بعدي، ولا ليلة إلا تنادي: ابن آدم اغتمني لعله لا ليلة لك بعدي.

● وينادي الله - تبارك وتعالى - يوم القيامة: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ

سِنِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١١٢]. كم مكثتم على هذه الأرض؟ كم عمرتم في هذه الدنيا؟ كم أكلتم؟ كم شربتم؟

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [سورة المؤمنون، الآيات: ١١٢ - ١١٦].

هذا هو عمر الإنسان وهذه هي حياته كلها، عمر قصير يمرّ مرّ السحاب، وهذا العمر هو رأس مال العبد، إن أحسن فيه كان من أهل النعيم، وإن أساء كان من أهل الجحيم، قال تعالى: ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٣٧]. أو لم نعملكم، أو لم نترككم، أو لم

(١) أخرجه مسلم (١/١٣٨) رقم (١٥٨).

(٢) جامع العلوم والحكم ص (٣٣٦، ٣٣٧).

نجعل لكم فترة من العمر؟ فما بالكم أعرضتم ، وما بالكم اتخذتم حياتكم لهواً ولعباً ، وعبثاً وتفلتاً على شرع الله وأمره .

● آلآن تتندّمون ؟ آلآن وتبكون وتقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا عِدْنَا فِيهَا ظَالِمُونَ ﴾ [سورة المؤمنون ، الآية : ١٠٧] .

● وتقولون : ﴿ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٧] .

● وتقولون : ﴿ فَهَلْ لَنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ [سورة الاعراف ، الآية : ٥٣] .

● ولكن الأمر كما قال الله - عز وجل - : ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ٢٨] .

إنهم لكاذبون في دعواهم أنهم إذا ردوا فسوف يعملون الصالحات ، لأن نفوسهم خبيثة ، وقلوبهم منطوية على الكفر والنفاق ، منافقون حتى وهم في جهنم ، كذبة حتى وهم يصلون ناراً تَلْظَى .

● عباد الله :

إن الوقت من أكبر النعم التي أنعم الله بها علينا ، فماذا عملنا في أوقاتنا ،

وبماذا شغلنا أنفسنا ؟

هل شغلنا أنفسنا بطاعة الله - عز وجل - والسعي في مرضاته؟ أم جعلنا

أوقاتنا تضيع في اللهو واللعب والأغنية والمسلسل؟

إن نبي الله ﷺ ، كان أحفظ الناس لوقته ، فكانت حياته كلها ذكراً لله -

عز وجل - وطاعة له ، فقد قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - : كنا نعدّ

لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة : « رب اغفر لي وتب عليّ إنك

أنت التواب الرحيم » (١) .

(١) أخرجه أبو داود (٨٥/٢) رقم (١٥١٦) . والترمذي (٤٦١/٥) رقم (٣٤٣٠) . وابن ماجه (١٢٥٣/٢) رقم (٣٨١٤) . قال الترمذي : حسن صحيح غريب وصححه الحاكم في المستدرک .

• وقال ﷺ: «إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»^(١)

• وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»^(٢).

فالرسول ﷺ مع ما كان فيه من انشغال بأمور الأمة، ومصالح المسلمين، كان لا يفتر عن ذكر الله - عز وجل - وكان إذا عرض له عارضٌ بشري فشغله بعض الشيء عدَّ ذلك ذنباً وفرع إلى ساحة الاستغفار، والتوبة إلى الله - عز وجل - فأين نحن من هدي النبي ﷺ في حفظ الوقت واستغلال العمر فيما يقربنا من الله - عز وجل -.

• يقول النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس؛ الصحة والفراغ»^(٣)

فكثير من الناس لا يستغلون أوقات الشباب والقوة، في التقرب إلى الله عز وجل بأنواع القربات؛ كالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد في سبيل الله، والسعي في مصالح المسلمين.

وكذلك لا يستغلون أوقات الفراغ وما أكثرها في حياة المسلمين، فلا يعمرون أوقاتهم بذكر الله - عز وجل - والدعوة إلى دينه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد حثَّ النبي ﷺ على المسارعة إلى الطاعات والمسابقة إلى فعل الخيرات فقد روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»^(٤).

(١) أخرجه مسلم (٢٠٧٥/٤) رقم (٢٧٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٥/٧) كتاب الدعوات.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٠/٧) كتاب الرقاق.

(٤) أخرجه الحاكم، والبيهقي في الشعب. وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (١٠٧٧). وقال الحافظ

العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن. انظر: الإحياء (٤/٤٥٩).

كان الربيع بن خزيم يكتب كلامه من الجمعة إلى الجمعة، ويحاسب نفسه مساء كل يوم سبت!!

وقال المنذر: سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه: ويحك! بادري قبل أن يأتيك الأمر، ويحك! بادري قبل أن يأتيك الأمر، حتى كرر ذلك ستين مرة أسمعه ولا يراني.

وكان الحسن يقول: المبادرة المبادرة، فإنما هي الأنفاس لو حسبت انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله - عز وجل - رحم الله امرءاً نظر إلى نفسه ويكئ على عدد ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ١٨٤]. يعني الأنفاس: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك.

● أيها الناس:

إنَّ هناك أناساً يرتكبون في اليوم الواحد جبلاً من الخطايا، وتللاً من الذنوب ومع ذلك لا يهتمون لها، ولا يتأسفون عليها، فتراهم يلعبون ويمرحون، ويضحكون ولا يبكون، وكأنَّهم سوف يخلدون في هذه الدار، وكأنَّ الموت بمعزل عنهم، وكأنَّهم لن يعرضوا على الله - عز وجل - ليس بينهم وبينه حجاب ولا ترَّجُمان، في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدُّون.

قيل لسفيان الثوري: اجلس معنا نتحدَّث؟ فقال: كيف نتحدَّث والنهار يعمل عمله!!

نروح ونغدو لحاجتنا * * * وحاجة من عاش لا تنقضي
تموت مع المرء حاجاته * * * وتبقى له حاجة ما بقي

ولذلك شكى وبكى الصالحون والطالحون ضيقَ العمر، وبكى الأخيارُ والفجَّارُ انصرامَ الأوقاتِ.

أما الأخيار فبكوا لأنهم تمنّوا أن كانوا قد ازدادوا من فعل الخيرات والطاعات والقربات.

وأما الفجار فندموا على أنهم لم يستعدوا للآخرة، ولم يتزودوا لها بالعمل الصالح.

حضرت الوفاة نوحاً، عليه السلام، قيل له: يا نوح كم عشت؟ فقال ﷺ: ألف سنة. قالوا: كيف وجدت الحياة؟ قال: والذي نفسي بيده ما وجدت الحياة إلا كبيت له بابان، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر!!

فيا أبناء الستين والسبعين ماذا تنتظرون؟ إنكم لن تعمروا كما عمّر نوح، عليه السلام، ولا قريباً من ذلك، فكيف تصرفون هذا العمر القصير في الغفلة والمعصية، في انتهاك حدود الله، في التجرؤ على محارم الله. استعدي يا نفس للموت واسعي * * * لنجاةٍ فالخازمُ المستعدُّ

ذكروا عن الجنيد بن محمد أنه حين حضرته الوفاة، وغشته سكرات الموت، أخذ يقرأ القرآن ويكي، قالوا له: تقرأ القرآن وأنت في سكرات الموت؟ قال: سبحان الله من أحوج مني بقراءة القرآن، وقد أصبحت أنفاسي معدودة.

● عباد الله:

اعلموا أن جميع المعاصي محاربة لله - عز وجل - قال الحسن بن آدم: فهل لك بمحاربة الله من طاقة؟ فإن من عصى الله فقد حاربه، لكن كلما كان الذنب أقرب كانت المحاربة لله أشد، ولهذا سمى الله تعالى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله تعالى ورسوله ﷺ؛ لعظم ظلمهم لعباده، وسعيهم بالفساد في بلاده.

وكذلك من عادى أولياء الله تعالى - أهل الإسلام - من العلماء وطلاب العلم والصالحين والدعاة وأهل الفضل فهو محارب لله - عز وجل - متعرضٌ لسخطه كما قال تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته

بالحرب»^(١) فهل تقدر أيها العبد المسكين على محاربة رب العالمين؟ هل تجرؤ على أن تكون خصماً لله - تبارك وتعالى -؟

فيا من انصرم عمره في الغفلة والضياح، ويا من ضاعت أوقاته في اللهو واللعب، ويا من انقضت ساعاته في الغيبة والنميمة، ويا من آذى أولياء الله وحارب العلماء والدعاة والصالحين، إن أبواب التوبة مفتوحة، وإن ساعات الإجابة كثيرة، وإن الله يسطر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويسطر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها^(٢).

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ خَالِدِينَ الْجَنَّةِ لَا يَلْبَسُونَ فِيهَا كِسْفَ مِسْكٍ وَلَا أَلُكَّةً تُسْبَغُ فِي طَعْمٍ وَأَنْ يَكُنْ فِيهَا جَنَّتَانِ أَلْفَاظٌ مِثْلُ طَعْمِ أَشْجَاتٍ لَمْ يَغَيَّرْهَا اللَّهُ لِأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ مَا يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥ - ١٣٦].

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.



(١) أخرجه البخاري (٧/ ١٩٠) كتاب الرقاق.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١١٣) رقم (٢٧٥٩).

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين،
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه
أجمعين.

● أما بعد أيها الناس:

احتجت النار والجنة، فقالت النار: ما لي لا يدخلني إلا الجبارون
والمتكبرون، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا الضعفاء والمساكين، فقال الله -
عز وجل - للنار: «أنت عذابي أعذب بك من أشاء»، وقال للجنة: «أنت
رحمتي أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها»^(١).

فالله - عز وجل - خلق الخلق وجعلهم قسمين، فريق في الجنة، وفريق
في السعير، وأخبرنا ﷺ عن أهل الجنة وصفاتهم وأهل النار وأحوالهم.

● فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟» قالوا: بلى. قال:
«كل ضعيف مُتَضَعِّف^(٢) لو أقسم على الله لأبره» ثم قال: «ألا أخبركم
بأهل النار؟» قالوا: بلى. قال: «كل عُتَل^(٣) جواظ مستكبر»^(٤).

فعلى العاقل أن لا يأمن مكر الله - عز وجل - فهو سبحانه وتعالى يحول بين
المرء وقلبه، وقد أخبر النبي ﷺ أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن
يقلبها كيف يشاء^(٥).

● وأخبرنا ﷺ أيضاً: أن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون
بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها،

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٦/٤) رقم (٢٨٤٦).

(٢) متضعف: متواضع متذلل لإخوانه.

(٣) العتل: الجافي الشديد الخصومة بالباطل. والجواظ: الجموع المتوع.

(٤) أخرجه البخاري (٧٢/٦) كتاب التفسير، ومسلم (٢١٩٠/٤) رقم (٢٨٥٣).

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٤٥/٤) رقم (٢٦٥٤).

وأن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» (١).

وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - يقول: والله لو كانت إحدى قدمي في الجنة ما أمنت مكر الله.

ولشدة هذا الأمر أخبر النبي، عليه الصلاة والسلام، أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة: عالم، ومتصدق، ومجاهد.

فقد دخل شفيء الأصبحي المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، قال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، وهو يحدث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أنشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته. فقال أبو هريرة: أفعلى، لأحدثك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمته، ثم نشغ^(٢) أبو هريرة نشغة، فمكث قليلاً ثم أفاق، فقال: لأحدثك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثم أفاق فمسح وجهه فقال: لأحدثك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ، وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثم أفاق ومسح وجهه فقال: أفعلى، لأحدثك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ وأنا معه في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغة شديدة، ثم مال خاراً على وجهه فأسندته عليّ طويلاً، ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت

(١) أخرجه البخاري (١٨٨/٨) كتاب التوحيد. ومسلم (٢٠٣٦/٤) رقم (٢٦٤٣).

(٢) نشغ نشغة: أي شقق حتى كاد يغمى عليه، ويحصل ذلك للإنسان إذا اشتد أسفه على فائت.

على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله: بل أردت أن يقال إن فلاناً قارىءٌ فقد قيل ذلك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصلُ الرحم وأنصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له: فيماذا قتلت؟ فيقول: أمرتُ بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله تعالى له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك، ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة^(١).

فدخل سُفيانُ على معاوية - رضي الله عنه - فأخبره بهذا عن أبي هريرة، فقال معاوية: قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقي من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاءً شديداً حتى ظننا أنه هالكٌ. وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشر، ثم أفاق معاوية ومسح عن وجهه وقال: صدق الله ورسوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ * أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحيط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴿ [سورة هود، الآيات: ١٥، ١٦].

● فيا عباد الله:

لقد بكى الصالحون يوم تذكروا العرض على الله - عز وجل - وتطايير الصحف، فأخذ يمينه وأخذ شماله، بكوا لأنهم لا يعلمون مصيرهم هل سيؤمر بهم إلى الجنة أو تكون الأخرى.

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥١٠ - ٥١٢). رقم (٢٣٨٢) وقال: حسن غريب. وهو عند مسلم مختصراً (٣/ ١٥١٤) رقم (١٩٠٥).

ونحن والله أحق منهم بالبكاء، لأننا لم نقدّم مثل ما قدموا، ولم نجاهد جهادهم، ولم ننفق إنفاقهم، ومع ذلك إذا صلّى أحدنا بعض الركعات ظنّ أنه مستحق للفرديوس الأعلى، وأن منزلته لا تقل عن منزلة النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً!!

أما الصالحون فقد بكوا لأنهم لم يأمّنوا مكر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [سورة المعارج، الآية: ٢٨].

بكى سفيان عند الموت وجزع، فقيل له: يا أبا عبد الله، عليك بالرجاء، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبي أبكي؟ لو علمت أنني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا!!

وحكي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال: إذا حضرني الوفاة فاقعد عند رأسي، فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه، فاشتر به لوزاً وسكراً، وانشره على صبيان أهل البلد، وقل: هذا عرس المنفلت، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك، حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحبّ على بصيرة.

وكان أصحاب النبي ﷺ يخافون على أنفسهم النفاق ومن هؤلاء عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

قال الحسن: لو أعلم أنني بريء من النفاق كان أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس.

وكان حذيفة - رضي الله عنه - قد خصّ بعلم المنافقين وأسباب النفاق وكان يقول: إنه يأتي على القلب ساعة يمتلئ بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز إبرة، ويأتي عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرز إبرة.

فهؤلاء هم سادات القوم من الصحابة والتابعين وغيرهم كانوا يخافون على أنفسهم الفتنة مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم، فكيف لا نخاف نحن على أنفسنا، مع تفريطنا وتضييعنا لحدود الله وأوامره، ألا نعلم أن الله أخرج آدم من الجنة بسبب معصية واحدة، وأبعد إبليس عن رحمته بسبب معصية واحدة، وقرب الملائكة إليه من غير وسيلة، وأنه يوم القيامة سوف يقول: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي!!

فالله الله في أوقاتنا أن تضع هباءً منثوراً، فإن الوقت هو الحياة، وإن العمر قصير، يضيع بين التسويف والانشغال، فالسعيد من خاف «ومن خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»^(١).
 ● عباد الله:

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ {الاحزاب: ٥٦}.
 ● وقد قال ﷺ: «من صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(٢).
 اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبيك وحبيبك محمد ﷺ واعرض عليه صلاتنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارض اللهم عن أصحابه الأبطال من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك ومنك يا أكرم الأكرمين.



(١) أخرجه الترمذي (٥٤٦/٤) رقم (٢٤٥٠) قال الترمذي: حسن غريب وصححه الألباني بشواهد كما في السلسلة الصحيحة رقم (٢٣٣٥).
 (٢) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

■ الراحمون يرحمهم الله ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآياتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنُ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .
 ● أيها الناس :

أوصيكم ونفسي بتقوى الله - عز وجل - واعلموا أن رحمة الله - تبارك وتعالى - عمَّت الكائنات، وعنايته سبحانه وتعالى تحفظنا ليلاً ونهاراً، واعلموا كذلك أن الرحمة من أعظم صفات المولى - عز وجل - فهو الرحمن الرحيم، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما.

تتوسل الملائكة إلى ربها تبارك وتعالى، وتثني عليه بالرحمة فتقول: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ {سورة غافر، الآية: ٧}.

● فرحمته تبارك وتعالى تبلغ ما بلغ علمه، تصيب رحمته النملة في

جحرها، والحوت في البحر، والجنين في بطن أمه، وفي الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعاً وتسعين جزءاً، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»^(١).

• وفي لفظ: «إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الحوش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة»^(٢)، فتأمل رحمك الله، كيف شمل هذا الجزء الواحد من رحمة الله تعالى جميع المخلوقات من إنسان، وحيوان، وطيئر، حتى الحشرات وغيرها من المخلوقات التي لا ترى بالعين المجردة، فإن رحمة الله - عز وجل - تدركها وعلمه يحيط بها.

حتى أهل الذنوب والمعاصي لا تفارقهم رحمة الله - عز وجل - ولولا ذلك لانتقم منهم عند أول ذنب، وإنما يمهلهم ويؤخرهم لعلمهم يتوبوا، لعلمهم يرجعوا، لعلمهم يستحيوا من الله الكبير المتعال، وهو - عز وجل - يغضب على أهل المعاصي، ويغار على حرماته أن تنتهك ولكن رحمته تبارك وتعالى تسبق غضبه كما قال النبي ﷺ: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو مكتوب عنده فوق العرش»^(٣)، فالله - عز وجل - أرحم الراحمين، وخير الراحمين كما قال: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١١٨].

ولذلك فقد حث - تبارك وتعالى - عباده أن يكونوا رحماء ومدح حزبه المتقين بأنهم: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٤].

(١) البخاري (٥٧/٧) كتاب الأدب باب (١٩)، ومسلم (٢١٠٨/٤) كتاب التوبة، رقم (١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٠٨/٤) كتاب التوبة، رقم (١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٦/٨) كتاب التوحيد، باب (٥٦)، ومسلم (٢١٠٧/٤) كتاب التوبة، رقم (١٤)، ١٥.

(١٦) من حديث أبي هريرة.

وصفة الرحمة كما هي من أعظم صفات الباري - تبارك وتعالى - فإنها أيضاً من أعظم صفات المؤمن، فينبغي على المؤمن أن يكون رحيماً بعباد الله، شفوفاً عليهم، محباً لهم، يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فالله - عز وجل - لا يحب الجبارين ولا المتكبرين، ولا الذين يحملون قلوباً قاسية، لا تشفق ولا ترحم ولا تلين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة الحديد، الآية: ١٦].

قست قلوبهم بأكل الربا، قست قلوبهم بالزنا وعقوق الوالدين، قست قلوبهم بالتناحر والتدابير والتقاطع، ولذلك قال الله فيهم: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٣].

• قدم على النبي ﷺ سبي^١ فإذا امرأة من هذا السبي تبحث عن ابنها، امرأة حائرة قلقة والهة، ضاع ابنها فأخذت تبحث عنه، فلما وجدته أخذته فألصقت به بطنها وأرضعته، فقال الرسول ﷺ لأصحابه: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» قالوا: لا والله، فقال رسول الله ﷺ: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(١).

ومن رحمة الله - عز وجل - أن يرى العصاة الفجرة الجبارين المتكبرين، يعصونه ليلاً ونهاراً، يسفكون الدماء، ويأكلون الأموال ظلماً وعدواناً، يهتكون الأعراس ويغتصبون الحقوق، ومع ذلك كله فإن رحمته سبحانه وتعالى لا تزال تغشاهم، وستره لم يكشف بعد عنهم، وكنفه يحيط بهم، وهو سبحانه لم يغفل عنهم، بل مطلع على خططهم ومؤامراتهم. قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدْتَهُمْ هَوَاءً﴾ [سورة إبراهيم، الآيات: ٤٢، ٤٣].

(١) أخرجه البخاري (٧٥/٧) كتاب الأدب، باب (١٨)، ومسلم (٢١٠٩/٤) كتاب التوبة، رقم (٢٢).

● والرسول ﷺ يعلمنا أن الرحمة لا تكون بين الناس فحسب؛ بل بين الكائنات الأخرى من غير بني البشر، يخبر النبي ﷺ عن رجل اشتد عليه العطش وهو يمشي في طريق وعرة، فوجد بئراً فنزل فيها وشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملاً خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له.

فتعجب الصحابة من ذلك وسألوا: يا رسول الله! وإن لنا في هذه البهائم لأجرًا؟ فقال ﷺ: «في كل كبد رطبة أجر»^(١).

● وحديث آخر صحيح كالشمس، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما كلب يطيف بركية»^(٢) قد كاد يقتله العطش، إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها»^(٣)، فاستقت له به، فسقته إياه فغفر لها به»^(٤).

● أيها الناس:

هذه رحمة الإسلام بالحيوان، فكيف بحقوق الإنسان في هذا الدين، وإني لأتساءل ماذا فعلت منظمات حقوق الإنسان؟ وماذا فعلت الهيئات التي تدافع عن الإنسان؟ هل حققت دماء الإنسان؟ هل أزاحت الظلم من على كاهله؟ أما الإسلام فقد جعل للحيوان البهيم حقوقاً، ونهى عن ظلمه وتعذيبه وتجويعه.

● وهذه قصة أخرى يرويها عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ، قال: «عذبت امرأة في هرة؛ سجتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتهها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»^(٥).

(١) أخرجه البخاري (٧٧/٧) كتاب الأدب، باب رقم (٢٧)، ومسلم (٤/١٧٦١)، كتاب السلام، رقم (١٥٣).

(٢) الركية: البئر.

(٣) موقها: أي خفها.

(٤) أخرجه البخاري (٤/١٤٨) كتاب الأنبياء، باب (٥٤)، ومسلم (٤/١٧٦١) كتاب السلام، رقم (١٥٤)، (١٥٥).

(٥) أخرجه البخاري (٤/١٥٢) كتاب الأنبياء، باب (٥٤)، ومسلم (٤/١٧٦٠) كتاب السلام، رقم (١٥١، ١٥٢)، وخشاش الأرض: هوامها وحشراتهما.

فهذه المرأة كانت تحمل قلباً غليظاً، قلباً نُزعت منه الرحمة والشفقة، قلباً لا يحس بالآلام الآخرين، فاستعرضت هذه الغلظة وذلك الجفاء على قطة ضعيفة لا حول لها ولا قوة، فحبستها في البيت، وليتها أطعمتها وسقتها، ولكن أجاجتها حتى الموت، فعاقبها الله - عز وجل - الذي لا تخفى عليه خافية وعذبها في جهنم .

وبعض الناس لا تظهر شجاعته إلا على عالم القطط والكلاب، فتراه يجرد لذة في تعذيبها، يدوسها بسيارته فيقتلها، ويحس بذلك أنه انتصر نصراً عظيماً وفاز فوزاً مبيئاً، وهذا من خفة العقل وانتكاس الفطرة والعياذ بالله .

• تنكسف الشمس على عهد النبي ﷺ، فيفزع إلى الصلاة، ويطيل القيام والركوع والسجود، حتى إذا كان في آخر سجدة من الركعة الثانية، جعل ينفخ ويبيكي ويقول: «لم تُعدني هذا وأنا فيهم . . لم تُعدني هذا ونحن نستغفرك»، ثم رفع رأسه وانجلت الشمس، فقام رسول الله ﷺ، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله - عز وجل - فإذا رأيتم كسوف أحدهما فاسعوا إلى ذكر الله عز وجل». ثم قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لقد أُدْنيت الجنة مني حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها، ولقد أُدْنيت النار مني، حتى لقد جعلتُ أنقيها خشية أن تغشاكم»، والعجيب هو ما رآه ﷺ في النار، قال: «حتى رأيتُ امرأة من حمير تعذبُ في هرة؛ ربطتها فلم تدعها تأكل من خشاش الأرض، فلا هي أطعمتها ولا هي سقتها حتى ماتت، فلقد رأيتها تنهشها إذا أقبلت، وإذا ولت تنهش أليتها»^(١).

فما أعظم هذا الدين، وما أروع هذه الشريعة التي أقامت العدل وأرست دعائمها بين بني البشر، ولم تكتف بذلك، بل بلغت من العدل والإنصاف أن رفعت الظلم عن الحيوان البهيم؛ لأنه يحس ويتألم ويشعر بمرارة الظلم إذا وقع عليه .

(١) أخرجه النسائي (١٣٧/٣) كتاب الكسوف، رقم (١٤٨٢)، وأحمد (١٥٨/٢).

● ولما أراد الله - عز وجل - أن يمدح رسوله ﷺ، وصفه بالرحمة فقال عز من قائل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٢٨].

● وقال أيضاً: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩].

وهذا الذي يعيش فيه المسلمون الآن من الفرقة والتباغض والتحاسد فيما بينهم، إنما هو أولاً وقبل كل شيء بسبب غياب هذه الصفة، ولذلك اختار العليم الحكيم رسوله محمداً ﷺ، ليجمع هذه الأمة الهمجية المبعثرة التي لا قانون لها ولا نظام، فجمعها محمداً ﷺ، ووحدتها رسول الهدى ﷺ، وجعلها أمة قوية، تعمل لها الأمم ألف حساب، بل صارت خير أمة أخرجت للناس، بعد أن كانت أمة مشاغبة، أمة ثائرة، أمة بلا حضارة ولا ثقافة، فأتى رسول الله ﷺ بدين هو أعظم الأديان وبشريعة هي أفضل الشرائع، وبحضارة من أروع الحضارات.

جمع نبينا ﷺ هذا الشتات على لا إله إلا الله، أدبهم بآداب لا إله إلا الله، فأنت ثمارها جيلاً فريداً طائعاً عابداً لله - عز وجل - : ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .
[سورة الانفال، الآية: ٦٣].

فكانت دعوته ﷺ تمتاز بالرحمة واللين وعدم العنف والشدة .

يأتي الرجل يحمل من الحقد والحسد والضغينة للرسول ﷺ الشيء الكثير فما إن يرى ذلك الوجه الأنور والجبين الأزهر والبسمة المشرقة حتى يعود ورسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه وماله والناس أجمعين: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٣٤].

يمشي عليه الصلاة والسلام في سكك المدينة فيمر على الأطفال فيسلم عليهم ويتبسم لهم ويقبلهم ؛ لأنه رءوف رحيم .

وكثير من الناس اليوم جبار متكبر يرى أن من المهانة أن يدنو من الأطفال ويمسح على رؤوسهم ويقبلهم ، أما الرسول ﷺ فقد كان رحيماً بالأطفال ، فكان ، عليه الصلاة والسلام ، يصلي بالمسلمين وهو ينوي الإطالة ، فإذا سمع بكاء الأطفال تجوز رحمة بهم وبأمهاتهم .

فإذا رحمت فأنت أم أو أب * * * هذان في الدنيا هما الرحماء
وإذا أخذت العهد أو أعطيته * * * فجميع عهدك ذمة ووفاء
وإذا غضبت فإنما هي غضبة * * * في الحق لا كبر ولا ضعفاء

ومن رحمته ﷺ ، أن يأتي إليه شابٌ فيسأله ﷺ شيئاً ، أتدرون ماذا يسأل؟ قال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا!! فأقبل الناس عليه فزجروه ووبخوه، ولكن المصطفى، عليه الصلاة والسلام، قال له: ادنه... فدنا منه قريباً حتى جلس بجواره ﷺ ، فقال له المعلم الأكبر: «أتحبُّه لأمك؟» قال: لا والله - جعلني الله فداك - قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله - جعلني الله فداك - قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله - جعلني الله فداك - قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟» قال: لا والله - جعلني الله فداك - قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالاتهم؟» قال: لا والله - جعلني الله فداك - قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» ثم وضع النبي ﷺ يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه»^(١) فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شيء، أصبح لا يفكر في الزنا، صار الزنا أبغض شيء

إلى قلبه، إنها رحمة المصطفى ﷺ، إنه التعليم بالبسمة، والتوجيه بالبشر وإشراق الوجه، وهذا الذي استطاع به محمد ﷺ أن يجمع عليه القلوب، وأن يوحد به الصفوف، وأن ينقل به هذه الأمة من جماعات متفرقة متناحرة مشتتة، إلى أمة قوية تقية وصفها ربها تبارك وتعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس.

ومن رحمته ﷺ أن يأتي الحسن أو الحسين فيرى الرسول ﷺ ساجداً في صلاة العشاء فضاقت عليه الدنيا إلا من ظهر المصطفى، عليه الصلاة والسلام، فصعد على الظهر الشريف، فأطال النبي ﷺ في السجود، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدةً أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ أو أنه يوحى إليك قال: «كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني»^(١) فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»^(٢).

هكذا كان يتعامل ﷺ مع الأطفال، فأين هذا من تعاملنا نحن معهم، إننا نتعامل مع الأطفال بالضرب والشتم والمطاردة في المسجد، حتى أصبح كثير من الأطفال يخافون من دخول المسجد لما يرونه من تهديد مستمر ووعيد دائم.

● قال أنس بن مالك كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخٌ يقال له: أبو عمير، فكان إذا جاء رسول الله ﷺ فرآه قال: «أبا عمير ما فعل النُّغَيْر»^(٣) والنُّغَيْر: طائر صغير كان يلعب مع الصبي، فكان النبي ﷺ يدخل عليه الفرح والسرور بسؤاله عن ذلك الطائر، وكأنه ﷺ متفرغ لهؤلاء الأطفال ومبعوث إليهم خاصة، مع أن هموم البشرية جميعاً كانت تحيط به، فهو ﷺ رحمة للعالمين، للإنس والجن، للصغير والكبير، للرجل والمرأة، للشيوخ والشباب.

(١) ارتحلني: اتخذني راحلة بالركوب على ظهري.

(٢) أخرجه النسائي (٢٢٩/٢، ٢٣٠) كتاب التطبيق، رقم (١١٤١)، وأحمد (٤٩٤/٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٢/٧) كتاب الأدب، باب (٨١)، ومسلم (١٦٩٢/٣) كتاب الآداب رقم (٢٩).

● أيها الناس:

إن النبي ﷺ كان يحب التيسير في كل شيء وكان يكره التشديد في كل شيء؛ أرسل أبا موسى ومعاذاً داعيين رسولين مبشرين منذرين إلى اليمن، وكان آخر ما أوصاهما به أن قال: «يسراً ولا تعسراً، وبشراً ولا تنفراً» (١).

فديننا دين يسر وسهولة، دين رحمة ومحبة، ولذلك دخل إلى القلوب، وتعشقتة الأرواح، وافتدته المهج والنفوس.

كان ﷺ أشجع الناس، ومع ذلك كان يتأثر بالمواقف، فتدمع عيناه وينجرح فؤاده.

وإذا لقيت كتيبة يوم الردى * * * أدبت في يوم الردى أفعالها
وإذا نطقت وفيت فيما قلته * * * لا من يكذب قولها أفعالها

● يدخل النبي ﷺ على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه، فجعلت عيناه تذر فان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة»، ثم أتبعها بأخرى فقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (٢).

● وهذا الأقرع بن حابس يبصر النبي ﷺ وهو يقبل الحسن فيقول: إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ واحداً منهم، فقال رسول الله ﷺ: «إنه من لا يرحم لا يرحم» (٣).

● عباد الله:

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) أخرجه البخاري (١٠٨/٥) كتاب المغازي، باب (٦٠)، ومسلم (١٣٥٩/٣) كتاب الجهاد رقم (٧).
(٢) أخرجه البخاري (٨٥/٢) كتاب الجنائز، باب (٤٤)، ومسلم (١٨٠٨/٤) كتاب الفضائل، رقم (٦٢).
(٣) أخرجه البخاري (٧٥/٧) كتاب الأدب، باب (١٨)، ومسلم (١٨٠٩/٤) كتاب الفضائل، رقم (٦٥).

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً، والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً، ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، فصلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

● أما بعد:

فقد كانت مدرسة النبي ﷺ تتميز بالرحمة، وتنفرد بالرأفة والمحبة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

{سورة التوبة، الآية: ١٢٨}.

عَلَّمَ ﷺ أصحابه الرحمة، حتى صار أشدهم وأقساهم قلباً من أرحم الناس، فهذا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لولا هداية الله له، ما كان يعرف الرحمة، وما كانت عيناه تعرف الدموع ولا اللين، كان خُزَيْمٌ من أقسى الناس في الجاهلية، كان سفاكاً فتاكاً لا يعرف المهادنة ولا يعرف الحوار ولا السهولة واللين، فلما سكب، عليه الصلاة والسلام، إناء الرحمة في قلبه، كان أرحم الناس وأرق الناس .

وقف - رضي الله عنه - على المنبر يوم الجمعة فغلبته عيناه فلم يستطع أن يتكلم، يأتي ليصلي بالناس فلا يسمع الناس قراءته من شدة البكاء، كان في خديه خيطان من أثر البكاء، فمن الذي جعل في قلبه هذه الرحمة؟ ومن الذي جعله شفوفاً حليماً ودوداً؟

قال مرة لأسلم مولاه: أتنام الليل؟ قال: نعم، قال عمر: والله ما نمت منذ

ثلاث، فقد جعل الله في عنقي الأرملة، والمسكين، والشيخ الكبير، والعجوز،
واليتيم!!

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول في عام الرمادة: والله لا أبتل في
سمن ولا أكل سميناً حتى يجلي الله الكربة عن المسلمين.

يأتي يوم الجمعة ليصلي بالناس فيقرر بطنه من الجوع، فيضرب على بطنه،
ويقول: قرقر أو لا تقرر، والله لا تشبع حتى يشبع أطفال المسلمين.

حسبي وحسب القوافي حين أرويتها * * * أني إلى ساحة الفاروق أهديها
يارب هب لي بياناً أستعين به * * * على حقوق العلا قد نام راعيها

لقد بلغ من رحمته - رضي الله عنه - أنه كان يسأل عن أطفال المسلمين؛ ماذا
أكلوا، وماذا شربوا، وكيف ينامون، إنها الرحمة التي علمها رسول الله ﷺ
أصحابه، ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله، ومن نسي حقوق الناس، وآلام
الناس، ومشكلات الناس، عرض نفسه للغضب والمقت من الله - عز وجل - .

فمن الناس من يشبع وجاره جائع، ومنهم من يلبس أفخر الثياب وجاره لا
يجد ما يستر به عورته، ومنهم من يسكن القصور الشاهقة، والناس ينامون على
الأرصفة، فهل هذه هي الرحمة التي أتى بها النبي ﷺ؟ وهل هذا هو منهج
الإسلام في التعامل مع الآخرين؟ . . يقول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحُمى»^(١).

فلا بد أن يكون المسلم رحيماً ودوداً، يفرح لفرح إخوانه المسلمن ويتألم
لآلامهم.

ومن صور الرحمة التي يريدتها الله - عز وجل - أن يرحم الرجل أهل بيته،

(١) أخرجه البخاري (٧٧/٧) كتاب الأدب، باب (٢٧) ومسلم (٤/٢٠٠٠) كتاب البر والصلة، رقم (٦٧).

وأن يشبعهم، ويكسوهم، ويسكنهم، ويقدم لهم الخير، وقبل ذلك كله أن يقودهم إلى الجنة، ويعرفهم أبوابها وسبلها، ويحذرهم من طرق الضلال التي تقودهم إلى جهنم والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ {التحریم، الآية: ٦}.

أيظن الإنسان أن الله - عز وجل - لن يسأله عن أهله ومن يعول؟

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ {القيامة: ٣٦} بلا أمر ولا نهي ولا سؤال ولا حساب، بل إن الله - عز وجل - يقول لابن آدم معاتباً:

«يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمت فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»^(١).

● أيها الناس:

كيف يهنا المرء بطعام وهو يعلم أن جاره جائع أمسى طاوياً يتلوى من الجوع، ترى الفقراء والمساكين يملئون السكك والطرقات لا يجدون كسرة الخبز، بينما ترمى أشهى الأطعمة في صناديق القمامة، ولا تقدم إلى الأكباد الجائعة والبطون الخاوية.

الفقراء يمرضون السنوات الطويلة ولا يجد أحدهم دواءً، المساكين يطرحون

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠) كتاب البر والصلة، رقم (٤٣).

في المستشفيات على الأسرة كالموتى ولا يجدون من يعودهم لأنهم مساكين، أما إذا كان رجل ذا منصب وشهرة وجاه، فإنك ترى الناس أفواجا على بابه حتى تتكسر عتبات داره من كثرة الزوار، لا لشيء إلا لأنه من الأغنياء الوجهاء كما قال الشاعر:

ترى الناس أفواجا على باب داره

يطوفون عن تلك الديار وسلموا

لقد أصبحت دعوات الناس وزياراتهم للوجاهة والتفاخر لا لوجه الله - عز وجل - يدعى للولائم وجهاء الناس وكبرائهم ويترك الفقراء وأهل الحاجة مع أنهم أحق وأولى من غيرهم بهذه الدعوة، وقد قال النبي ﷺ: «شرُّ الطعام طعام الوليمة يُدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء»^(١).

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الرحماء، وأن يكسونا ثوب الرحمة، وأن يغرس في قلوبنا شجرة الرحمة لتثمر الصدق واليقين والمحبة والإخاء.

● عباد الله:

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ {الأحزاب: ٥٦}.

وقد قال ﷺ: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا»^(٢).

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين وارض اللهم عن أصحابه الأطهار من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ومنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٤٤/٦) كتاب النكاح، باب (٧٢) ومسلم (١٠٥٤/٢)، كتاب النكاح، رقم (١٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

■ يوسف في الحب ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنُ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .
 ● يقول الله تبارك وتعالى في كتابه : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ * إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَسَائِلِينَ ﴾ { يوسف : ٣ - ٧ } .

يدخل عمر رضي الله عنه وأرضاه مسجداً رسول الله ﷺ فيجد قاصاً يقص على الناس ، وواعظاً يعظهم بأخبار الجاهلية ، فيسأل عمر : من هذا ؟ قالوا : هذا قاصٌ يقص علينا ، فيعلوه عمر بالدرة - وهي عصا غليظة -

ويضربه ويقول: أتقصُّ يا عدوَّ الله، والله يقول: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾؟! ومن أحسن القصص قصة يوسف عليه السلام، وبطلها يوسف عليه السلام، يمر بأربعة مشاهد:

مشهد الفراق من أبيه ومن ذويه أربعون سنة؛ لا يرى أباه، ولا يرى إخوانه، ولا أهله، ولا بيته، ولا جيرانه.

ومشهد الفتنة؛ امرأة العزيز تتعرض له، وهي من أجمل خلق الله!!

ومشهد السجن؛ يسجن في ذات الله، ويُمَحَّصُ ليُخْرِجَ برضوان الله.

ومشهد مُلْكُ مِصْر؛ يملك الدولة بأسرها، ويتحدث من مركز القوة، بعد الفراق والسجن والعناء.

يقول الله في أول السورة: ﴿الر﴾ من هذه الحروف نتكلم، ومن هذه الحروف نصوغ قرآننا، ومن هذه الحروف تتكلمون، وتكتبون الشعر والنثر والبلاغة؛ فيا أيها الفصحاء، يا أهل البلاغة والبيان، يا قريش العربية والفصاحة، إني أتحداكم أن تأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن!! والتحدي ماضٍ إلى يوم القيامة!!

المادة موجودة، والخام معروف، والحروف لم تتغير، ولكن أنى لكم أن تصوغوا قرآنًا كهذا القرآن!!

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١].

كتاب مبين جلي واضح، ولكن ماذا يحوي؟ أي شيء فيه؟ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢].

فيا من نام وما استيقظ، استيقظ بهذا القرآن، ويا من غفل ولم يتذكر، تذكر بهذا القرآن، ويا من فقد عقله، اعقل بهذا القرآن، وتدبر هذا القرآن، وابحث في أسرار هذا القرآن.

ثم يقول الله تبارك وتعالى مقدماً للقصة المذهلة المرعبة، التي ما سمع الناس بمثناها، ومهدداً لأحداثها بخطوط عريضة، في وصف القصص القرآني: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٣]. أصدق القصص، وأروع القصص، وأطيب القصص.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٣].

كنت أمياً لا تقرأ ولا تكتب، كنت في صحراء مع أمة جاهلة تعبد الصنم والحجر، ما عندها قصص، ما عندها علم، ما لديها كتاب، فاستمع إلى قصصنا، فإن فيه العبرة، والعظة، والذكرى.

ثم ينتقل بنا القرآن إلى يوسف عليه السلام، وإلى أبيه يعقوب، إلى الأنبياء المطهرين المشرفين، إلى الأسرة العريقة في الكرم، وفي الجود، وفي التقوى، وفي الورع.

وما كان من خير أتوه فإئماً * * * توارثه آباء آبائهم قبل
وهل يُنبتُ الخُطْيُ إلا وشيجه * * * وتُغرسُ إلا في مغارسها النخلُ

يصحو يوسف عليه السلام ذات يوم، وهو غلام فيما يقارب العاشرة، وفي الصباح يجلس أمام أبيه، ومن أعجب الأعاجيب عند الطفل، أن يرى في النوم ما يرى، ولذلك تجدد الأطفال يرتاحون أيما ارتياح، إذا ما رأوا في نومهم شيئاً يقصونه على آبائهم، لو رأى أحدهم خيلاً، أو طائراً، أو جبلاً، لزاد عليه، ولزخرف فيه وتمق، حتى يخبر أهله بذلك في الصباح.

وأما يوسف عليه السلام، فما زخرف وما زاد، يجلس أمام أبيه ويقول: يا أبتاه، ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٤].

رأيت أحد عشر نجماً في السماء، والشمس والقمر، ولو سكت لما كان في القصة عجب، كلُّ يرى أحد عشر كوكباً، وكل يرى الشمس والقمر، لكن ما هو

المذهل يا ترى؟ إن سرَّ الحلم والرؤيا: ﴿رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٤}. رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر هبطوا من السماء، وسجدوا لي في الأرض.

ولمَّ يعقوب عليه السلام، وهو نبي أعطاه الله من العلم، ومن الإدراك، ومن الفطنة والفهم، أن ابنه هذا سوف يكون له شأن عظيم، وأنه سوف يكون وارثه في النبوة، فخاف أن يخبر إخوته بهذه الرؤيا، فيأتي الشيطان، فيحول بينهم وبينه، وهذا ما حدث فقال: ﴿يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ {يوسف، الآية: ٥}. حذارٍ حذارٍ أن يسمعو منك هذه القصة، لا تخبرهم بذلك أبداً.

ولكنه ما حفظ وصية أبيه، وما نفذها، لأنه كان يحب إخوته، وما شك فيهم طرفة عين.

فالإخوان، الأشقاء، الرحماء، الأصفياء، المتحابون، كيف ينقم بعضهم على بعض، وكيف يحسد بعضهم بعضاً، وكيف يبغى بعضهم على بعض، ولذلك علمنا رسول الله ﷺ كما في الصحيح؛ أن إذا رأى أحدنا رؤيا طيبة، ألا يقصها إلا على من يحب^(١).

فأتى يوسف عليه السلام إلى إخوته، وجلس معهم، وهو من أصغرهم، وقص عليهم القصة، فثار الحقد في قلوبهم، والحسد في نفوسهم، وأصبح الخلاص من يوسف عليه السلام أمراً مؤكداً لا حيدة عنه، ولا مفر منه، وعلم يعقوب عليه السلام أن الإخوة علموا بأمر الرؤيا، فسقط في يديه، وأيقن أن المؤامرة سوف تدبر، وأن المكيدة أوشكت.

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٦} بهذه الرؤية وبغيرها ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٦} تفسر للناس الرؤى وتعبرها لهم، فضلاً من ربك ﴿وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ {يوسف: ٦} نعمة الرسالة، نعمة الاستقامة، نعمة الولاية،

(١) البخاري (٨٣/٨)، ومسلم (١٧٧٢/٤) رقم: (٢٢٦١).

﴿ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ {يوسف: ٦٦}. وبدأ به، لأنه أفضل ﴿ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٦٦}.

ويتهي هذا المشهد، ثم ينتقل بنا القرآن إلى مشهد آخر، ينتقل بنا إلى أصل القضية، والباعث على المؤامرة التي سوف تدبر، والجريمة التي سوف تنفذ.

يقول الله - عز وجل -: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمَسْأَلِينَ ﴾ {يوسف: ٧٧}.
عظات وعبر للمعتبرين، إخوان ينقمون على أخيهم!! إخوان يريدون قتل أخيهم!! ينفونه من بيته!! يحرّمونه من أبيه!!

اجتمع إخوة يوسف، وهو ليس معهم، بل معهم الشيطان فقال قائلهم: ﴿ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنََّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٨٨}. ونحن جماعة في بيت واحد، ومن أب واحد ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٨٨}.

لقد أخطأ أبونا، حيث قدم أخانا علينا، لماذا يفضله علينا ونحن أكثر منه؟ لماذا يقبله أكثر مما يقبلنا؟ لماذا يجلسه بجانبه ولا يجلسنا بجانبه؟ وهذا مما توهموه وإن كانت الحقيقة غير ذلك. وهذا أيضاً درس في التربية لمن كان عنده أبناء، فلا ينبغي أن يميّز أحدهم على الآخر، فإن هذا يورث الضغينة، والحقد، والتحاسد بينهم، إلا أن يكون طفلاً صغيراً، فله أن يميّزه، لأنه ضعيف، وإخوانه أقوياء.

﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ فما هو الحل يا ترى عند هؤلاء الإخوة؟

﴿ افْتَلُوا يُوسُفَ ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٩٩}. مكيدة ما سمع التاريخ بمثلها، فتى بريء، طفل صغير، تقي ورع، يتآمر عليه إخوانه، وينقم عليه أحبابه، ويكيد له من تربوا معه في بيت النبوة.

﴿ افْتَلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٩٩} أو اذهبوا به إلى أرض بعيدة بعيدة، وألقوه فيها ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٩٩} سوف تستأثرون بأبيكم، وتفردون بحبه، وظنوا أن هذا سوف يحدث ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ ﴾

أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿ اسورة يوسف، الآية: ٩٩ ﴾ ثم تتوبون من هذا الخطأ، وتستغفرون من تلك الجريمة، وسوف يتوب الله عليكم لأنه غفور رحيم!!

قال ابن عباس رضي الله عنهما : نَوُوا بالتوبة قبل الذنب. ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ اسورة يوسف، الآية: ١٠٠. والقائل أكبرهم على قول بعض المفسرين، رأى أن القتل شديد، وأنه من أكبر الكبائر، وأنه جريمة نكراء، فتحركت في قلبه بعض الرحمة، وبعض الشفقة، وقال لا تقتلوه وإنما ﴿ أَلْقُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ ﴾ أي في بئر مغيبة ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ مصممين على هذه الفعلة.

واجتمعوا على هذا الرأي، وأجمعوا أمرهم على تلك المكيدة، ولكن كيف يأخذون يوسف من بين يدي يعقوب عليه السلام، ما الحيلة التي يحتالون بها على يعقوب؛ لإخراج يوسف من بيته؟ .

لقد جاءوا إلى أيهم متوسلين؛ يا أبانا، لماذا لا تستأمننا على أحنينا يوسف؟ هل صدر منا شيء تجاهه؟ ألا تعرف أننا نحبه كثيراً!! هل ضربناه؟ هل أسأنا إليه؟ هل حسدناه على شيء!! ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ اسورة يوسف، الآية: ١١١. نحن نحبه والله، وننصح له، ولا نريد له إلا الخير، ﴿ أَرْسَلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ اسورة يوسف، الآية: ١١٢.

دعه لنا غداً يرعى معنا الغنم، وسوف نتركه يلعب، ويجري، ويمرح، إلا أن أعيننا سوف تكون عليه، ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، فأجابهم يعقوب عليه السلام بلسان الأب الحنون، وبقلب مطمئن بصير ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ ﴾ اسورة يوسف، الآية: ١١٣. لقد شككوه في أنفسهم، فبين لهم أن ذهابهم بيوسف يحزنه، وأنه يجد لفراقه وحشة، لأنه صغير، ولأنه يرى فيه النبوة والاصطفاء.

ثم أضاف يعقوب عليه السلام سبباً آخر فقال: ﴿ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ اسورة يوسف، الآية: ١١٣.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو لم يقل لهم: أخاف أن يأكله الذئب، ما كانوا قالوا في الأخير: لقد أكله الذئب، لأن هذا الأمر لم يكن في أذهانهم، ففتح لهم يعقوب عليه السلام طريقاً، وأوجد لهم عذراً لم يدر بخلدهم، دون أن يدري .

ولذلك ففي بعض الآثار أن الله عاقب يعقوب عليه السلام، بسبب هذه الكلمة، ففقد ابنه أربعين سنة، وأوحى إليه، قال: يا يعقوب خفت الذئب ولم تذكر حظي !!

قلت: «أخاف أن يأكله الذئب» وما قلت كما قلت في الأخير: ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤] .

ثم بدءوا في تنفيذ جرميتهم، ذهبوا بيوسف إلى المرعى في الصحراء، ذهبوا به والسعادة تملأ قلبه، لأنه سوف يلعب مع إخوته، وسوف يقضي معهم وقتاً طيباً، ذهبوا وقلوبهم تغلي حقدًا، وتتفطر حسدًا لهذا الأخ الحبيب القريب الصغير، فأخذوه أول ما وصلوا، ما تركوه يرتع كما قالوا، ويلعب كما زعموا، وإنما قيده بحبل، وأنزلوه في البئر، فأخذ يستغيث ويظن أنهم يمزحون، وقد خيروه بين القتل وبين أن يلقي في البئر

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً * * * وحسب المنايا أن يكن أمانيا
تمنيتها لما تمنيت أن ترى * * * صديقاً فأعيا أو عدواً مداويا

فأنزلوه وهو يتشبث ويبيكي، فيقول له أخوه وهو يستهزئ به، ويتهكم عليه كما في بعض الآثار: هذه أحد عشر كوكباً، وهذه الشمس والقمر يسجدون لك!! فأخذوا ينزلونه بالحبل، وذكر ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» أنه لما نزل أخذ يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، وأخذ يقول: سبحان الله، سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو على كل شيء قدير .

قال ابن عباس وهو يبكي حينما قرأ سورة يوسف :

هدأت الحيتان في البحر من التسبيح، ولسم يهدأ يوسف عليه السلام من

التسييح، فأنزلوه، ولم نزل قطعوا عنه حباهم، فبقي في حفظ الله، وفي رعاية الله وفي أمن الله .

وَإِذَا الْعِنَايَةَ لِحِظَّتْكَ عَيُونُهُا نَمَّ * * * فَالْحَوَادِثُ كُلُّهُنَّ أَمَانٌ * * *

يَا وَاهِبَ الْأَمْوَالِ أَنْتَ * * * حَفِظْتَنِي وَمَنْعْتَنِي
وَعَدَا الظُّلُومِ عَلَيَّ كَيْ * * * يَجْتَنِي فِحْمِيَّتِي
فَانْقَادَ لِي مَتَخَشُّعًا * * * لِمَا رَأَى نَصْرَتَنِي

قطعوا الحبل وتركوه في البئر، وهو يلهج بذكر الله، في صحراء شاسعة، وحيداً ليس معه إلا الله، لا خبز، ولا ماء، لا طعام، ولا أهل، لا جيران ولا أجرة، لا أحد يمر، ولا مؤنس يؤنس، وإنما الذئب يعوي في صحراء مدوية، ثم رجعوا إلى أبيهم باكين !!

سَبَّارِيَّتُهُ مَغْبِرَةٌ وَسَبَّاسِبُهُ عَوَى الذِّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذِّئْبِ إِذْ عَوَى
وَصَوَّتْ إِنْسَانٌ فَكَدْتُ أُطِيرُ

ولم يكن الشرُّ متأصلاً في إخوة يوسف عليه السلام، ولذلك نجدهم أخطئوا في حبك هذه القصة من أوجه ثلاثة :

الوجه الأول: لو أرادوا مكيدة لتركوه إلى غير هذا اليوم ولعادوا به سالماً، ليطمئن أبوه إليهم، ولكن هكذا في أول يوم يأكله الذئب!! ما هذا الذئب الذي ينتظر يوسف في الصحراء، وكأنه يرقب متى يخرج حتى يأكله!؟

الأمر الثاني: أنهم أتوا بثوبه فخلعوا قميصه ولم يمزقوه، والذئب لا يعرف خلع القميص، الذئب لا يفك الأزرار، وإنما يمزق الشيا بتمزيقاً، وهم فكوا الأزرار، وخلعوا الثوب بهدوء، ثم جعلوه في دم شاة ليحتالوا على أبيهم .

والأمر الثالث: جاءوا إلى أبيهم وقالوا: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾

{يوسف: ١٧} .

كاد المريب أن يقول خذوني، يقولون: إنك لا تصدقنا وهذا علامة على أن في الأمر شيئاً .

ولكن ماذا فعل يوسف عليه السلام؟

أظلم عليه الليل، قال أهل العلم: أنزل الله عليه جبريل يسكنه تلك الليلة، وأخبره ربه أنني معك أسمع وأرى، فلا تفتقر لسانك من ذكري، فإني جليسٌ من ذكري، فبدأ يوسف عليه السلام يذكر الله سبحانه وتعالى، فلما استأنس قال يا جبريل، استأنستُ بجلوسي مع الله، فإن شئت فاذهب، فأوحى الله إلى يوسف: ﴿لَتُنَبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٥]. سوف تمر الأيام، وتخبرهم بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون!!

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٦]. رجعوا إلى أبيهم في العشاء، لماذا لم يأتوا في المغرب، أو في العصر؟ أولاً: لِيُظْهِرُوا أَنَّهُمْ تَأَخَّرُوا فِي مِصْرَاعَةِ الذُّبِّ، وفي ملاحظته، حتى يخلصوا أخاهم من بين أنيابه!! ولذلك تأخروا إلى العشاء.

والأمر الثاني: حتى لا يرى أبوهم الدم في الثوب فيميز بين دم يوسف ودم الشاة. وانظر إلى المكيدة.. أتوا يتباكون!! ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦]. لقد تركوا كل شيء، وعمدوا إلى أبيهم يعقوب عليه السلام، وهم في حالة سيئة من البكاء والنحيب!! ماذا حدث؟ يا لهذه الرحمة التي أبكتهم!، ما هذه الدموع الساخنة الحارة على فرقة يوسف عليه السلام، فسألهم أبوهم: ما الخبر؟ قالوا: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ﴾ [يوسف: ١٧]. ﴿ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ تجارينا وتسبقنا ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ﴾ إشفاقاً عليه ﴿عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّبُّ﴾ لأنه أخبرهم قبل ذلك أنه يخاف أن يأكله الذب، ثم قالوا: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]. أنت لا تصدقنا مع أننا صادقون، ﴿وَجَاءُوا عَلَيَّ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]. إن كنت لا تصدقنا، فهذا دليل صدقنا، هذا قميصه ملطخاً بالدماء، هذا ثوبه جثا به؛ لتعلم أننا صادقون!!

أخذ يعقوب عليه السلام الثوب، وضمه إليه، وسالت عينه بالدموع، ﴿قَالَ
بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]. لقد
كُتبت مكيدة، ودبرتم مؤامرة، والله المستعان على ما تصفون.

قال ابن تيمية - رحمه الله -: الصبر الجميل؛ الذي لا شكوى فيه، والصبر
الجميل، أن لا تُظهِر الفقر ولا المسكنة لغير الله، والصبر الجميل، أن تتجمل أمام
خلق الله.

قيل لأحد العباد: ما هو الصبر الجميل؟ قال: أن يتقطع جسمك قطعة قطعة،
وأنت تتبسم!! وقال آخر: الصبر الجميل، أن تبتلى وقلبك يقول: الحمد لله.
ثم تولى يعقوب يبكي حتى ابيضت عيناه على ما سوف يأتي، وفي بعض
الآثار، أن الملائكة بكيت على بكاء يعقوب عليه السلام.

وكان أبو بكر - رضي الله عنه وأرضاه - يقرأ سورة يوسف في صلاة الفجر،
فإذا بلغ قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٨]. بكى وبكى الناس معه.
وحرم يوسف من أبيه يعقوب عليه السلام أربعين سنة واستوحش يعقوب، وخلت
الدار، وأظلم كل شيء، وبكى يعقوب حتى ذهب عيناه، ولسان حاله يقول:

بنتم وبننا فما ابتلت جوانحنا
شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضي علينا الأسي لولا تأسينا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي
مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا

وللحديث بقية: أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم
وجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،
والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وحجة الله على الناس
أجمعين، ومحجة الساكنين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

● أما بعد:

ففي هذا المقطع السابق من سورة يوسف عليه السلام فوائد ودروس، منها:
الأمر الأول: أن هذا القرآن مُعْجَزٌ وأنه معجزةُ رسولنا ﷺ، قال تعالى:
﴿قُلْ لئن اجتمعتِ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٨٨].

الأمر الثاني: في الرؤيا حقٌ وباطلٌ؛ فإن كانت من رجل صالح، وكانت
صالحة، ولم تكن في أمر مستحيل، فإنها من المبشرات.

الأمر الثالث: على المسلم إذا رأى رؤيا صالحة ألا يخبر بها إلا من يحب، لا
يخبر بها كل أحد، أما إذا رأى رؤيا سوء فلا يخبر بها أحداً، سواء يحبه أو لا
يحبه. فرؤيا السوء لا يُخبر بها أحد.

وبعض الناس إذا رأى رؤيا مؤذية، مضرّة، مكروهة، أخبر بها، فتقع عليه.
وفي حديث عنه ﷺ وهو صحيح: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا
عُبرت وقعت»^(١).

والأمر الرابع: أن الحسد مركوزٌ في فطر الناس، قال الحسن - رحمه الله -: ما
خلا جسد من حسد، ولكن المؤمن يدفعه، ويعتقد أن الحسد من أكبر الخطايا
والذنوب، وأنه من أقبح السيئات، وأنه يأكل الحسنات، وأنه ينحل الجسم، وأنه
يُذهب بالتقوى والورع، وأنه يغضب الرب على العبد.

(١) أخرجه ابن ماجه (١٢٨٨/٢) رقم: (٣٩١٤)، وأحمد (١٠/٤).

أقل لمن بات لي حاسداً * * * أتدري على من أسأت الأدبُ
أسأت على الله سبحانه * * * لأنك لم ترض لي ما وهبُ

فمن حسد فقد أساء الأدب مع الله، وقد اعترض على القضاء والقدر، وقد ضيع نفسه، وقد كره فضل ربه على الناس. ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٤].

فالحسد مقيت، وهو أول ما عَصِيَ به الله في الأرض، نعوذ بالله منه.

وواجب الحاسد أن يتوب إلى الله، وأن يراجع حسابه مع الله، وأن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأن يحسن إلى المحسود، وأن يهدي له، وأن يستغفر له، وأن يدعو له، وأن يعلم أنه ارتكب خطيئة ما بعدها خطيئة.

والأمر الخامس: أن المحن تقع بين الإخوة، إذا فضل بعضهم على بعض، فمن حسن التربية أن يساووا في القسمة، وفي الحب، وفي التقبيل، وفي الجوائز، فلا يقدم أحدهم على الآخر، ولو كان أحدهم متفوقاً، أو ناجحاً، أو قدم عملاً، فلا ينبغي أن يفضل على إخوانه. قال النعمان بن بشير: ذهب بي أبي إلى رسول الله ﷺ وقد ميزني بشيء من القسمة فقال ﷺ: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟» قال: لا يا رسول الله، قال: «فلا تشهني إذًا فإني لا أشهد على جور»^(١)، أو قال: «فأشهد على هذا غيري»^(٢)، أو قال عليه الصلاة والسلام: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»^(٣) فمن الظلم كل الظلم أن يقدم أحد الأبناء، وأن يؤخر الباقون، إنه سبيل إلى الإحباط، وإلى البغض، وإلى الانتحار، وإلى المكيدة والعداوة بين الأبناء، نسأل الله العافية. فهذا من الأدب في التربية.

والأمر السادس: أن الحافظ هو الله، وأن المانع من السوء هو الله، وأن الرقيب والحسيب هو الله الحي القيوم، فيوسف عليه السلام لما ألقى في الجب نسي

(١، ٢، ٣) أخرج هذه الألفاظ جميعاً مسلم في «الصحیح» (٣/١٢٤٣، ١٢٤٤) رقم: (١٦٢٣).

كل شيء إلا الله، فذكر مولاه، فحفظه، ورعاه وتولاه وأيده وسدده وآواه، وأصبح ملكاً على مصر، وآتاه النبوة، وشرفه بالرسالة، ومنحه العلم والدعوة.

وكذلك يحفظ الله من يحفظه ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

{سورة يوسف، الآية: ٦٤}.

وهكذا تستمر سورة يوسف، بمشاهدها التي سوف تأتي إن شاء الله، وبحديثها الشائق، وبروعتها في الأداء، وأخذها بأطناب القلوب.

نسأل الله فقهاً في كتابه، وتدبراً لآياته، وعملاً بمواعظه وأحكامه، إنه على

كل شيء قدير.

● عباد الله:

وصلوا وسلموا على مَنْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ {الاحزاب: ٥٦}.

وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١).

اللهم صلِّ على نبيك وحبيبك محمد، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارض اللهم عن أصحابه الأطهار، من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.



(١) أخرجه مسلم (١ / ٢٨٨) رقم: (٣٨٤).

■ يوسف في بيت العزيز ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرَّ
الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعةٌ ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النار .

● أيها الناس :

فلنستمع إلى القرآن وهو يواصل معنا عرض قصة يوسف عليه السلام ، في
إبداع عجيب ، وفي تصوير مشرق رائع ، بعد أن تركناه في الحب وحيداً ، ولكن
الله معه ، غريباً ؛ ولكن الله يؤنسه فالله سبحانه وتعالى يقول : «أنا عند ظن عبدي
بي ، وأنا معه إذا ذكرني»^(١) فمن ذكره فهو معه سبحانه وتعالى ، كما قال :
﴿ فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٥٢] .

اذكرونا مثل ذكرانا لكم

رُبَّ ذَكَرِي قَرَّبْتُ مِنْ نَزَحِ

(١) أخرجه البخاري (١٧١/٨) ، ومسلم (٢١٠٢/٤) رقم : (٢٦٧٥) .

بك استجير ومن يجير سواك
فأجر غريباً يحتمي بحماك
إني ضعيفٌ استعينُ على قوى
جهلي ومَعْصيتي ببعضِ قواك

● يقول الله سبحانه وتعالى تكلمة للقصة المذهلة المدهشة: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ * وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ * وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَرَاودَتْهُ الْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ {سورة يوسف، الآية: ١٩ - ٢٤}.

ترك في البئر وحيداً، وعاد إخوته ليكون بكاء الكذب، ويعرضون دم الكذب على قميصه، تركوه وحيداً، ولكن من كان الله جليسه فلا يستوحش أبداً. قال أهل العلم: لما أنزل يوسف عليه السلام في الجب، أخذ يذكر الله، ويكبر الله، ويهلل الله، قال عز من قائل: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾ {يوسف: ١٩}. إنه في صحراء مدوية، في بيدا شاسعة لا يجرؤ أحد على خوض غمارها، لكن الله أتى بقافلة، بموكب عظيم ليخلص يوسف عليه السلام من الجب.

ضلت القافلة طريقها، أتت من الشام تريد فلسطين، فضلت، وسوف تعترض مصر في طريقها، ذهبت إلى تلكم الصحراء؛ لحكمة أرادها الله.

وعناية الله تحفظ من يريد الله حفظه، ورعاية الله تحفظ العبد في كل طرفة عين، وفي كل لحظة، وفي كل مكان، وفي كل زمان. يقول ابن الجوزي في

«صِفَةُ الصَّفْوَةِ»، وهو يتحدث عن رعاية الله وعنايته: يقول أحد الصالحين: رأيت عصفوراً يأتي بلحم، ويذهب به إلى نخلة في الصحراء، فتتبعته، فوجدته كل يوم يأخذ من المذيلة لحمًا وخبزًا، ويذهب به فيضعه في تلكم النخلة، قال: فصعدت لأرى، وعهدي بالعصفور أنه لا يعشعش في النخل، فرأيت حية عمياء، كلما أتاها هذا العصفور بهذا اللحم، فتحت فاهما وأكلت، فمن ذا الذي سخر لها العصفور، إنه الذي سخر تلك القافلة ليوسف عليه السلام؛ لتأخذه من البئر.

وأدلى واردهم دلوه في البئر، والقرآن عجيب في العرض، رائع في الأداء، بديع في التصوير، لم يقل: أدلى دلوه، ثم تعلق يوسف بالدلو، ثم سحب الوارد الدلو، ثم أخرجه، فقال: مَنْ أَنْتَ؟ ثم ذهب به إلى أصحابه. بل جاء بالفاء التعقيبية؛ لأن عنصر المفاجأة في الآية يقتضي ذلك ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ {يوسف: ١٩}. فأتى بالفاء ﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾ {سورة يوسف، الآية: ١٩}. أدلى دلوه، فتعلق يوسف عليه السلام بالدلو، ثم سحبه الوارد، فرأى يوسف عليه السلام، غلامًا صبيحًا، أوتي شطر الحسن، فقال لأصحابه ﴿يَا بُشْرَىٰ﴾ وقرأ أهل الشام «يا بشراي» ﴿هَذَا غُلَامٌ﴾ أي: خادم وعبدٌ أبيعه وأنتفع بثمنه.

﴿وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً﴾ {سورة يوسف، الآية: ١٩} قيل: أخفاه بعضهم عن بعض، وجعلوه بضاعة، وقيل: أخفوه عن الناس، خوفًا من أن يجدوا أباه، أو أهله، أو إخوانه، وما علموا أن إخوانه هم الذين تركوه، وهم الذين طرحوه، وهم الذين هجروه وأبعده. ﴿وَأَسْرَوْهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ {سورة يوسف، الآية: ١٩}. الله يتابع سيرة هذا النبي، وقصة هذا الرسول الكريم، عليه الصلاة والسلام. ذهبوا به ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٢٠}. وشري هنا بمعنى باع، باعوه بثمن بخص، ولو دفعت الدنيا وما فيها في مثل يوسف عليه السلام لكانت ثمنًا بخسًا، ولكانت غبنًا، ولكانت خسارة.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٢٠} لم يقل موزونة، وإنما

قال معدودة؛ لأن المعدود دائماً أقل من الموزون، فلو قال: موزونة، لكانت كثيرة، وإنما قال معدودة؛ ليعين أنها دراهم قليلة.

﴿وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ {يوسف: ٢٠} لا يرغبون فيه، لا يريدون أن يكون معهم، ومن الذي اشتراه يا ترى؟ إن الذي اشتراه هو عزيز مصر!! ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ {يوسف: ٢١} ولم يذكر سبحانه وتعالى العزيز باسمه هنا لأمرين، الأول: لأن بطل القصة يوسف عليه السلام، فما كان لعنصر ثانٍ أن يتدخل في القصة.

ثانياً: لأن كلمة العزيز لا يستحقها؛ لأن العزيز من أعزه الله بطاعته، والشريف من دخل عبودية الله.

وما زادني شرفاً وفخراً * * * وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي * * * وأن صيرت أحمد لي نبياً

فقال لامراته: ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٢١}. وهذا مبالغة في الإكرام، أي: أحسني طعامه، وشرابه، وكسوته، ونومته ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ {يوسف: ٢١}. فيخدمنا في أغراضنا، ويقرب لنا بعض حوائجنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ {يوسف: ٢١}. كان العزيز حصوراً لا يأتي النساء، وكانت امرأته عقيماً، فأراد أن يتخذ هذا الغلام ولداً، يترعرع بينهما، وينشأ في بيتهما، وما علما أن الله قد قضى شيئاً آخر، وأنه سوف يكون نبياً من الأنبياء ورسولاً يحمل رسالة السماء، وداعية إصلاح يحزر الشعوب ويقود الأجيال إلى الله، فكيف يباع الحر في مصر؟! وكيف يسود العبد هناك؟! أبيع الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم!!

عجبت لمصر تهضم الليث حقه

وتفخر بالسنور ويحك يا مصر!!

سلام على الدنيا سلام على الوري

إذا ارتفع العصفور وانخفض النسر

بيع عليه السلام، ومكث في قصر العزيز، تقياً، عابداً، متألهاً، متصلاً بالحي القيوم.

وتمر الأيام، ويزداد حسناً إلى حسنه، وجمالاً إلى جماله، وتأتي الطامة الكبرى، تراوده المرأة عن نفسه فياللفتنة العظيمة، وباللحمحة الأليمة.

شاب أعزب غريب، شاب فيه هيجان الشهوة، وأعزب ليس له أهل يعود إليهم، وغريب لا يخشى على نفسه من السمعة القبيحة، كما يخشى المقيم وسط أهله وجيرانه.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ {يوسف: ٢٣}. تعرضت له كثيراً، وتجملت له دائماً؛ لأنها ذات منصب وجمال، ملكة في قصر ملك، ولكن الله معه يحفظه ويسدده. وفي يوم من الأيام؛ غلقت الأبواب، وكانت سبعة أبواب، ﴿غَلَقَتْ﴾ كل باب، ولم يقل: أغلقت، وإنما ﴿غَلَقَتْ﴾ زيادة في المبني، ليزيد المعنى، ﴿وَعَلَّقَتْ﴾ للتكثير، فلما غلقت الأبواب، خلت هي وإياه، ولكن الله سبحانه وتعالى يراهما. ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ {الشعراء: ٢١٨، ٢١٩}. راودته المرأة، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ {يوسف: ١٣}. تهيأت لك، تجملت لك تزينت لك !! ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ {يوسف: ٢٣}. ولكن المرأة أصرت على الفاحشة، ولم تعد ترى إلا جمال يوسف.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ {يوسف: ٢٤}. اقتربت منه وتعرضت له ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٢٤}. لولا أن أدركه الله بعنايته وحفظه ورعايته لهلك ولا ارتكب الفاحشة.

وإذا خلوت بريبة في ظلمة * * * والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لها * * * إن الذي خلق الظلام يراني
يا من سترت مثالي ومعايي * * * وجعلت كل الناس كالإخوان
والله لو علموا قبيح سريرتي * * * لأبي السلام علي من يلقاني

﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢٤]. أصابه شيء من حظ النفس البشرية، انتابه شيء من النقص البشري، دارت بخلده المعصية، ولمّا يفعل؛ لأنه من عباد الله المخلصين ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف، الآية: ٢٤]. فما هو هذا البرهان؟ استمعوا إلى أقوال المفسرين، وأعرضها عليكم ثم نخرج بالصحيح الراجح إن شاء الله.

● قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : لما همّ يوسف بها، سمع هاتفاً يهتف يقول: يا يوسف، إني كتبتك في ديوان الأنبياء فلا تفعل فعل السفهاء .

● قال السُّدي: سمع هاتفاً يهتف يقول: يا يوسف اتق الله، فإنك كالطائر الذي يزينه ريشه، فإذا فعلت الفاحشة نفت ريشك.

● وقال بعض المفسرين كما أورد ابن جرير الطبري: رأى لوحة في القصر مكتوب عليها: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجِيَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣٢]. وقال غيرهم: رأى كفاً قد كُتِب عليه. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [سورة الانفطار: ١٠]. إننا نحفظ حركاتكم، وسكناتكم، وتصرفاتكم، إننا نراكم، إننا نشاهدكم.

● وفي رواية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما همّ يوسف عليه السلام، رأى يعقوب أباه في طرف الدار، قد عضّ على أصبعه ويقول: يا يوسف اتق الله. أوردتها ابن جرير وابن كثير.

● وقال بعض أهل العلم من المفسرين أيضاً: لما همّت به وهمّ بها، قالت: انتظر، قال: ماذا؟ فقامت إلى صنم في طرف البيت، فسترته بجلباب على وجهه. صنم لا يتكلم، لا يسمع، ولا يبصر، لا يأكل، لا يشرب، قال: مالك؟ قالت: هذا إلهي، أستحيي أن يراني!! فدمعت عيناه وقال: أتستحين من صنم لا يسمع ولا يبصر ولا يملك ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، ولا أستحيي من الله الذي بيده مقاليد الأمور!؟

● والصحيح في ذلك ما قاله ابن تيمية شيخ الإسلام ، وغيره من أهل العلم ؛ أن برهان ربه الذي رآه : واعظ الله في قلب كل مؤمن ، تحرك واعظ الله ، والحياء من الله ، والخجل من الحي القيوم ، في قلب يوسف عليه السلام ، فارتد عن المعصية وعاد منيباً إلى الله . ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ { النازعات : ٤٠ ، ٤١ } . تذكر الوقوف بين يدي الله يوم يحشر الناس حفاة عراة .

فبرهان ربه ؛ واعظ الله في قلبه يعظه بالتوحيد ويناديه بالتقوى .

فهل آن لشباب الإسلام أن يتحرك واعظ الله في قلوبهم ؟ وهل آن للمسلمين أن يجعلوا من يوسف عليه السلام قدوة لهم ؟ فيا من يطلع على عورات المسلمين ، ليس لك في يوسف عليه السلام قدوة ؟! ويا من يعامل ربه بالمعاصي ، ويرتكب الجرائم ، ويحرص على الزنى ، أما رأيت يوسف ، وقد خلا بامرأة جميلة ذات منصب ، فتذكر واعظ الله في قلبه ؟ ويا من يدعو إلى تبرج المرأة ، وإلى الاختلاط ، أرايت ماذا تفعل الخلطة والتبرج !؟

يوسف نبي معصوم ، كاد أن يزل ، وأن يهلك ، وأنت تنادي المرأة أن تتبرج ، وتسفر عن وجهها ، وتخالط الرجال ، فأين الواعظ إذن ؟ وأين التقوى إذن ؟ وأين مراقبة الله ؟

● يقول عليه الصلاة والسلام : «ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»^(١) ويقول : «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس»^(٢) .
ويقول عليه الصلاة والسلام : «لا تتبع النظرة النظرة ؛ فإن لك الأولى وليست لك الثانية»^(٣) .

(١) أخرجه الترمذي (٤٠٤/٤) رقم : (٢١٦٥) ، وقال : حسن صحيح غريب .
وصححه الحاكم على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي .

(٢) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦٦/٨) : رواه الطبراني ، وفيه عبد الله بن سعيد المقبري ، وهو متروك .

(٣) أخرجه أبو داود (٢٤٦/٢) رقم : (٢١٤٩) ، والترمذي (٩٤/٥) رقم : (٢٧٧٧) وقال : حسن صحيح غريب ، وحسنه الألباني كما في «صحيح الجامع» رقم : (٧٩٥٣) .

فيا شباب الإسلام، أما رأيتم ماذا فعل يوسف عليه السلام؟
ثم قال الله له: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ {يوسف، الآية ٢٤} لنعمر
مستقبله باليقين لنجعله من ورثة جنة رب العالمين، مع المؤمنين الخالدين الصالحين.
﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ {سورة يوسف، الآية ٢٤}. وإذا أخلص العبد لله، حماه الله
من الفتن، ووقاه المحن، وجنبه الشرور.

يقول سعيد بن المسيب - رحمه الله -: إن الناس في كنف الله، تحت كنفه وظله،
فإذا أراد أن يفضح أحدهم، رفع ستره سبحانه وتعالى عنه.

فيا شباب الإسلام، ويا معاشر المسلمين، انظروا إلى هذا التقي النقي الورع،
انظروا إلى من راقب الله فأسعده الله، ونجاه الله، وحفظه الله.

يا واهب الآمال أن * * * ت حَفَظْتَنِي فَمَنَعْتَنِي
وَعَدَا الظُّلُومَ عَلَيَّ كَي * * * يَجْتَا حَنِي فَمَنَعْتَنِي
فَانْقَادَ لِي مَتَخَشَعًا * * * لِمَا رَأَى نَصْرَتَنِي

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولجميع المسلمين،
فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، رسول رب العالمين، وقدوة الناس أجمعين، وهداية السالكين، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

● أما بعد:

ثم كان من أمر يوسف وامرأة العزيز أن قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَبِقَا الْبَابَ﴾ سورة يوسف، الآية: ٢٥. هو يهرب من الفاحشة، وهي تلاحقه، ويا للفتنة، يهرب إلى الله، يفر إلى الحي القيوم، وهي تلاحقه ﴿وَأَسْتَبِقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ سورة يوسف، الآية: ٢٥. شقت قميصه وهي تلاحقه، وتدعوه إلى نفسها، وهو يلتجئ إلى الله، ويصيح بأعلى صوته، وصوته يدوي في القصر ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ سورة يوسف، الآية: ٢٣. ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ قال جم غفير من المفسرين ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: أي إنه سيدي زوجك، أحسن استقبالي وضيافتي، فكيف يكون جزاء معروفه، ورد جميله أن أخونه في أهله.

وقال السدي: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ إنه إلهي الحي القيوم، اجتباني ورباني وعلمي وحفظني وحماني وكفاني وآواني، فكيف أخون الله في أرضه؟ وكيف أعصي الله؟! وكيف أنتهك حرمت الله؟! فيا من أراد أن يفعل المحرمات، ويتعدى الحرمات، تذكر معروف الله عليك، وقل: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ قل معاذ الله، لا أعصي الله؛ فإنه رباني ورزقني وكفاني وآواني: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾، ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَْا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ سورة يوسف، الآية: ٢٥.

إن هذه القصة مذهلة، إنها مذهشة كلها مفاجآت وقضايا ولفترات ومباغئات، ﴿وَأَلْفَيَْا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ﴾ وإذا بسيدها، برجلها، بزوجها عند الباب، فتح الباب،

فإذا يوسف وامرأته واقفان عند الباب، في وضع مريب، وانظر إلى كيد النساء، وانظر إلى مكر المرأة، تسبق يوسف بالكلام، تضرب وتبكي، وتظلم وتشتكي، تقول: ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ { يوسف، الآية: ٢٥}. هذا أراد بي السوء، وغلق عليّ الأبواب، ودعاني لنفسه، فما هو جزاؤه عندك؟ لا بد أن يسجن، أو يعذب عذاباً أليماً.

قال ابن عباس: يضرب بالسياط، فقال يوسف بلسان الصادق، الناصح، الأمين، التقى، الورع، الزاهد، العابد: ﴿ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ { يوسف: ٢٦}. وصدق والله ﴿ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ { يوسف: ٢٦}. فمن هو هذا الشاهد يا ترى؟

قيل: رجل من أبناء عمومتها شهد عليها، وقيل: ابن خالها، وقيل: رجل من الخدام. وقيل الشاهد: طفل صغير، كان بالغرفة، لا يتكلم، فأنطقه الله الذي أنطق كل شيء.

أتوا إلى الطفل في المهد، لا يتكلم ولا ينطق، فقال: صدق يوسف، وكذبت المرأة، هي التي همت به، هي التي راودته، هي التي دعته إلى نفسها. ولذلك من «مسند أحمد»، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «تكلم أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة ابنة فرعون»^(١). وهذا سند جيد. فشهد هذا الشاهد، وعرض أمراً يستطيعون به تعرف الصادق منهما.

قال: ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ { يوسف، الآية: ٢٦}. وبدأ بتصديقها؛ لأنها ملكة؛ ولأنها صاحبة منصب؛ ولأن التهمة بعيدة عنها ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ {سورة يوسف، الآية: ٢٧}. فلما عاينوا قميصه، وإطلعوا عليه، رأوه قد قُدَّ من دُبُرٍ، فصدقوه، وأعلنوا

(١) أخرجه أحمد (٣١٠ / ١) موقوفاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧٠ / ١)، رواه أحمد والبخاري والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة، ولكنه اختلط.

براءته، واستخلصوه، ووفوه حقه من التبجيل والإكرام إلا في بعض الأمور التي سوف تأتي بإذن الله تعالى .

ثم قال الله - عز وجل - : ﴿يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ [سورة يوسف ، الآية : ٢٩] . لا تتكلم بذلك في المجالس ، لا تتحدث به ، لا تنشره .

وكثير من الناس يتبجح في المجالس بالمعصية ، قال بعض المفسرين : إن العزيز هو القائل : ﴿أَعْرَضَ عَنْ هَذَا﴾ يعني لا تتحدث إلى الناس بهذه الواقعة .

ثم قال لامرأته : ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف ، الآية : ٢٩] إنه انتصار ما بعده انتصار ، انتصار على النفس الأمارة بالسوء ، وهل النصر العجيب إلا أن ينصرك الله على نفسك !! وأن يعلي حذك ، وألا يخيب ظنك ، وأن يحفظك من الفتن ، ومن المحن ومن المعاصي ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة يوسف ، الآية : ٦٤] .

فيا من حفظ يوسف عليه السلام ، احفظنا بحفظك ، ويا من رعاه ارعنا برعايتك يا رب العالمين ، ويا من حرسه بعينه ، احرسنا بعينك التي لا تنام . ويا من آواه إلى كنفه ، آونا إلى كنفك الذي لا يضام إنك على كل شيء قدير .

● عباد الله:

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب : ٥٦] .

● وقد قال ﷺ : «من صلى عليَّ صلاةً، صلى الله عليه بها عشراً»^(١) .

اللهم صلِّ على نبيك وحبيبي محمد ، اللهم اعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين ، اللهم ارض عن أصحابه الأطهار ، من المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم : (٣٨٤) .

■ كيف نعلم الناس؟ ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلِّ فلا هاديَّ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله ، وأحسنَ الهدى هدىُ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .
 ● أيها الناس :

نحن على مشارف عام دراسي جديد تفتح فيه الجامعات والمعاهد والمدارس أبوابها . . ويخرج شبابنا وكريماتنا لتلقي العلم النافع . . الذي يقربهم من الله - عز وجل - ويبعدهم على طريق الضلال والغى .

والسؤال: ما هو موقفنا من العلم؟ وما هو العلم الذي نريده؟ وما هو واجب العلم علينا؟ وما هي مسئولية الأساتذة الأخيار والمعلمين الأبرار تجاه شباب الأمة وكريمات الأمة وأجيال الأمة؟

غداً يرسل الأب فلذة كبده إلى الأساتذة والمعلمين . . فماذا يفعلون بهذه الأمانة وبهذه المسئولية التي جعلها الله في أعناقهم؟

أولاً:- أيها الأبرار - نادى الله بطلب العلم ، ومدح العلم ، وأثنى على

العلماء وبجلهم وذكرهم في كثير من الآيات، وذم صنفاً آخر من العلماء ومقتهم وندد بهم وذمهم وذم مسعاهم.

● يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله في أول طريق الدعوة وخطواتها: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [سورة محمد، الآية: ١٩]. قبل أن تبدأ في الدعوة.. قبل أن تبدأ في الحياة.. قبل أن تبدأ في المسيرة عليك بطلب العلم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ املأ قلبك بالإيمان.. املأ جوارحك باليقين.. كن عبداً لله قبل أن تتعلم العلم.

ثم يقول له ممتناً عليه - يوم أخرجه من بين جبال مكة ووهابها وشعابها، ما تعلم في مدرسة، ولا دخل جامعة، ولا تلقى العلم على شيخ ولا أستاذ وإنما كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. مَنْ علمك؟ من هم شيوخك؟ من هم أساتذتك؟! الله الذي علمك.. والله الذي فقهك.. والله الذي نور بصيرتك، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

واستشهد الله بالعلماء وبطلبة العلم على أكبر شهادة في الدنيا، وعلى أكبر شهادة عرفتها الإنسانية.. وهي شهادة التوحيد، فقال عزّ من قائل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، فانظر كيف جعلهم شهداء على وحدانيته، وشهداء على ألوهيته! لعظم قدرهم.

ووصف الله طلبة العلم بأنهم يخشونه تبارك وتعالى، وبأنهم يقفون عند حدوده، وبأنهم لا ينتهكون حرماته، وبأنهم يراقبونه في السر والعلن.. فالذي لا يراقب الله ليس بطالب علم، والذي لا يخشى الله ليس بطالب علم، والذي لا يتقي الله ليس بطالب علم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

ووصف الله طلبة العلم بأن عندهم من الفهم للدعوة، والفهم

للدين والاستنباط من النصوص شيئاً كثيراً ، فقال: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ { العنكبوت: ٤٣} . هذه الرسالة الخالدة . هذه المبادئ الأصيلة . هذه الأهداف الجليلة لا يعقلها إلا من يفهم عن الله أمره ونهيه .

● ولم يأمر الله رسوله ﷺ بالتزود من شيء إلا بالتزود من العلم، فقال له: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ {سورة طه، الآية: ١١٤} . لا يكفي بعلم ولا يقف عند حد، وإنما همته تمر مر السحاب كل يوم في ازدياد . وكل ليلة في تحصيل . . وكل ساعة في مواصلة، مع هذا الصرح العظيم: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ . فهذا هو العلم الذي يغبط عليه صاحبه . .

والله - عز وجل - قد حكم بين طلبة العلم وبين غيرهم فقال: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {سورة الزمر، الآية: ١٩} . وسكت عن الجواب للعلم به، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ {سورة المجادلة، الآية: ١١} .

فيا أيها المسلمون.. يا أبناء من تعلموا العلم النافع الذي أوصلهم إلى الدرجات العليا في الجنة . . إن أبناءكم إذا لم يتعلموا العلم النافع ويطلبوه لمرضاة الواحد الأحد فأقلل به من علم! ويا لحسرة صاحبه ويا ندامته ويا خسارته . . علم لا يجعلك تشهد أن لا إله إلا الله، ولا يجعلك تعظم الله ليس بعلم، علم لا يجعلك تحافظ على الصلوات الخمس في جماعة ليس بعلم، علم لا يجعلك باراً بالديك . . وصولاً لرحمك . . صادقاً وفياً . . خاشعاً منيباً . . متقياً سنياً . . ليس بعلم، العلم ليس حفظ النصوص، فمن الناس من يحفظ القرآن . . ولكنه فاجر يلعنه القرآن وتلعنه السنة، ومن الناس من يدهده بالكلمات . . ولكن قلبه ما عرف الله .

ثم العنصر الثاني كيف حول ﷺ الجزيرة العربية من جزيرة يسكنها بدو

ورحل.. جزيرة لا تفهم شيئاً.. ولا تفقه شيئاً.. ولا تعي شيئاً.. أهلها قتلة نهبية.. سلبة سرقة.. زناة كذبة، إلى خير أمة أخرجت للناس.

ويدعي القوميون أن العرب لهم مجد قبل الإسلام، أي مجد؟! مجد الإبل والبقر والغنم؟ مجد القتل والنهب؟ مجد الحقد والضعينة؟.. لا والذي رفع السموات بلا عمد، ما بدأ مجدنا ولا تاريخنا إلا عظمتنا.. ولا ارتفعت رءوسنا إلا برسالة المصطفى ﷺ.

أتى عليه الصلاة والسلام للأمة الضائعة الأمة المسكينة.. الأمة الضالة فهداها إلى الله:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الجمعة، الآية: ٢].

لكن كيف علمهم؟ أعلمهم بالسوط والسيف؟ أعلمهم بالحبس والسجن؟ أعلمهم بالحديد والنار؟.. لا والله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩]. لو كنت سفاكاً ما اجتمعت عليك القلوب، ولو كنت قتالاً نهاباً ما أحببتك الأفتدة.. لكن كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٢٨]، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، الآية: ٤].

أتيت أيها المصطفى إلى العرب الذين يتقاتلون من أجل مورد الشاة ومربط الناقة، فأتيت بالخلق.. بالبسمة.. باللين.. بالرفق.. بالنصيحة، فانقادت لك القلوب، فحررتها من وثنيها ومن شركياتها، وقدتها إلى الله.

إن الدعاة الذين يحاولون اليوم أن يضلحوا بالتجريح والعنف، وبالتعريض بالناس، وبالحمالات العشوائية على بعض العلماء الذين لهم زلات انغمرت في بحار حسناتهم..

هؤلاء لا يفقهون.. هؤلاء لا يعلمون.. هؤلاء يفسدون أكثر مما يصلحون، وسوف يعلمون النتيجة.

يرسل الله موسى وهارون إلى فرعون السفّاك. فرعون المجرم، ثم يقول لهما سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه، الآية: ٤٤]. قال سفيان الثوري - كما في تفسير ابن كثير - : القول اللين: كنياه أي نأدياه بالكنية وكنيته أبو مرّة - مرر الله وجهه في النار - فأخذ موسى يقول: يا أبا مرّة إذا أسلمت أنعم الله عليك بملكك وصحتك وشبابك.

● فالرسول عليه الصلاة والسلام، جاء إلى هؤلاء البدو الرُحَل الذين لا يتفاهمون إلا بلغة الهرّآوات والعصي، أتى إليهم بالهدوء واللين حتى قاد قلوبهم إلى الله.. إنها معجزة! إذا استطعت أن تؤلّف بين غطفان وبنو تميم، وتؤلّف بين قريش والأوس والخزرج، وتؤلّف بين هوازن وفزارة، حتى أصبحوا إخوانًا متحابين متصافين متقاربين.

● أتاه عليه الصلاة والسلام، بدويٌّ جلف لا يفهم شيئًا. تربي مع التيس والكلب، قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - : «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عنق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال: يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ثم أمر له بعطاء»^(١).

هكذا بكل بساطة يأمر له بعطاء، ولا يحاسبه على تعديه السافر وإيذائه له بالقول والفعل.

فسبحان من علمه! وسبحان من ثبته! وسبحان من سدده أفلا يأخذ الأساتذة الأخيار والمعلمون الأبرار دروساً من هذا الأسلوب الراقى في معاملة

(١) أخرجه البخاري (٤٠/٧) كتاب اللباس، باب (١٨)، ومسلم (٧٣١/٢) كتاب الزكاة، رقم (١٢٨).

شباب المسلمين. لقد أخطأ كثير من الأساتذة والمدرسين يوم استخدموا السوط والعنف مع أبناء المسلمين، إن العنف لا يولد إلا عنفاً، وإن البغض لا يأتي إلا ببغض يقول عليه الصلاة والسلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه»^(١).

الدابة.. الجمل إذا رأى منك صلماً ورأى منك حدة قطع حباله، وغضب عليك، وأضمر لك العداة، فكيف بالأجيال.. كيف بأبناء المسلمين؟! كيف بالإنسان الذي يحسُّ ويشعر ويتألم.

والرسول ﷺ كان في تعليمه يخاطب الناس على قدر عقولهم، وأستاذ الإبتدائي ليس كأستاذ الجامعة، فالواجب عليه أن يصل إلى عقول هذا النشء.. إلى أفهامهم، فلا ينبغي عليه أن يكبر عليهم المعلومات أو يضحخ عليهم القضايا لكن يخاطبهم بقدر عقولهم.

في صحيح البخاري أنه ﷺ سمع أن أحد الأطفال المسلمين - أخو أنس - اسمه عمير أو أبو عمير كان له نغر «طائر يلعب به» فمات الطائر فأراد ﷺ أن يشارك هذا الطفل آلامه وأحزانه، فذهب إليه في بيته وأظهر الأسى له وقال: «يا أبا عمير ما فعل النُّغَيْر»^(٢).

قال أهل العلم: فيه درس عظيم على أن الناس يخاطبون على قدر عقولهم، وأن المعلومات تصلهم على قدر عقولهم.

كان عليه الصلاة والسلام إذا كلم الأعراب البدو الرحل خاطبهم بكلام يفهمونه.. بكلام على مستواهم وعلى ما تبلغ فهمهم، فإذا أتى إلى أبي بكر وعمر وعثمان وعلي - جلة الصحابة - كلمهم في القضايا الكبرى التي تؤثر في مسيرة الأمة.

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٠٤) كتاب البر والصلة، رقم (٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧/١٠٢) كتاب الأدب، باب (٨١) ومسلم (٣/١٦٩٢) كتاب الآداب رقم (٢٩).

كان عليه الصلاة والسلام ينهج في التعليم طرقاً شتى، منها: التعليم بالقدوة في نفسه، والله ما قال كلمة إلا عمل بها، والله ما دعا الناس إلى خير إلا كان أول من يقودهم إليه . . كان متأثراً بما يقول . . واثقاً من نفسه، يدعو إلى الصدق وهو صادق، يدعو إلى الصلاة وهو مصل، يدعو إلى الخشية وهو يخشى الله .

أما الذي يدعو وهو كاذب فلن يجعل الله في دعوته خيراً، ولن يكون لها تأثير . يدعو بعض الناس - ونعوذ بالله أن نكون منهم - إلى برِّ الوالدين . . ويعقّ والديه، يدعو إلى صلة الرحم . . ويقطع رحمه . . فلا يجعل الله لكلامه نوراً ولا لدعوته تأثيراً: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٤٤] أما تستحون؟! تتكلمون كلاماً جميلاً وتحاضرون وتأسسون وتألفون . . ولكن الأفعال تكذب الأقوال . وهذا والله عار وخيبة لمن يفعل ذلك إن لم يتب إلى الله - سبحانه وتعالى - .

فكان عليه الصلاة والسلام، يربي بالقدوة يرونه المعلم . . يراه من يفد عليه ساعة من الزمن فيهتدي بمرآه، لأنه يراه صادقاً أميناً مخلصاً . . محباً للخير . . قائداً إلى البر وإلى التعاطف .

وكان يربي عليه الصلاة والسلام، بالتطبيق، فهل وعى الأساتذة هذا المبدأ؟! كان إذا أراد أن يعلم الناس الصلاة قام فصلى أمامهم .

إن كثرة الحصص النظرية والمحاضرات بلا تطبيق معناه إدخال المعلومات في الأذن وخروجها من الأذن الأخرى .

ولقد كان منهج النبي ﷺ في التعليم مبنياً على القدوة والأسوة، وليس كما يفعل الذين لا يجيدون إلا التنظير وليس لهم في جانب التطبيق نصيب .

ففي «الصحيحين» عن سهل بن سعد الساعدي قال: رأيت رسول الله ﷺ صلى على أعواد منبره وكبر وهو عليها، ثم ركع وهو عليها ثم نزل

القهقري فسجد في أصل المنبر ثم عاد فلما فرغ أقبل على الناس فقال: «يا أيها الناس إنني صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي»^(١).

فهذا هو الأسلوب الصحيح في التعليم، تلك هي القدوة الحسنة، والمنهج التربوي السليم في التوجيه، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

فهل فكر أحد من الأساتذة أن يقف بدل أن يكتب على السبورة معلومات لا تنفع أطفال المسلمين.. هل فكر أن يريهم الوضوء؟! أن يريهم الصلاة.. أن يريهم كيف يسبح الله - عز وجل - .. أن يريهم هيئة صلاة الكسوف والاستسقاء وصلاة الخوف؛ ليكون علم التطبيق نافعاً محفوظاً مجدداً وكان عليه الصلاة والسلام، يضرب الأمثال المذهلة التي تبقى في النفوس فلا تزول.

أراد أن يصف لهم فضل الصلوات الخمس، فماذا قال؟ وما طريقته في بيان ذلك؟

قال: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل كل يوم منه خمس مرات أيبقى من درنه شيء؟».

فقالوا: لا يا رسول الله. قال: «فذاك مثل الصلوات الخمس يحو الله بهن الخطايا»^(٢) ذهب ﷺ مع الصحابة إلى السوق، فرأى جدياً أسك أي صغير الأذنين وهو مع ذلك ميت، فرفعه بيده الشريفة وقال لأصحابه:

«من يشتري هذا بدرهم؟» قالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به قال: «أحبون أنه لكم»، قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»^(٣).

هذا هو التعليم.. وهكذا يكون وضوح المناهج.

(١) أخرجه البخاري (٢٢٠/١) كتاب الجمعة، باب (٢٦)، ومسلم (٣٨٧/١) كتاب المساجد رقم (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤/١) كتاب المواقيت، باب (٦)، ومسلم (٤٦٢/١) كتاب المساجد رقم (٢٨٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٢/٤) كتاب الزهد رقم (٢).

والعلم علمان: علم ضار لا ينفع، وهو العلم الذي يسلخ الشاب من مبادئه، ومن دينه، ومن تقواه، ومن خشيته لله، فيخرج يحمل شهادة.. وهو فاجر، ويحمل مؤهلاً علمياً.. وهو فاسق، لا يعرف من الدين قليلاً ولا كثيراً. فهذا هو العلم الضار: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ {سورة البقرة، الآية: ١٠٢} علم لا يصل إلى القلوب.. علم لا تدمع منه العينان.. علم لا يدل على كثرة الذكر والتلاوة وكثرة النوافل ويجعلك داعياً.. ليس بعلم.

والعلم النافع سبق تفصيله، وللحديث بقية.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم وجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله ، الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

● أما بعد: أيها الأخيـار. . فإنني أدعو كل معلم وأستاذ أن يتقي الله - عز وجل - في أجيال المسلمين، وأن يخلص النيّة؛ وأن يصدق مع الله - عز وجل - في تعليم شباب المسلمين.

ولا يظن أنها مجرد وظيفة واستلام راتب وقضاء وقت، لا والله. . الأمر أعظم من ذلك. . الأمر رسالة خالدة واتباع للرسول عليه الصلاة والسلام. إن المعلم كاد أن يكون نبياً من الأنبياء، فإن أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وورثة الأنبياء هم الدعاة إلى الله والأساتذة والمعلمون. . فأدعو كل أستاذ أن يكون مربيّاً، وأن يكون متقياً لله، وأن يعلم أن هذه البلاد تختلف تماماً عن كل البلاد - أقصد من غير بلاد المسلمين - في التعليم وفي التوجيه، فنحن لسنا في فرنسا ولا أمريكا ولا الصين. . نحن في مهبط الوحي. . وفي قبلة المسلمين. . وفي بلاد الحرمين. . نحن في بلاد انبعثت منها لا إله إلا الله، وانطلقت منها الدعوة الخالدة، وسرحت منها الكتاب التي فتحت بلاد الدنيا.

فعلمنا موصول بالله - عز وجل - علمنا يؤخذ من فوق سبع سموات. . كتاب وسنة. ونحن لا نتعلم - ونسأل الله ألا نتعلم - لغير الأغراض التي يريدّها الله - عز وجل - .

فيا أيها الأستاذ.. مهما كان تخصصك - تاريخاً أو جغرافياً أو رياضيات أو

تربية أو علم نفس - أنت معلم من المأجورين المشكورين في الإسلام . اجعل هذه المادة مادة عبادة . . مادة صلة الشباب بربهم - سبحانه وتعالى - فإنك والله مستول عن هذا الدرس وعن هذه المادة - التي تقدمها - عند الله .

لقد أرى الله - عز وجل - وندد ببني إسرائيل يوم تعلموا علماً وما استفادوا منه غضب الله عليهم ولعنهم: ﴿فِيمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَانَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٣] . وبعدها: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٣] .

تقول: ما للبركة في أرزاقنا قلت؟ ما للشباب - إلا من رحم الله - فسد؟ وما للأجسام أصابها المرض؟ ﴿فِيمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٣] لو اتقينا الله في تطبيق العلم رحمتنا الله - عز وجل - وأنزل علينا البركة من السماء .

ووصف الله بني إسرائيل بأنهم كالحمير . . تعلموا علماً لكن ما استفادوا به . . حمارٌ عليه مجلدات . . حمارٌ على ظهره مصنفات . . هل يستفيد الحمار؟! دماغه دماغ حمار، تُكَلِّمُ الحمارَ لِيَفْهَم . . ما يفهم: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [سورة الجمعة، الآية: ٥] . الآيات تُقرأ في الفصل صباح مساء، والأحاديث . . ولكن: ﴿صَمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨] .

يا شباب الإسلام.. هذا القرآن وهذه السنة وهذه الجامعات وهذه المعاهد وهذه المدارس ما أقيمت إلا لتقودكم إلى جنة عرضها السموات والأرض .

أما الخواجات فيتعلمون للدنيا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٧] الخواجات ينتهي علمهم إلى المادة . . لكن ما وراء عالم الشهادة يخفقون فيه: ﴿بَلْ إِدَارِكْ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٦] . ﴿وَأْتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهٗ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ

الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ سورة الاعراف، الآيتان: ١٧٥، ١٧٦ ﴾، هذا مثل لعالم السوء، لطالب العلم الفاجر.

رجل من بني إسرائيل اسمه بلعام بن باعوراء تعلم العلم، فلما تعلم العلم أراد الله أن يرفعه بالعلم ولكنه ما ارتفع. . خسيس! جعل مكان التلاوة أغنية ماجنة! جعل مكان المصحف مجلة خليعة! جعل مكان الدروس وحلقات العلم رفقة السوء في المقاهي والملاهي! الليالي الحمراء. . الليالي السوداء في تاريخ الإنسان.

فما اهتدى، قال عز من قائل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ سورة الاعراف، الآية: ١٧٥. سبحان الله! يريد الله أن يكرم الإنسان فيأبى الإنسان، ويريد أن يلبسه ثوب الستر فيخلع ثوب الستر، ويريد أن يرفعه من الطين، ومن الرذيلة، ومن الفاحشة، فيأبى الإنسان. فماذا مثله؟ كالكلب يلهث. . إذا أدخلته الظلّ أخرج لسانه ولهث واضطرب نفسه، وإن أخرجته في الشمس لهث وأخرج لسانه. . الظل والشمس عنده سيان.

ولذلك بعض الناس - نسأل الله أن لا نكون منهم - يتعلم ويسمع المواعظ والخطب والنصائح فما تُغَيَّرُ في حياته ذرة.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ سورة الاعراف، الآية: ١٧٥، أغوى الناس لأن الناس يقولون هذا في كلية الشريعة وأصول الدين وهو فاسق. . أعظم الناس زلة: العالم، فالعالم إذا زل زل به فثام كثير من الناس.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ سورة الاعراف، الآية: ١٧٦. لو علم الله منه صدقاً ونصحاً لرفعه. . لكنه ما ارتفع!

فيا أيها الأساتذة: أروا الله من أنفسكم الصدق، ويا طلاب المسلمين أروا الله من أنفسكم النصح وطلب العلم لوجهه، والقوة في التحصيل.

إن هذه الدعوة تقام على علم ، وإن من يهون من شأن العلم أو يقلل من شأن الحلقات والدروس والتحصيل معناه أنه يضرب في صميم الإسلام ، معناه أنه يهدم بمعوله حُسن الإسلام ، معناه أنه يدوس كرامة الإسلام .

الإسلام ما بني إلا على علم، الإسلام ما أتى إلا على قال الله وقال رسوله ﷺ . فماذا ندعو الناس؟ أنصف لهم كلمات وحسب؟ أنجعل لهم خطباً إنشائية رنانة طنانة ، لا علم ولا توجيه . . لا نصوص ولا أدلة؟! فهذا نفعه قليل وفائدته محدودة .

● أيها المسلمون:

يبدأ هذا العام ، ونسأل الله أن يكون عاماً حافلاً بالخير . . حافلاً باليمن . . حافلاً بالصدق والنصح ، وأن يتقي أساتدتنا ربهم - جل وعلا - وأن يحملوا الأمانة بصدق ، وليعلموا أن الله سوف يسألهم: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الشعراء ، الآيتان: ٨٨ ، ٨٩] ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَبِئْسَ أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [سورة الفرقان ، الآيات: ٢٧ - ٢٩] .

● عباد الله:

صلوا وسلموا على مَنْ أَمَرَكم اللهُ بالصلاة والسلام عليه ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى صَلَاةَ صَلَّى اللهُ بِهَا عَشْرًا»^(١) . اللهم صلِّ على نبيك وحبيبتك محمد ، اللهم واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين .

وارض اللهم عن أصحابه الأطهار . . من المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤) .

■ إمام أهل السنة والجماعة ■

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضللَّ فلا هاديَّ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الاحزاب الآيتان : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدقَ الحديثَ كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها ، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها الناس :

فَسِيرُ الصَّالِحِينَ مدرسة أسسها القرآن ، ووعتها السنة وحفظتها كتب التاريخ . ومعنا في هذا اليوم ، علمٌ من الأعلام ، وصالح من الصالحين ، وإمام من الأئمة ، بل إمام الدنيا ، وحافظ العصر ، أحفظ أمة محمد ﷺ للحديث الشريف ، حفظ التاريخ سيرته وأحبته القلوب لصلابته في السنة ، ودفاعه عنها ، وما أظن أن هناك مسلماً يصلي خمس صلوات في اليوم والليلة إلا ويعرف هذا الإمام ، حتى أعداؤه من الكفار والمنافقين يعرفونه إلى قيام الساعة أنه الإمام المجلِّل أحمد بن حنبل ، إمام السنة ، الواقف يوم المحنة ، الزاهد فيما سوى الله ، المتقن للحديث ، فمن هو الإمام أحمد؟ علنا نفتدي بشيء من سيرته ، فإن لم نستطع فلنحبه في الله ، فإن

المرء مع مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١) ، «والرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(٢) ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة الطور، الآية: ٢١] .

أَحَبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ * * * لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةَ
وَأَكْرَهُ مِنْ تِجَارَتِهِ الْمَعَاصِي * * * وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ

ولد الإمام أحمد في آخر القرن الثاني، وعاش في بيت فقير، مات أبوه وهو طفل فتكفَّلت أمه الزاهدة العابدة الصائمة القائمة بتربيته، وهذا دور المرأة يوم أن تكون صالحة، يوم أن تكون ذاكرة لله - عز وجل - يوم أن تكون مستقيمة على أمر الله، ينشأ أطفالها على لا إله إلا الله، فيحبون الله، ويحبون رسول الله ﷺ، ويحبون كتاب الله، ويتعلقون ببيوت الله.

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : فَحَفَّظْتَنِي أُمِّي الْقُرْآنَ وَعَمْرِي عَشْرَ سِنَوَاتٍ ، فَحَفَّظْتُ كِتَابَ اللَّهِ وَاسْتَوْعَاهُ فِي صَدْرِهِ ، فَفَرَّتِ الْوَسَاوِسُ وَالشَّيَاطِينُ مِنْ صَدْرِهِ ، فَأَصْبَحَ عَابِدًا لِلَّهِ ، مُحَافِظًا عَلَى أَمْرِهِ ، مُنْتَهِيًا عَنْ نَوَاهِيهِ ، عَلِمْتَهُ أُمُّهُ الْفَضِيلَةَ ، وَرَبَّتَهُ عَلَى التَّقْوَى .

قال أحمد - رحمه الله - : كَانَتْ أُمِّي تَلْبَسُنِي اللَّبَاسَ ، وَتَوْقِظُنِي ، وَتَحْمِي لِي الْمَاءَ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنَوَاتٍ ، وَكَانَتْ تَخْتَمِرُ وَتَتَغَطَّى بِحِجَابِهَا وَتَذْهَبُ مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ؛ لِأَنَّ الْمَسْجِدَ بَعِيدٌ ؛ وَلِأَنَّ الطَّرِيقَ مَظْلَمَةٌ . فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ ، وَمَا تَبَذَّلَهُ مِنْ جَهْدٍ وَتَعَبٍ حَتَّى يَصْبِحَ وَلَدُهَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَلَيْسَ مِمَّنْ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ .

عاش الإمام أحمد في هذا الجو الطاهر، وفي هذه الأجواء النقية، في بيت كلُّ هَمَّةٍ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ - عز وجل - وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الْغُلَامَ عَبْدًا خَالصًا لِلَّهِ ، قَالَ :

(١) حديث: «المرء مع من أحب»، أخرجه البخاري (١١٢/٧)، ومسلم (٢٠٣٤/٤) رقم (١٦٥).
(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٩/٤) رقم (٢٣٧٨)، وأبو داود (٢٥٩/٤) رقم (٢٨٣٣)، قال الترمذي: حديث حسن غريب، وحسنه الألباني كما في «صحيح الجامع» رقم (٣٥٤٥).

فلما بلغت السادسة عشرة من عمري، قالت لي أمي: اذهب في طلب الحديث، سافر فإن السفر في طلب الحديث هجرة إلى الله الواحد الأحد. قال: فأعطتني متاع السفر، أتدرون ماذا أعطته من الزاد؟ كم أعطته من الألوف؟ كم أعطته من الدراهم والدنانير؟ ما كانت تملك شيئاً. صنعت له ما يقارب عشرة من أرغفة الشعير، عشرة من الأقراص اليابسة، ووضعتها في جراب من قماش وأعطتها إياه، ووضعت معه صرة ملح وقالت: يا بني إن الله إذا استودع شيئاً لا يضيعه أبداً، أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، فذهب من عندها من بغداد، من عاصمة الدنيا، من دار السلام، لماذا ذهب؟ أذهب للسياحة كما يفعل اللاهون اللاغون؟ أم ذهب إلى تسليية الأوقات والتزحلق على الثلج في عواصم بلاد العهر والفجور؟ لا إنما ذهب يبحث عن حديث رسول الله ﷺ يجوب الدنيا من أجل ميراث محمد عليه الصلاة والسلام ذهب إلى جناب المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى مكة والمدينة:

من زار بابك لم تبرح جوارحه

تروي أحاديث ما أوليت من منين

فالعين عن مرة والكف عن صلة

والقلب عن جابر والسمع عن حسن

فذهب - رضي الله عنه وأرضاه - قال: مضيت من بغداد إلى مكة فضعتُ

في الطريق ثلاث مرات، فكنت كلما ضعتُ استغفرت الله ودعوته، وقلت: يا

دليل الحائرين دلني، قال: فوالله ما أنتهي من كلامي إلا ويدلني دليل الحائرين

على الطريق!!

من هو دليل الحائرين؟ إنه الله، من هو ملجأ الخائفين؟ إنه الله، من هو

مناص العارفين؟ إنه الله، فكان كلما ضاع في الصحراء التجأ إلى الله، ما عنده

علامات ولا خرائط، ما هناك مواصلات ما هناك نقل ولا خطوط، صحراء بييد

فيها كل شيء، ويضيع فيها الذكي قبل البليد، فضاع الإمام أحمد؛ ولكن الله لم

يضعه، هداه إلى الطريق؛ لأنه توجه إليه بالدعاء والتضرع، احفظ الله يحفظك، فلما حفظ الله، حفظه الله في سمعه وجوارحه ودينه ومستقبله وسمعته إلى يوم القيامة، وحفظ الله اسمه للملايين، عند مسلمي الصين واليابان والملايو والعراق والجزيرة ومصر وسوريا والجزائر ومسلمي أمريكا، كلهم يسمعون بأحمد بن حنبل؛ لأنه حفظ الله، ثم وصل إلى مكة، فأخذ حديث مكة، وبعدها سافر إلى اليمن، إلى صنعاء اليمن إلى عبد الرزاق بن همام الصنعاني يطلب الحديث، وبينما هو في طريقه، ضاع مرة رابعة قال: وانتهت نفقتي من الخبز، أما الدراهم فما كان عندي دراهم، فماذا فعل؟ قال: نزلت إلى قوم أهل مزارع يحصدون ويصرمون، فأجرت منهم نفسي ثلاثة أيام، يا سبحان الله! إمام الأئمة، الذي يحفظ ألف ألف حديث، كما يقول الذهبي وابن كثير، يحفظ مليون حديث، بل ما حفظ من الأمة أبداً أحدٌ كما حفظ ابن حنبل يؤجر نفسه من الحصادين، فيحصد معهم، ووصل بحفظ الله إلى صنعاء، وأخذ الأحاديث النبوية، وكتبها، كان يسهر الليل حتى الفجر، ويصوم النهار حتى الغروب. قال ابنه عبدالله: كان أبي يصلي من غير الفرائض في اليوم واللييلة ثلاثمائة ركعة!! انظروا تذكرة الحُفَاط للذهبي، وسير أعلام النبلاء له أيضاً، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ بغداد للخطيب، وتاريخ دمشق لابن عساكر كلها أجمعت على أنه كان يصلي من غير الفرائض في اليوم واللييلة ثلاثمائة ركعة، وكان يسرد الصوم إلا في بعض الأيام.

وصل إلى صنعاء، فقدم له جوائز من السلطان ومن الأغنياء، فرفض وأبى وقال: أعمل بيدي، فاشتغل في بعض الصناعات بيده، حتى أعطاه الله بعض الأسباب، وبعض النقود، ثم عاد إلى بغداد.

أما علمه - رحمه الله - فهو البحر. وحَدَّثَ عن البحر ولا حرج: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٢].

العلم ليس بالمؤسسات، ولا بالشهادات، ولا بالجامعات، العلم تقوى الله،

العلم من الحي القيوم، يقول عز من قائل عن نبيه ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه، الآية: ١١٤]، وقال الله لإبراهيم: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. ويقول عن سليمان: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [سورة الانبياء، الآية: ٧٩]. فالفهم من الله، والعلم من الله، والفقه من الله، والذكاء من الله، فإما من اغتر بشهادته، أو بمستواه، أو بمنصبه، والله ما تغني هذه الأمور عند الله جناح بعوضة، العلم أن تتعلم وتعمل وتعلم الناس، سواء كانت عندك شهادة أو لم يكن، سواء تعلمت في مدرسة أو لم تتعلم: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فعلم الله الإمام أحمد فحفظ ألف ألف حديث مع القرآن، مليون حديث يستحضرها متى شاء، وقد كتب «المسند» من حفظه، أربعين ألف حديث أكبر مسند في الدنيا، هو بين أيدينا ولكن من يقرأ «المسند»؟ ومن يطالع «المسند»؟! ومن يعيش مع «المسند»؟! لقد أعرض الناس عن «مسند الإمام أحمد»، واتجهوا إلى مطالعة الصحف اليومية، والمجلات الأسبوعية، والقصص التافهة، والكتب التي لا تساوي المداد الذي كتبت به، إلا من رحم الله - عز وجل -.

أصبح «المسند» مطبوعاً طبعة فاخرة، وغيره من كتب الحديث.

وأصبح معروضاً لنا عرضاً جيداً، ولكن الناس أعرضوا عنه واشتراه الكثيرون ليكون ديكوراً وزينة في البيوت، لاستكمال مظاهر السبخ والترف الذي يعيش فيه كثير من الناس.

فيا أمة محمد من يقرأ «مسند الإمام أحمد»!!!

إن من يقرؤه سوف يجد التقوى، والزهد، والرفعة، والخوف من الله، والتوكل على الله - عز وجل -.

أفتى الإمام أحمد في ستين ألف مسألة وكان حجته فيها: قال الله، وقال رسول الله ﷺ، ذم المنطق، وذم الرأي، وذم الفلسفة والجدل، وقال: نحن قوم مساكين لم يأمرنا الله - عز وجل - بذلك.

أما تواضعه فمتقطع النظير، وطالب العلم والمسلم والعالم والمستول إذا لم يكن متواضعاً لله فاعلم أن الله قد مقته من فوق سبع سموات، وقد سقط من عين الله، قد باء بخزي من الله إن لم يتب .

كان متواضعاً جد التواضع، قال بعض الحفاظ: رأينا الإمام أحمد نزل إلى سوق بغداد، فاشتري حزمة من الخطب، وجعلها على كتفه، فلما عرفه الناس، ترك أهل المتاجر متاجرهم، وأهل الدكاكين دكاكينهم، وتوقف المارة في طرقهم يسلمون عليه، ويقولون: نحمل عنك الخطب فهزّ يديه، واحمرّ وجهه، ودمعت عيناه، وقال: نحن قوم مساكين، ولولا ستر الله لافتضحنا .

والعجيب في الإسلام أن العبد كلما زاد تواضعاً لله، كلما زاده الله رفعة، وكلما ارتفع، كلما زاده الله حقارة ومهانة ومذلة جزاءً وفاقاً. قال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد لما أرسله إلى اليرموك، أخذه بتلابيب ثوبه وهزّه وقال: يا أبا سليمان فرّ من الشرف يوهب لك الشرف، واطلب الموت توهب لك الحياة، وصدق - رضي الله عنه وأرضاه - .

أتى رجل يمدح الإمام أحمد، فقال له الإمام أحمد: أشهد الله أنني أمقتك على هذا الكلام، والله لو علمت ما عندي من الذنوب والخطايا لحسوت على رأسي بالتراب!! انظر إلى الإمام، انظر إلى العابد .

جاءه قوم فقالوا: يا أحمد بن حنبل إن الله قد نشر لك الثناء الحسن، والله إنا نسمع ثناءك في كل مكان، حتى في الثغور مع الجيش وهم يقاتلون العدو، يدعون لك وقتما يرمون بالمنجنيق فدمعت عيناه وقال: أظن أنه استدراج من الله - عز وجل - .

أما زهده في الدنيا، فقد رفعه عن كثير ممن عاش معه وعنده الملايين، أته الدنيا راغمة إلى باب بيته فأبى، طولب منه أن يتولى القضاء فامتنع أبداً، وقال: إن تركتموني وإلا فوالله لأهاجر إلى مكان لا تجدونني فيه أبداً!! كان دخله كما

يقول الذهبي وابن كثير في الشهر: سبعة عشر درهماً وقال: هذه تكفيننا . قال
أبناؤه: يا أبتاه ما تكفيننا هذه ، قال: أيام قلائل ، وطعام دون طعام ، ولباس دون
لباس ، حتى نلقى الله الواحد الأحد !!

يقول ابنه عبد الله بسند صحيح إليه: بقيت حذاء أبي في رجله ثمان عشرة
سنة ، كلما خرمت خصفها بيده ، وهو إمام الدنيا .

أرسل له المتوكل ثمانية أطقم من الذهب والفضة حملها الوزراء على أكتفاهم
مع سرية من الجيش بعد المحنة ، فردّها وقال: والله لا يدخل بيتي منها درهمٌ ولا
دينار .

وأما خلقه فأحسن الناس خلقاً؛ لأن من يصاحب القرآن ، من يدرس القرآن ،
من يشتغل بحديث رسول الله ﷺ سوف يتأثر بذلك ولو بعد حين وذلك في
الغالب ؛ لأن هناك من يتعلم لغير الله - عز وجل - ليصيب به عرضاً من الدنيا
قليلاً ، فإن هذا من أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة .

وإذا لم نأخذ أخلاقنا وآدابنا من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله ﷺ فمن
أين نأخذها؟ ومن أين نتعلمها؟ أم من ديكارت وكنت؟ أم من أصحاب المدرسة
النفعية الذين يقولون إن الأخلاق والقيم والمبادئ كلّها أمور نسبية تتغير بتغير
الزمان والمكان ، وأن المصلحة هي التي تحدد هذه المبادئ والقيم !!

متى كان هؤلاء الفئران أساتذة لنا؟ متى كانوا معلمين؟ إنهم أحقر الناس ،
إنهم أخسب الناس ، أنهم أضل الناس ، إنما يتعلم من وحي السماء الذي تربى
عليه محمد ﷺ وغيره من أنبياء الله - عز وجل - .

يقول الإمام أحمد: رحم الله أم صالح يعني زوجته وقد توفيت ، صاحبتي
ثلاثين سنة ، والله ما اختلفت أنا وإياها في كلمة واحدة . . زوجته في بيته ،
صاحبته ثلاثين سنة ما اختلف معها في كلمة واحدة . أتاه رجل من أتباع السلطان
المتعصم ، فسب الإمام أحمد أمام الناس وشتمه وانتقصه أمام الجماهير ، فقال

الناس: يا أبا عبد الله يا أحمد رُدَّ على هذا السفیه، قال: لا والله، فأین القرآن إذن؟! يقول الله - عز وجل - : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ { الفرقان: ٦٣ }، هذا هو اتباع القرآن، هذا هو العمل الحقيقي بكتاب الله - تبارك وتعالى - .

كان يجلس الناس إليه - رضي الله عنه وأرضاه - فيتعلمون منه، وينظر إليهم، قال ابنه عبد الله: دخلت على أبي وهو جالس في البيت متربع مستقبل القبلة، ودموعه تنهمر على خديه، فقلت: يا أبتاه مالك قال: تذكرت في هذه الغرفة موقفي في القبر وحدي لا أنيس إلا الله، قال: فأراك متربعاً، لماذا لا تتكئ وتريح نفسك - لأنه شيخ كبير - قال: أستحي أن أجالس الله وأنا متكئ.

دخل عليه الأديب الكبير ثعلب، فقال له الإمام أحمد: ماذا تحفظ من الأدب والشعر؟ قال: أحفظ بيتين، قال: ما هما؟ قال: قول الأول:

إِذَا مَا خَلَوْتُ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقْلُ
خَلَوْتُ وَلَكِنْ قَلَّ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ سَاعَةً
وَلَا أَنْ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَفِيبُ

فوضع الإمام أحمد الكتاب من يده وقام وأغلق على نفسه باباً وبقي في الغرفة، قال تلاميذه: والله قد سمعنا بكاءه من وراء الباب وهو يردد البيتين.

كان يتمنى أكبر الأمنية في حياته أن يتقدم الصفوف مجاهداً في سبيل الله، نظر إلى قدميه وقت الوفاة وبكى، وقال: يا ليتها جاهدت في سبيل الله. لكن والله جاهد جهاداً من أعظم الجهاد، بذل علمه، بذل جاهه، بذل ماله، بذل نفسه، بذل كل ما يملك في رفع راية لا إله إلا الله، فكان إمام الدنيا بحق. قال يحيى بن معين: والله ما رأيت أحداً كأحمد بن حنبل، والله ما أستطيع أن أكون مثله ثلاثة أيام. وقال علي بن المديني: لو كان الإمام أحمد في بني إسرائيل كان نبياً من الأنبياء. وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - خرجت من بغداد وسكانها

ألفا ألف - يعني مليونين اثنين - فوالله ما خلقت رجلاً أتقى لله وأعلم بالله وأزهد لله وأورع أن تنتهك محارم الله، ولا أحب إليّ من أحمد بن حنبل.

رحم الله الإمام أحمد وأسكنه فسيح جناته، وحشرنا في زمرته يوم يوفى الصادقون بصدقهم، يوم يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون. وللحديث بقية إن شاء الله.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله . . الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وحجة الله على الناس أجمعين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

● أما بعد:

فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ { العنكبوت: ٢ ، ٣ .

ويقول عز من قائل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلِّغُكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ {سورة محمد، الآية: ٣١}. لما قرأ الفضيل بن عياض - رحمه الله - هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبلونا فتفضحنا، فنحن في ستر الله نسأل الله ألا يفضحنا، وألا يفتنا، وأن يجعلنا في عافية وستر حتى نلقاه، لكن للفتنة نتائج طيبة يجعلها الله للصابرين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ {سورة السجدة، الآية: ٢٤}. والفتنة التي تعرض لها الإمام أحمد رواها أهل التاريخ جميعًا، سمعت بها الدنيا شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا، مسطرةً إلى قيام الساعة، وهي محنة خلق القرآن، أو الفتنة التي أورثها المأمون في الأمة .

وملخص هذه المحنة: هو أن المأمون كان مفتونًا برأي منطقي معتزلي فلسفي، ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ .

والمأمون هو الخليفة العباسي بن هارون الرشيد قال إن القرآن مخلوق وكذب على الله، فالقرآن كلام الله - عز وجل - والله يتكلم بما شاء متى شاء لم يزل متكلمًا - سبحانه وتعالى - .

يقول - عز من قائل - : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ {سورة الاعراف، الآية: ٥٤} والأمر هنا القرآن فقال هذا الخليفة: إن القرآن مخلوق واستخدم السيف ليثبت هذه القضية

في الأمة، وقتل ما يقارب ألفاً من العلماء الكبار، من علماء الأمة من أساتذة وتلاميذ وزملاء الإمام أحمد، وملاً السجون من العلماء وطلاب العلم، فبعضهم أجاب خوفاً من السيف، وبعضهم رفض وقال لا أجيب فقتل في الحال، ومنع التدريس في المساجد، ومنعت الخطابة إلا للمعتزلة وانتشر الشر الكثير وعمت البدعة، فنصر الله الإسلام بالإمام أحمد بن حنبل، وقف وحده وقال: لا والله، القرآن كلام الله، فاستدعي، قال الإمام أحمد: أخذت من بيتي وسط الليل، وأنا أصلي، فوُضِعَ الحديد في يدي وفي رجلي، حتى كان الحديد أثقل من جسمي، القيود التي سُلِّسَ بها أثقل من وزنه - رضي الله عنه - ووضع على فرس، قال: فلما وُضِعَتْ على فرسٍ لم أتمالك نفسي فكدت أسقط ثلاث مرات، كل مرة أقول اللهم احفظني، فكان الله يرديني حتى أستوي على الفرس: نعم: «احفظ الله يحفظك»^(١)، وكان الجندي الذي معه يضرب الفرس، علَّ الإمام أحمد يسقط على وجهه، قال: فلما أدخلت السجن سحبت على وجهي فتزلت، قال: فكنت أستغفر الله، فنزلت في آخر الليل، قال: فلا أدري أين القبلة، ولا أدري أين أنا، في ظلام وفي وحشة، لا يعلمها إلا الله، فكنت أقول: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، قال فمددت يدي فإذا بماء بارد، فتوضأت منه وقمت أصلي إلى الفجر.

انظر إلى حفظ الله، حتى في الساعات الحرجة، لا ينسى ربه - تبارك وتعالى - لأنه يعلم أن دعوة المظلوم تخترق السبع الطباقي حتى تصل إلى الله - عز وجل - فيقول الله - تعالى - لها: وعزتي وجلالي لأنصرك ولو بعد حين.

فالزم يديك بحبل الله معتصماً

فإنه الركن إن خانته أركان

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٥٧٦/٤) رقم (٢٥١٦)، وأحمد (٢٩٣/١) عن ابن عباس. قال الترمذي: حسن صحيح.

قال : فلما أصبح الصباح ، حُمِلت على الفرس ثانية ، وما طَعِمْتُ طعاماً ، وكدت أسقط من الجوع ، فأدخلت على المعتصم الخليفة الثاني ، الخليفة العسكري صاحب عمورية الذي تولى بعد المأمون ، قال فلما دخلت عليه هزَّ السيف في وجهي وقال : يا أحمد والله إنني أحبك كابني هارون ، فلا تعرض دمك لنا ، فقال الإمام أحمد : آية من كتاب الله أو حديث من سنة رسول الله ﷺ .

حاول الخليفة معه أن يجيب ، وأن يقول القرآن مخلوق فرفض فدُعِيَ بالجلادين ، ودُعِيَ بجبار من الجبابرة ، زئيس الحرس الذي يتكون من خمسين ألفاً ، واسمه عَجِيبٌ ، فقال له المعتصم : اضرب هذا الرجل - يعني الإمام أحمد - قال : فجلده مائة وستين سوطاً حتى غُشي عليه ، ثم استفاق قال : فكان يقول : لا إله إلا الله ، حسبي الله ونعم الوكيل ؛ لأنها أقوى الكلمات ، إنها قوة هائلة ، إنها قوة فتاكة ، حسبي الله ونعم الوكيل ، يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - : قالها إبراهيم فنجاه الله من النار ، وقالها محمد فنجاه الله من كيد الكفار ، ورفض الإمام أحمد أن يجيب حتى ظهرت أخايد الدماء المتجمدة في ظهره من كثرة الضرب الذي تعرض له ، فرفع على الفرس وأعيد ، وبقي في السجن ثمانية وعشرين شهراً ، وهو في السجن سرد الصيام ، لم يفطر يوماً واحداً كما ذكر ابنه عبد الله ؛ لأن كل يوم يمرُّ كان يظنُّ أنه سوف يموت فيه ، وكان يحبُّ أن يلقي الله - عز وجل - صائماً .

يعرض عليه الطعام والشراب ، واهتم الخليفة بأمره فكان يقول : لا تأتوني بالعشاء حتى تعرضوه على أحمد ، فيعرضون له المائدة ليأكل فيقول : والله لا أكل لهم لقمة ، والله لا أشرب لهم شربة ماذا كان يتغذى عليه ، كان عنده جراب من سويق ، إذا اقترب من المغرب أخرج كفاً منه ثم وضعه في الماء وشربه ، فهذا غذاء الإمام أحمد في ثمانية وعشرين شهراً ، ثم في الأخير عرض على السيف مرات ولكنه رفض أن يجيب ، فلما أعجزهم وأكلهم وأملهم أعادوه إلى بيته ، فأنزلوه وهو جريح ، يقول ابنه عبد الله : دخل أبونا علينا في الليل بعدما أطلق من

السجن قال: فأنزله من على الفرس، فوقع من التعب ومن الإعياء ومن الضعف والهزال والمرض على وجهه، وقال: فبقي أياماً ثم تولى الخلافة المتوكل، فنصر الله به السنة، وأتى بالمال والذهب إلى الإمام أحمد، فبكى الإمام أحمد وقال: والله إنني أخاف من فتنة النعمة أكثر من فتنة المصيبة والمحنة فرفضه وما أخذ شيئاً.

وبقي على هذه الحال وكان يقول: يا ليتني ما عرفت الشهرة، يا ليتني في شعب من شعاب مكة ما عرفني الناس فلما أراد الله أن يرفع ذكره قبضه إليه في يوم من أسعد الأيام، مرض تسعة أيام، ومحّص الله ما بقي عليه من خطايا ومن ذنوب ومن سيئات لا يخلو عنها البشر في هذه التسعة الأيام، وفي اليوم الأخير سمع الخليفة أنه مريض، فأمر الناس بزيارته فانقلبت بغداد العاصمة، عاصمة الدنيا، دار السلام، صاحبة المليونين نفر، انقلبت ظهراً وبطناً متجهة في طواير وفي كتائب إلى بيت الإمام أحمد لتزوره في اليوم الأخير، قال أبناؤه: والله لقد أغلقت المتاجر حول بيوتنا، ولقد توقف الباعة، ولقد وقف حرس المتوكل من عمر الثكنات إلى بيتنا من كثرة الناس، فرفض الإمام أحمد أن يدخل عليه إلا الصبيان والمساكين، فأدخلوا الأطفال عليه، فأخذ يبكي ويقبلهم، ويمسح على رؤوسهم ويدعو لهم، ثم أدخل عليه الفقراء فأخذ ينظر إليهم ويقول: اصبروا فإنها أيام قلائل لباس دون لباس، وطعام دون طعام، حتى نلقى الله.

وفي سكرات الموت التفت إلى طرف بيته، إلى طرف غرفته فقال: لا بعدُ. لا بعدُ، فقالوا: مالك، قال: تصور لي الشيطان ورأيتُه يعصُّ على أصبعه ويقول: فتنني يا أحمد، فتنني يا أحمد، يعني هربت مني، فتننتُ الناس إلا أنت، فيقول الإمام أحمد: لا بعد، يعني انتظر فإنني أخاف على نفسي، فقبضه الله - عز وجل - واستودع أبناؤه، وأوصاهم بوصية إبراهيم عليه السلام لأبنائه: ألا يشركوا بالله شيئاً، وأن يقيموا فرائض الإسلام، وأن يتخلقوا بالخلق الحسن.

أندرون ماذا كان آخر كلماته؟ قال: اللهم اعف عمن ظلمني، اللهم اعف

عمن شتمني، اللهم سامح من ضربني، اللهم سامح من سجنني، إلا صاحب بدعة
يكيد بها دينك، فلا تسامحه.. عدو الإسلام لا تسامحه، أما عدوي الذي عاداني
لنفسي وشخصي فسامحه واعف عنه. وقُبضت روحه - رضي الله عنه وأرضاه -
فماذا كان؟

طوى الجزيرة حتى جاءني في خبر
فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقه كذباً
شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

فلما توفي أعلن المتوكل في الناس أن عليهم أن يُشيعوا الجنازة ففتحت الثكنات
العسكرية لجيش الخليفة، وحملت الجنازة صباحاً فما وصلت إلى المقبرة إلا عصرًا،
لكثرة الزحام، فقد شيعه كما يقول أهل العلم مليون وثلاثمائة ألف: ألف ألف
وثلاث مائة ألف. وتوقف اليهود والنصارى من بيعهم ذلك اليوم، وهبت رياحٌ
على بغداد حتى ظنَّ بعض الجهلة أن القيامة قد قامت، وخرج الجيش وقوامه
تسعون ألفاً في مقدمة الناس يرتَّبون الصفوف، وبكت بغداد عن بكرة أبيها فراق
هذا الإمام الرباني، ووصلت جنازته حتى قال بعض أهل التاريخ: كانت تذهب
الجنازة على رءوس الناس تحمل على الأصابع وتعود إلى المؤخرة، وتذهب وتأتي،
فلما وضعت ارتفع البكاء وقام الناس يصلون عليها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *
ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً * فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي * وَأَدْخِلِي جَنَّتِي﴾ {الفجر: ٢٧ - ٣٠} دفن
جسده ولكن ما دُفن علمه، ولا تواضعه، ولا زهده، ولا ذكره الحسن، أبقى الله
له ذكراً حسناً في قلوب أتباع محمد عليه الصلاة والسلام، من أهل السنة
والجماعة نصر الله وجوهمهم.

قال ابن كثير: رآه كثير من الصالحين تلك الليلة التي توفي فيها فقالوا: ما
فعل الله بك؟ قال: ناداني فقال: يا أبا عبد الله الحقُّ بأبي عبد الله، وبأبي عبد الله
وبأبي عبد الله، قلت: من هم؟ قال: بالشافعي، وسفيان الثوري، والإمام مالك،

كلهم أبو عبد الله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (سورة الاحقاف، الآية: ١٦).

● أيها الناس:

وفي سيرته - رضي الله عنه - دروس أولها:

أن الرفعة من الواحد الأحد، وأن من يحفظ الله يحفظه الله.

الدرس الثاني: أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، لعنها الله وهو خالقها، وما التفت إليها منذ خلقها.

الدرس الثالث: أن العلم النافع، العلم الصحيح، العلم القويم، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

العلم قال الله قال رسوله

قال الصحابة هم أولو العرفان

الدرس الرابع: أن من أراد الرفعة ومن أراد المنزلة ومن أراد المكانة عند الله فعليه أن يتواضع، عليه أن يذل نفسه لإخوانه عليه أن يلغي اعتباراته ليرفعه الله.

الدرس الخامس: أنك كلما سجدت لله سجدة رفعك بها درجة؛ ولذلك كان الإمام أحمد يصلي ثلاثمائة ركعة كل يوم غير الفرائض؛ لأن كل سجدة بدرجة عند الواحد الأحد.

الدرس السادس: أن في سير هؤلاء أثراً للقلب، وتربية للروح وهداية إلى الواحد الأحد، فطالعوا أخبارهم، وتلمحوا سيرهم، وكونوا متشبهين بهم، عل الله أن يهدينا وإياكم سواء السبيل.

● عباد الله:

وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ

وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ {الاحزاب: ٥٦} .

وقد قال ﷺ : «من صلى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرًا» (١) .

اللهم صلّ على نبيك وحيّيك محمد ﷺ ، اللهم اعرض عليه صلاتنا
وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين ، وارض اللهم عن أصحابه
الأطهار ، من المهاجرين والأنصار ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنا معهم
بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين .



■ الإنسان المبتلى ■

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيتان : ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسنُ الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشرُّ
الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .
* عباد الله أيها المسلمون :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ
أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿ سورة الإنسان ، الآيتان : ١ ، ٢ ﴾ . قضية الإنسان في القرآن
قضية كبرى ، الله - عز وجل - يلاحق حياة الإنسان قبل أن تحمل به أمه ، وقبل أن
يكون نطفة ، وقبل أن تضعه أمه على الأرض ، ناشئًا وصبياً ، ثم طفلاً ، ثم شاباً
قويًا ، ثم رجلاً ، ثم كهلاً ، ثم ينتقل إلى الله .

﴿ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
قَالُوا بَلَىٰ ﴾ { سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ } هذا هو الميثاق الغليظ أخذه الله على الناس وهم
في أصلاب أبيهم آدم فدلَّهم على التوحيد . من هو ربكم ؟ من هو إلهكم ؟ من

القادر الذي يخلقكم؟ من الذي يستحق العبادة؟ ثم تملك أمك في بطنها تسعة أشهر فإذا الله - عز وجل - يرعاك ويحفظك، ويجري لك الطعام والشراب وأنت في بطن أمك، ثم إذا وضعتك أمك، أجرى لك في ثديها لبنًا دافئًا في الشتاء باردًا في الصيف، وألقى في فطرة أمك وأبيك حبًا لك، فلا يناما حتى تنام، ولا يسترىحا حتى تستريح.

وأول ما يولد الإنسان يكون باكيًا، ولم نسمع في تاريخ الإنسان أن ذكرًا أو أنثى ولد وهو ساكت إلا عيسى ابن مريم عليه السلام، فما بكى، أما نحن جميعًا فقد بكينا يوم أتت بنا أمهاتنا، قال بعض الفلاسفة: بكى الإنسان؛ لأنه خرج من السعة إلى الضيق، وقال آخر: بكى الإنسان من هول الابتلاء ومن عظم المشقة التي سوف يجدها من الضيق والغمّ والحزن: وقال آخر: بكى الإنسان؛ لأنه سوف يرى التكليف أمام عينيه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [سورة النحل، الآية: ٧٨] أبكم أصم أعمى لا يأكل ولا يشرب ولا ينطق فتولاه الله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل، الآية: ٧٨].

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيًا

والناس حولك يضحكون سرورًا

فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا

في يوم موتك ضاحكًا سرورًا

• يقول عليه الصلاة والسلام في «الصحیح»: «كلُّ مولود يولد على الفطرة»^(١)، فطرة الله ما هي الفطرة؟ أيولد مغنيًا مطبلاً؟ أيولد ماجنًا ممثلاً؟ أيولد مسرحيًا معربدًا؟ أيولد كرويًا لاهيًّا؟ أيولد في يده الكأس في الليالي الحمراء؟ لا. . . إنما يولد على لا إله إلا الله، يقع رأسه وهو متجه بفطرته إلى الله:

(١) أخرجه البخاري (١٠٤/٢) كتاب الجنائز، باب (٩٣)، ومسلم (٢٠٤٧/٤) كتاب القدر رقم (٢٢، ٢٣).

﴿ فَطَرَتَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [سورة الروم، الآية: ٣٠]، ولكن من الذين بدلوا خلق الله وفطرة الله؟ إنهم العملاء، إنهم الخونة، إنهم أعداء الإسلام، بدلوا الإنسان من إنسان إلى كلب، ومن مؤمن تقيٍّ إلى خنزير، ومن عبد صالح إلى بهيمة ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٤٤]، ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [سورة الاعراف، الآية: ١٧٩] كقلوب الحيوانات تمامًا يحفظون ويقروون ويدرسون كل شيء إلا الدين، ويفهمون كل شيء إلا الإسلام، ويعرفون كل شيء إلا القرآن والسنة ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [سورة الاعراف، الآية: ١٧٩] ويقع الإنسان ويتناوله الإسلام منذ اللحظة الأولى، فَيَسُنُّ أَنْ يُؤذَّنَ فِي أذنِ المولود اليمنى كما أذن النبي ﷺ في أذن الحسن أول ما أتت به فاطمة البتول الزهراء - رضي الله عنها - أذن عليه الصلاة والسلام في أذنه لماذا؟ لينشأ على التوحيد والإيمان، أخذ أذنه الضعيفة الرقيقة فاقترب منه عليه الصلاة والسلام، وقال: الله أكبر الله أكبر... حتى أكمل الأذان؛ ليقع الأذان في قلبه، لينشأ عبدًا مصليًا صائمًا عابدًا ذاكراً خبيرًا، لكن لما أتت التربية المعكوسة، وولد الابن على الموسيقى الإيطالية، لا يعرف إلا المجلة الخليعة، والسهرة الماجنة، ينشأ ويشب وهو يحفظ من الأغنيات العشرات، ولا يحفظ من الآيات البيّنات شيئًا؛ ولذلك يقول الله للإنسان: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [سورة الانفطار، الآية: ٦].

من الذي خدعك بهذه الطغمة الفاجرة والجلساء السوء، الذين حرفوك عن منهج الله؟ من زين لك أن تحيد عن صراط الله المستقيم، وأن تتبع سبل المغضوب عليهم والضالين؟

﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾

[سورة الانفطار، الآيات: ٦ - ٨].

لكنه يوم شب وقوي وكبر كاهله نسي القرآن، وأصبح معربداً لا يعرف رباً ولا رسولاً ولا كتاباً.

أتى العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، والعاصي هذا كما يدل عليه اسمه عاصٍ لله، فاجر رعديد، عدو للإسلام، ليله خمر، ونهاره سُكْر، عربدة وإلحاد وزندقة وانحراف وعداوة أكيدة لـ: لا إله إلا الله، ولرسول الله ﷺ، أتى بعظمٍ قديم وجعله في يده وفتته وقال: يا محمد أتزعم أن ربك يعيد هذا العظم مرة ثانية؟ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام، أتى يقول للناس: إن هناك حساباً، وإن هناك عقاباً، وإن هناك يوماً آخر، وإن هناك مصيراً محتوماً نقف كلنا أمام الله فيه.

فقال: أتزعم أن ربك يعيد هذا العظم، ثم فتته الفاجر ونفخه في وجه الرسول عليه الصلاة والسلام.

قال عليه الصلاة والسلام: «نعم؛ يبعث الله هذا؛ يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم»^(١) وفي الجواب زيادة «ويدخلك النار» لأنه عدو لله، واسمع إلى رد الله على هذا المجرم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ {سورة يس، الآية: ٧٨}، ولم يسمه؛ لأنه تافه حقير، بعض الناس حقير ولو كان عظيمًا في عيون الناس فكلُّ من انحرف من منهج الله فهو حقير ذليل صغير ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿ {سورة يس، الآيتان: ٧٨، ٧٩} إنك أيها المجرم لو نظرت إلى خلقك وأنت نطفة، ثم نزلت ثم صرت طفلاً، ثم شاباً، ثم كبرت، ثم أصبحت كهلاً، لأيقنت أن الله هو الخالق، هذه مراحل الإنسان، ومن صور اعتناء الإسلام بالطفل منذ ولادته، أنه حثَّ على حسن اختيار اسمه حتى لا يصير الطفل أضحوكة بين أصحابه وزملائه، وكذلك فإننا نُدعى يوم القيامة بأسمائنا وأسماء آبائنا.. اسم جميل عبد الله، عبد الرحمن، أحمد، محمد، ليست

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢/٤٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

الأسماء الدخيلة التي حولت أجيالنا إلى جيل رخيص لا يحترم نفسه ولا دينه ولا قيمه ولا تاريخه ولا ثقافته، جيل مهزوم مهزوز إلا ما رحم ربك، ينشأ ويأكل ويشرب في بلادنا وأرضنا، ثم يحمل أشد العداوة للإسلام والمسلمين، يحمل اسمًا غريبًا، أتى اسمه من لندن وباريس ولم يأت من بلاد الإسلام من بلاد المصطفى عليه الصلاة والسلام:

من بلادي من بلادي يطلب الفهم ولا

يطلب العلم من الغربي الغبي

وبها مهبط وحي الله بل

أرسل الله بها خير نبي

ويصل الطفل إلى السابعة فيقول عليه الصلاة والسلام: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع»^(١).

ويصل إلى الأربعين فإذا الله - عز وجل - يقول: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [سورة الاحقاف، الآية: ١٥] الأربعون تمام العقل، وتمام القوة، وتمام الإرادة والعزيمة، الأربعون رقي في الفهم، ونضوج في الإدراك والمعرفة.

يقول بعض العلماء: إذا بلغ ابنك الأربعين ولم يهتد فاغسل يديك منه؛ لأن الله يقول: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ [سورة الاحقاف، الآية: ١٥] لكن بعد أن يصل الأربعين ثم لا يهتد، ثم لا يتعرف على بيوت الله، ولم يسجد لله، ولم يكن عبدًا لله ولم يخلص لله، فاعلم أنه هالك إلا أن يتداركه الله عز وجل برحمته.

ويصل القرآن مع الإنسان فإذا شبيهه قد أنذرته، قال ابن عباس وهو يقرأ قوله

(١) أخرجه أبو داود (١٣٣/١) كتاب الصلاة، رقم (٤٩٥)، وأحمد (٢/١٨٠، ١٨٧) وحسنه الألباني - رحمه الله - كما في "صحيح الجامع" رقم (٥٨٦٨).

سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ {فاطر: ٣٧} قال النذير هو الشيب . من شاب رأسه ، أو شابت لحيته ، ثم لم يكن له رادع ولم يكن له منذرٌ وواعظ ، فاعلم أنه رجل مخذول أصابه خذلان . يقول الإمام أحمد إمام أهل السنة لما رأى الشيب في لحيته في المرأة : والله ما وصفت الشيب إلا كشيء كان في الشباب والله ما وصفت الشباب إلا كشيء كان في يدي ثم سقط .

يقول أبو العتاهية :

بكيت على الشباب بدمع عيني

فلم يغنِ البكاء ولا النحيب

ألا ليت الشباب يعود يوماً

فأخبره بما فعل المشيب

أتدرون ماذا فعل المشيب؟ الآن الذين هم منا في السبعين والثمانين كَلَّتْ أبصارهم ، وضعفت أسماعهم ، واحدودبت ظهورهم ، وملوا الحياة ، لا نوم ولا هدوء ولا لذة للطعام ، إلا من رحم الله - عز وجل - .

﴿وَمَنْ نَعْمِرْهُ نَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ {سورة يس ، الآية : ٦٨} ، ومن نعمه في الحياة نعيده فيصبح عقله كعقل الطفل ، وإدراكه كإدراك الطفل ، وفهمه كفهم الطفل .

يقول أحد الشعراء :

إذا الرجال ولدت أولادها

وأخذت أسقامها تعتادها

وكثرت من مرض عوادها

فهي زروع قد دنا حصادها

إذا الرجال ولدت أولادها: إذا أتى لأولادك أولاد وأصبحت جداً فانتظر

الموت ، وانتظر لقاء الله .

قال سفيان الثوري: من بلغ الستين فليشتر كفتاً.

نام قيس بن عاضم عنده عشرة أبناء، وكان أغنى العرب، لكن كل شيء له دواء إلا الهرم، وكل شيء له علاج إلا كبر السن، كان عنده عشرة من الأبناء وهو سيد قبيلة بني تميم، وعنده من الذهب ومن الفضة والإبل والبقر والغنم ما الله به عليم، لكن ما كان ينام الليل كان عمره ثمانين، إذا أتى لينام أتاه السعال والزفرات والهم والغم فيقول له أبناؤه: أزعجتنا ما تركتنا ننام، فنظم قصيدة يقول:

قالوا أنسينك طول الليل يزعجنا

فما الذي تشتكي قلت: الثمانين

أشتكي الثمانين وأبكي من الثمانين سنة. لكن ما هو حسن الختام وما هو التاج الذي يمكن أن يتوج به الإنسان في حياته؟ إنه العمل الصالح.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [سورة الانعام، الآية: ١٩٤]، ويأتي الإسلام فيقول للإنسان: إذا أتتك سكرات الموت فاحرص على أن تموت على لا إله إلا الله يقول عليه الصلاة والسلام: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»^(١) حديث صحيح.

لكن كيف؟ لا يثبت على لا إله إلا الله إلا المؤمن.

ولا يقولها في سكرات الموت إلا مؤمن.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٢٧].

(١) أخرجه أبو داود (٣/١٩٠) كتاب الجنائز رقم (٣١١٦) والحاكم (١/٣٥١) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، قال الألباني: وهو كما قال، ورجاله كلهم ثقات غير صالح بن أبي عريب، وقد روى عنه جماعة من الثقات ووثقه ابن حبان وقال ابن منده: هو مصري مشهور. انظر تعليقه على المشكاة (١/٥٠٩).

ذكر الذهبي المحدث الكبير أن أبا زرعة المحدث - رحمه الله - حضرته سكرات الموت فأغمي عليه فأراد تلاميذه أن يذكّره ب : لا إله إلا الله وهو مغمى عليه ولكن استحيوا أن يقولوا له قل : لا إله إلا الله ؛ لأنه شيخ إمام المسلمين أبو زرعة قالوا : نذكر سند حديث : لا إله إلا الله فإذا ذكرناه السند سوف يتذكر المتن ؛ لأنه محدث ، ولكنهم هم من هول المصيبة وهول الكارثة نسوا السند فقال أحدهم : حدثنا فلان عن فلان ثم سكت ، وقال الثاني : حدثنا فلان عن فلان عن فلان ثم انقطع ، فقال أبو زرعة : حدثنا فلان عن فلان حتى أتم السند عن معاذ - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»^(١) ثم مات - رحمه الله - .

وأما ابن القيم فيحكي عن العابثين الماجنين السفهاء المغنين وهم في سكرات الموت فيقول :

قيل لسفيه معربد وهو في سكرات الموت : قل لا إله إلا الله ، قال : أين الطريق إلى حمام منجاب؟! قال فمات عليها لأنه عاش عليها ومن شب على شيء شاب عليه ومات عليه :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٩] .

وقيل لأحدهم وهو في سكرات الموت : قل لا إله إلا الله ، فأخذ يردد ما كان يستمع إليه في الدنيا من الأغاني فيقول : هل رأى الحبُّ سكارى مثلنا!!

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية : ٢٧] .

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم .

(١) أخرجه أبو داود وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (٦٤٧٩) . وهو الحديث السابق نفسه فانظر تخريجه .

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على
إمام المتقين، وقدوة الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

في بعض المقررات الدراسية كلمة هي من الإلحاد كلمة زندقة، والإسلام منه
بريء، وهو تصادم العقيدة مصادمة كاملة مطلقة عامة، وهي قولهم في عبارتهم
التي يحفظونها ويدرسونها: «المادة لا تستحدث ولا تفتنى» ويشرحون عليها قانونًا
في الكيمياء ويوصلونه على هذا المبدأ وهذه تعارض عقيدة أهل السنة؛ بل أهل
الإسلام قاطبة بما فيهم المبتدعة - المادة لا تستحدث ولا تفتنى - ومعنى لا تستحدث
أنها قديمة وأنه لم يخلقها أحد - تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا - ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٥٤]، ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات، الآية: ٩٦]، ﴿كُلُّ
شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص، الآية: ٢٨]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو
الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧] .

ومقصودهم من هذا أن الإنسان إذا مات فقد انتهى، قالوا: أرحام تدفع
وأرض تبلع، وقالوا: إذا انتهى الإنسان عفى عليه النسيان، ولكن الله يقول: لا،
والقرآن يقول: لا، ومحمد عليه الصلاة والسلام يقول: لا .

﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [سورة طه، الآية: ١٠٢]، ﴿وَلَقَدْ
جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٩٤]، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ
مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة، الآية: ١٨]، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ [يس: ٥٢] .

إنها الحياة الآخرة، وإنها الحقيقة الكبرى التي ينكرها أهل الإلحاد والزندقة .

* يقول سبحانه وهو يسأل الناس يوم القيامة خاصة الغافلين: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي
الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢] كم مكثتم كم لكم من فترة، يا أهل الثمانين ويا
أهل المائة .

بعض الصحف المحلية تلقي مقابلة مع بعض الناس قالوا: بلغ مائة وأربعين سنة، لكن تعال وابحث عن المحصول من مائة وأربعين سنة، لا شيء يسألونه ماذا يفطر في الصباح، وما هي وجبة الغذاء، وماذا يجيد من العروض الشعبية، والمسامرات والقصائد النبطية، ولكن لا آية، ولا حديث، ولا نافلة، ولا صيام، ولا ذكر، ولا قيام ليل، ولا صلة رحم، كل هذه ما تعرض في الأسئلة، ولا يسألونه ما هو أثره على مجتمعه وأسرته، أو على نفسه، ولا يسألونه ما هي آماله عن اليوم الآخر وما هي تطلعاته، إنما هي هذه الأسئلة.

فيقول لسان الحال ليت هذا العمر الطويل لشيخ الإسلام ابن تيمية أو للإمام أحمد: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١١٢] والله يدرى والله يعلم كم لبثوا.

﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١١٣]، يقولون: لبثنا يوماً واحداً في الحياة فأدركمهم الورع وخافوا أن يكذبوا، فقالوا: بعض يوم، نصف يوم ليس يوماً كاملاً ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِينَ﴾ يقولون لله: اسأل الملائكة والكتبه نحن لا ندري. قال الغزالي: من دهش الموقف ما دروا كم لبثوا، لا إله إلا الله إذا بلغ بك الحال يوم القيامة أنك لا تعرف عمرك فيا له من يوم ما أشده وما أهوله، فقال سبحانه: ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٤، ١١٥]، والإنسان جحود يقول عليه الصلاة والسلام: «نسي آدم فنسيت ذريته وجحد آدم فجحدت ذريته»^(١) والسبب أن آدم عليه السلام نثر الله ذريته أمامه كلنا نثرنا أمام آدم كصورة الذرّ فرأى داود ابنه، عليه السلام وهو يزهو أمام هذا الذرّ قال: يا ربي من هذا؟ قال ابنك داود قال: كما عمره؟ قال: ستون سنة، قال: يا رب زده من عمري أربعين سنة، فزاده الله.

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩/٥) كتاب التفسير، رقم (٣٠٧٦)، وقال: حسن صحيح، وأحمد (٢٩٩/١)، (٣٧١).

﴿يَمَحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٣٩]، فلما حضرت آدم الوفاة عجل الله وفاته قبل أربعين قال: يا ربي بقي من عمري أربعون سنة، قال: أولم تعطها ابنك داود؟ فقال ﷺ: «فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطى آدم فخطت ذريته»^(١).

﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٤ - ١١٦].

ولكن أمام نسيان الإنسان وجحود الإنسان يخرج الله له كتاباً منذ أتت به أمه إلى أن يموت.

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٤]، ولا يقرؤه غيره، الأمي والمتعلم، والجامعي والتاجر، والفلاح وراعي الغنم، كلهم يقرءون.

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ١٤]، فيقرأ الإنسان يوم كذا فعلت كذا وكذا، ويوم كذا قلت كذا وكذا، فيطوي الإنسان كتابه ويقول: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٤٩].

* أيها الناس:

من هذه الخطبة نأخذ دروساً:

أولها: أن الإسلام معك وأنت في بطن أمك حتى تدخل الجنة أو تدخل النار والعياذ بالله من النار.

الأمر الثاني: أنك لست متروكاً هملأً ولا سدىً؛ بل معك وحي من الله، لا تسير خطوة، ولا تنام، ولا تستيقظ، ولا تأكل، ولا تشرب، ولا تتحدث، إلا والوحي معك.

(١) انظر تخريج الحديث السابق .

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ { الانعام: ١٦٢ }.

الأمر الثالث: أن الذي لا يضبط حركاته وسكناته مهتدياً بالوحي فهو سفيه؛ لأنه أعرض عن الرسالة الخالدة، والتمس العز في غير هدي محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴿ { البقرة: ١٣٠ - ١٣٢ }.

الأمر الرابع: أننا لسنا في حاجة لأي مبدأ، أو أي قانون أو أي رسالة أو أطروحة غير رسالة محمد عليه الصلاة والسلام.

فيا أيها المسلمون: فلنعد إلى القرآن والسنة، ولنستهد بهدي الله الذي أرسل به محمداً عليه الصلاة والسلام، فإن كل قلب ملعون إلا قلب أشرفت عليه شمس الرسالة، وكل أرض مغضوب عليها إلا أرض هيمن عليها هذا الدين، ومن اعتقد أنه سوف يهتدي بهدي غير هدي الله الذي أرسل به محمداً عليه الصلاة والسلام، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

أيها الناس صلوا وسلموا على رسول الهداية وعلى معلم البشرية، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

* عباد الله:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ {سورة الاحزاب، الآية: ٥٦}.

* * *

■ عقدة البقرة ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسن الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

* أيها الناس :

تعنتَّ العقل البشري أمام الوحي، وخاصم الإنسان الفاجرُ ربَّه، واعترض على خالقه، واستكبر عن عبادة سيده ومولاه.

ومعنا اليوم صورة من صور اعتراض البشر الضعفاء على الله القوي، صورة من صور الاستكبار والطغيان، صورة من صور تعنتِ بني إسرائيل على أنبياء الله ورسله.

نتحدث اليوم عن «عقدة البقرة» وهي العقدة التي تعقدُّ بها بنو إسرائيل، واضطرب حالهم فيها، وسألوا، وناقشوا، وجادلوا، وشددوا على أنفسهم، فشدَّد الله عليهم.

الله - عز وجل - تكلم في القرآن عن عالم النبات ؛ لأنه خالق النبات وتكلم عن عالم الطيور ، وعن عالم الحيوان ، وعن عالم الحشرات ؛ لأنه خالقها ورازقها ومدبر أمورها .

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ السور التي فيها هذه الكائنات ، فسورة النمل ، وسورة النحل ، وسورة العنكبوت ، وسورة البقرة ، وسورة الفيل ، وغير ذلك من السور التي فيها مخلوقات الله تعالى ، فكبر ذلك الأمر على المشركين ، فقال كفار قريش : إن محمداً يستهزئ بكم ، يأتينا بكلام يزعم أنه وحي ، يتكلم فيه عن عالم الحيوانات والعجماوات والطيور والحشرات ، فما دخل الذباب والعنكبوت والكلاب والحمير بهذا الوحي ، وما بالها تذكر في القرآن ، فرد الله عليهم : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢٦] .

فالذي خلق البعوضة هو الله ، والذي خلق الذباب هو الله ، والذي جعل الفيل على هيئته هو الله ، والذي صور البقرة هو الله ، والذي ركب الطير هو الله ، لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقد أشار ابن القيم - رحمه الله - أن من الناس من هم على ضروب الحيوانات وصفاتها وأخلاقها .

ففي الناس من طبيعته كطبيعة الخنزير تماماً ، لا يقع إلا على القاذورات ، ليس عنده غيرة على محارمه ، لا يسمع إلا الفحش من القول ، وإذا سمع الجميل فكأنه لم يسمع : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ٥] .

ومن الناس من هو على صفة الذباب لا يقع إلا على الجرح ، يذهب إلى نقاط الضعف ويتصيد أخطاء الآخرين ، أما المحاسن فلا يذكرها ولا يلتفت إليها .

ومن الناس من هو على هيئة الجمل في حلمه ، وصبره ، وقوة تحمله في الشدائد ، وقطع المفاوز والقفار .

والمقصود أن الله - عز وجل - يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي . . .﴾ وَمَنْ يَمْنَعُهُ - تبارك وتعالى - أن يتكلم بما شاء، من يمنعه أن يضرب الأمثال من يمنعه: ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا . . .﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦]. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وهم حزب الله من أهل التوحيد، ومن حملة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أهل الوضوء والصلاة والصيام، أما هؤلاء فيعلمون أن كل ما عند الله - عز وجل - هو صدقٌ وحقٌ وعدلٌ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦]، ولذلك تراهم يقولون: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧]، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦]، ثم يقصُّ الله علينا قصة البقرة، وسميت أكبر سورة في القرآن باسم البقرة، فُتَعْرِفُ بين الناس بهذا الاسم من أجل آيات خمس، فلا يعرف المسلمون هذه السورة إلا بسورة البقرة.

وهذه السورة فيها نفس وإبادة لبني إسرائيل، وفيها أحكام شرعية كثيرة، وقواعد عقلية، وآداب وتوجيهات، يصلح بها الفرد والمجتمع وتهتدي بنورها الأمم والشعوب.

أما قصة البقرة فذلك ما قال الله - عز وجل - فيها: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَاءَ فَارِضٍ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّاطِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَاءَ ذُلُولٍ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَاءَ شِيءٍ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة البقرة، الآيات: ٦٧ - ٧١].

● عباد الله:

هذه هي قصة البقرة كما حكاها القرآن العظيم مصوراً تعنت بني إسرائيل وجدالهم البغيض لأوامر الله - عز وجل - واستكبارهم عن طاعة نبي الله موسى عليه السلام، وهذا شأن هذه الفئة الضالة في كل زمان وموضع .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [سورة البقرة، الآية: ٦٧] .

لماذا يأمرهم الله - عز وجل - بذلك؟ وما الحكمة في ذبح هذه البقرة؟ وما وجه التكليف في هذا الأمر؟

قال العلماء: قدم الله قصة البقرة ثم ذكر بعد ذلك سبب الأمر بذبحها وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ * فَقَلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة، الآيتان: ٧٢، ٧٣] .

قال أهل التفسير: كان رجل من بني إسرائيل غنياً ثرياً فعدا عليه ابن أخيه في الليل فذبحه!! اغتيال رهيب، وقتل للنفس التي حرم الله إلا بالحق، وبعد هذه الجريمة الشنعاء ذهب هذا القاتل المجرم إلى موسى عليه السلام؛ ليخفي جريمته، ويبعد التهمة عن نفسه فبكى بين يدي موسى عليه السلام، قال: ما لك؟ قال: قتل عمي البارحة، ولا أعرف من قتله!! وأنت نبي الله فسل ربك من قتله؟ فجمع موسى بني إسرائيل وقال: من قتل عم هذا الرجل؟ فقالوا: لا ندري عن ذلك يا موسى، وإن كنت نبياً فسل ربك يخبرك .

فقام موسى مبتهلاً إلى الله - عز وجل - وأخذ يدعو الله ويبكي قائلاً: اللهم أخبرنا خبر هذا الرجل . فأوحى الله إليه يا موسى مر بني إسرائيل أن يأخذوا بقرة فيذبحوها، ثم يؤخذ عضو منها فيضرب به الميت، فسوف يحيا يا ذنبي ويتكلم ويخبر عن قاتله .

فقال موسى: اذبحوا بقرة.. أمر يسير، لا تعقيد فيه ولا مشقة.. اذبحوا

بقرة. قال ابن عباس - رضي الله عنه -: «لو ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم»^(١) ولكنهم تعنتوا وتنطعوا وجادلوا في ذلك، قالوا: ما هي البقرة، ما لونها؟ ما صفتها؟ ما سنها؟
الله - عز وجل - يأمرهم بأمر يسير من كلمتين اثنتين: ﴿تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾
فجادلوا في ذلك، وأظلمت عقولهم عن إدراك هذا الأمر، وهذه عادة بني إسرائيل.

أنزلهم الله وإد فيه من سألوى - حمام مشوي وعسل مصفى - وقال:
كلوا من هذه الطيبات، فماذا قالوا؟ قالوا: لا ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٦٢].
أخرجهم من البحر وأقدامهم مبتلة بالماء، فلما خرجوا وذهب موسى يكلم
ربه عبدوا العجل من دون الله!!

قالوا: ظمئنا أين الماء؟ فضرب الحجر بالعصا فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً.
قالوا: أين ربك؟ قال: أكلمه. قالوا: اذهب فكلمه، فذهب فعبدوا العجل،
فلما رجع وجدهم يركعون له ويسجدون، فبكى موسى منهم وقال: يا رب ما
توبة بني إسرائيل؟ قال: خذ من خيارهم سبعين رجلاً، واذهب بهم إلى طور
سيناء، وادعوني لأتوب عليكم، قال ابن عباس: وكان فيما دعوا قالوا: اللهم
أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا، ولا تعطه أحداً بعدنا، فكره الله ذلك من دعائهم
فأخذتهم الرجفة، فقال موسى: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَايَ أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾^(٢) [سورة الأعراف، الآية: ١٥٥].

وقال محمد بن إسحاق: اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلاً من
خيارهم، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتكم، أي: من عبادة العجل،

(١) «تفسير الطبري» (٣٨٩/١).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٢٣٩/٢).

سلوا الله التوبة على ما تركتم من الأموال والأولاد، وصوموا وطهروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه، فقال السبعون رجلاً لموسى عليه السلام: اطلب لنا أن نسمع كلام الله؟! فقال: أفعل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله؛ ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، فدنا القوم حتى إذا دخلوا وقعوا سجوداً، فسمعوه وهو يكلمهم يأمره وينهاه، فلما فرغ إليه من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل إليهم، فقالوا: يا موسى: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة البقرة، الآية: ٥٥]، فأخذتهم الصاعقة فماتوا جميعاً، فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاي﴾ [سورة الاعراف، الآية: ١٥٥]. ربّ قد سفهوا، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بسببهم^(١)؟

هؤلاء هم خيار بني إسرائيل فما بالك بعامتهم، وما ظنك بشرارهم؟

● أيها الناس:

نعود إلى «عقدة البقرة» والتي تبدأ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٦٧]، وهذه كلمة أبي جهل، وكلمة الخونة العملاء أمام الدعاة والعلماء، تتكرر هذه الكلمة في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾ أتضحك علينا؟ أتضلّلنا؟ نسألك عن القتيل فتقول: اذبحوا بقرة!! ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٦٧].

قال العلماء: من سخر من الوحي فقد جهل، ومن عبث في التعليم فقد جهل، ومن أتى بالهزل في موطن الجد فقد جهل، ونبي الله موسى عليه السلام، مبرأ من هذا كله.

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٢/٢٣٩).

قال بنو إسرائيل: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٦٨} ألا يعلمون ما هي؟ أم هو الجدال بالباطل والغي والضلال!!

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٦٨} ، أي ليست بالكبيرة المسنة ولا بالبكر الصغيرة، وإنما هي بين البكر والهرمة، ﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ {البقرة: ٦٨}، على وجه المسارعة والفور. ولكنهم أتوا بتعنت آخر فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا لَوْنُهَا﴾ {البقرة: ٦٩}، وهذا من التشدد والتنطع؛ لأن الله - عز وجل - لم يحدد لونًا معينًا ولم يلزمهم بالبحث عن ذلك، ولكن العقول الخربة والقلوب الميتة هي التي تشتغل بما لم تؤمر به وتعرض عما أمرت به.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ {البقرة: ٦٩} فهي بقرة صفراء صاف لونها، ليس فيها سواد ولا بياض، تعجب الناظرين إذا رأوها. ولكن بني إسرائيل لا يعجبهم أن تنتهي القضية عند هذا الحد، فرجعوا إلى موسى وقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْبَقَرُ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ {البقرة: ٧٠}.

قال أبو العالية: لو أن القوم حيث أمروا أن يذحوا بقرة، استعرضوا بقرة فذبحوها، لكانت إياها، ولكنهم شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، ولولا أن القوم استثنوا فقالوا: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ لما هُدوا إليها إبدأ^(١).

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ {البقرة: ٧١}. أي: إنها بقرة لم يذلها العمل، فهي ليست بذلول تثير الأرض، وكذلك فهي لا تسقي الحرث، أي: لا تعمل في الحرث وإنما ﴿مُسَلِّمَةٌ﴾ أي: سالمة من العيوب ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ أي: لا بياض فيها، أو أي بقعة تخالف اللون الأصفر.

﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ {سورة البقرة، الآية: ٧١}، وانظر إلى تعدي بني إسرائيل

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٠).

على نبي الله موسى عليه السلام، وكأنه قبل ذلك لم يأتهم بالحق، كأنه قبل ذلك كان يلعب معهم، أو يضحك عليهم، أو يستهزئ بهم كما ظنوا في بادئ الأمر. ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٧١]، ومما ورد في ذلك أنهم لم يجدوا هذه البقرة إلا عند عجز تقوم على يتامى وهي القيمة عليهم، فلما علمت أنه لن تُجزئهم غير هذه البقرة ضاعفت عليهم الثمن، فقال موسى: إن الله قد خَفَّفَ عليكم فشددتم على أنفسكم فأعطوها ما تريد، ففعلوا واشتروها بجلء جلدها ذهباً!!

فقل للعيون الرمد للشمس أعين

تراها بحق في مغيبٍ ومطلع

وسامح عيوناً أطفأ الله نورها

بأبصارها لا تستفيق ولا تع

قال بعض العلماء: مَثَلُ بني إسرائيل الذين تشددوا في معرفة أوصاف هذه البقرة فشدد الله عليهم حتى غرّموا وزنها ذهباً، مثلهم كمثل بعض هذه الأمة من الذين ثقلت عليهم التكاليف الشرعية الميسرة والعبادات التي فرضها الله - عز وجل - فكان جزاؤهم جهنم وبئس المصير، ولقد رأى النبي ﷺ قوماً توضؤوا على عَجَلٍ فلم يمِس الماء أعقابهم فقال عليه الصلاة والسلام: «ويلٌ للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء»^(١).

قال أهل العلم: فمن لم يتحمل مشقة الماء البارد في إسباغ الوضوء حمّله الله نار جهنم في عقبه؛ لأنه تهاون في تنفيذ أوامر الله - عز وجل - وضيعها فضيعه الله يوم القيامة.

﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٧١]. فلما ذبحوها أمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظماً منها فيضربوا به القليل فلما فعلوا رجعت إليه روحه

(١) أخرجه البخاري (٤٩/١)، ومسلم (٢١٤/١) رقم (٢٦).

يأذن الله وقام ينتفض ، فسأله موسى : مَنْ قتلك؟ قال : ابن أخي هذا ، ثم خرَّ ميتاً كما كان . فجاء موسى بالقاتل المجرم فقتله على جريمته قصاصاً .

● أيها الناس :

هذه قصة البقرة كما ذكرها أهل التفسير ، والبقر في الرؤية بشرى خير ، فإذا رئت ربما كان ذلك دليلاً على شهادة في سبيل الله ، أو على الخير والصلاح والإيمان ، ولا يؤخذ من الروى أحكام شرعية ؛ وإنما ذلك للاستئناس فقط .

● ود ورد في «الصحيحين» عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ ، قال : «رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي^(١) إلى أنها اليمامة أو هَجَر^(٢) ، فإذا هي المدينة يشرب^(٣) ، ورأيت في رؤياي هذه أني هزرت سيقاً ، فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هزرت أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين . ورأيت فيها أيضاً بقر^(٤) ، والله خير ، فإذا هم النفر المؤمنين يوم أحد . . . » الحديث^(٥) .

ويستفاد من هذا أن بني إسرائيل لما أمروا بذبح البقرة اعترضوا وجادلوا وناقشوا ، أما أصحاب الرسول ﷺ فقد قدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله ، سمعوا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١١١] . فقالوا : ربح البيع . . . ربح البيع ، لا نُقِيل ولا نستقيل .

(١) وهلي : ظني واعتقادي .

(٢) هجر : مدينة محروقة ، وهي قاعدة البحرين .

(٣) يشرب : هو اسمها في الجاهلية فسمها الله تعالى : المدينة ، وسمها الرسول ﷺ طيبة وطابة .

(٤) قال النووي : قد جاء في غير مسلم زيادة في هذا الحديث : «ورأيت بقرًا تنحر» ، وبهذه الزيادة يتم تأويل الرويا بما ذكر ، فنحر البقرة هو قتل الصحابة - رضي الله عنهم - الذين قتلوا بأحد .

(٥) أخرجه البخاري (١٨٣/٤) كتاب المناقب ، ومسلم (١٧٧٩/٤) كتاب الروا ، رقم (٢٢٧٢) .

يأتي عمير بن الحمام فيسمع رسول الله ﷺ يقول وقد دنا المشركون من بدر: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» فقال: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم» قال: بنح بنح^(١).

فقال رسول الله ﷺ: «وما يحملك على قولك بنح بنح؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة! فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قتل^(٢).

هؤلاء هم أصحاب محمد ﷺ كانوا يرون الجنة والنار رأي العين في حديثه عليه الصلاة والسلام، هذا هو الصنف الخالد الذي قدمه عليه الصلاة والسلام للبشرية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣٣].
قال بعض المفسرين: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ رسول الله ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أبو بكر رضي الله عنه^(٣).

لقد صدق أبو بكر رسول الله ﷺ حين كذبه الناس، وآواه حين طارده قومه، وواساه بنفسه وماله حين تخلى عنه أهله وعشيرته.

إن هناك مدرسة اسمها: «مدرسة أبي بكر الصديق» هذه المدرسة تسمع كلام الله، وتلتزم أحكامه، وتصدق بالوحي فلا تفعل إلا ما يرضي الله - تبارك وتعالى -

وهناك مدرسة أخرى هي مدرسة: «أبي جهل» وهذه المدرسة أسسها المارقون وأهل النفاق والعلمنة، وأصحاب عقدة البقرة من الذين طمس الله بصائرهم.

والقائمون على هذه المدرسة يعملون على التكذيب بالوحي، فلا يريدون

(١) كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٥١٠) كتاب الإمامة رقم (١٠٩١).

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦١٥)، وعزاه لابن جرير، والبارودي في «معرفة الصحابة» وابن عساکر.

للوحي أن يتدخل في حياة الناس لينير لهم الطريق، فهم يحولون دون سماع صوت الوحي أو نشره، أو فهمه، أو تدريسه، أو تربية الأجيال عليه، أو كتابته، أو التأليف فيه.

إن هذه الفئة، فئة أبي جهل، والمغيرة بن شعبة، وأهل الضلال من أصحاب عقدة البقرة، ليقفون حجر عثرة في وجه أتباع موسى ومحمد عليهما السلام، وجميع الأنبياء والمرسلين: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [سورة الفرقان: الآية: ٣١].

● عباد الله:

ويستفاد من قصة بني إسرائيل أمور ثلاثة:

الأول: لا يحق للعقل أن يعترض على الوحي، ويوم يبدأ بالاعتراض والتشكيك تبدأ اللعنة تنصب من السماء، فإما أن يرجع عن غيِّه وضلاله، وإما الهلاك المحتوم والمصير المظلم.

الثاني: على المسلم أن يتلقى هذه الرسالة، وأن يتوجه إلى الله بالانقياد والرضا، وأن يسلم قياده لرسول الله ﷺ وأن يسجد لله - عز وجل - وأن يعلن انكساره وفقره أمام خالق السموات والأرض.

الثالث: فضل الأمة المحمدية التي سارت على منهج النبي المصطفى ﷺ يوم قالت لرسولها ﷺ: لو استعرضت بنا عرض البحر لخضناه معك، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، وليس كما قالت بنو إسرائيل: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [سورة المائدة: الآية: ٢٤].

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.



■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

وبعد: ففي العالم اليوم أطروحة تسمى: أطروحة التعايش السلمي بين الأمم والشعوب، وهذه الأطروحة تدعو إلى نبذ الأديان التي تعمل على التفرقة بين البشر بسبب اختلاف الدين. قالوا إن سبب النزاع والصراع بين الناس هو الدين، فيجب نبذه والتخلص منه، ليعيش الناس في محبة وسلام تحت مظلة الإنسانية التي تجمع الناس جميعاً بزعمهم.

وهذه هي مبادئ الماسونية، وهي في صورتها تعمل على نبذ جميع الأديان لتنتشر المحبة بين الناس، ولكن في حقيقتها دعوة خاصة ليتخلى المسلم عن عقيدته ويتبرأ من انتماؤه للإسلام، فينما صدق كثير من المتسبين للإسلام هذه الدعوى، نجد أن الأمر على النقيض من ذلك بين أصحاب الديانات الأخرى، فاليهود يحاولون الرجوع إلى أصولهم المحرفة، والنصارى في عودة مستمرة إلى دينهم الباطل، والمسلمون يتظنون حلول مشاكلهم بتطبيق النظام العالمي الجديد!! ويستسلمون لقوى البغي والعدوان بدعوى التعايش السلمي المزعوم.

والله - عز وجل - يحذرنا بعد قصة البقرة من هذا الخداع، ويقطع علينا خطاً الرجعة حتى لا نطمع في بني إسرائيل، فاليهود هم اليهود في كل عصر ومصر:

إِنَّ الْعَصَا مِنْ هَذِهِ الْعُصَيَّةِ * * * لَا تَلِدُ الْحَيَّةَ إِلَّا حَيَّةً

ولو نسيت الكلاب نباحتها، والخيول سهيلها، والغنم غثاءها، والحمام هديره، ما نسي اليهودي عداؤه للرسول ﷺ، فالخيانة مكنونة في دمائهم،

والحقد والحسد أصل من أصولهم، وعداؤهم لـ :- لا إله إلا الله - طبع من طباعهم، يتشربونه في طفولتهم، وفي مدارسهم وجامعاتهم ومنتدياتهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ {البقرة: ٧٥} ﴿ أَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ أتظنون أنهم سوف يسلمونكم، ويؤمنون لمبادئكم ويكونون إخوة لكم؟ ﴿ أَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ ؟ لا، لا تطمعوا في ذلك، فهي قلوب قست، وأفئدة أظلمت، وأبصار عميت، وأذان أصابها الوقر، وعقول خراب: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ {البقرة: ٧٤}. والقلب الذي هو كالحجارة، أو أشد قسوة لا يُطمع في إخبائه، ولا يرجى إيمانه!!

إن الله - عز وجل - قد أنعم على بني إسرائيل بنعم لا تحصى، أطعمهم المن والسلوى، وأنقذهم من فرعون الطاغية، وأراهم الآيات، وأرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، فماذا قالوا: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ {المائدة، الآية: ٦٤}. وقالوا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ {سورة آل عمران، الآية: ١٨١}.

فقابلوا النعمة بالجحود والكفران، فضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا، وأصابتهم اللعنة أينما حلوا: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ {سورة المائدة، الآيتان: ٧٨، ٧٩}.

● أيها الناس: وفي قصة البقرة لطائف أذكرها للاستصلاح كما ذكرها أهل العلم، وكما نبه عليها المفسرون:

الأولى: قالوا لإمام أهل السنة والجماعة أبي عبد الله أحمد بن حنبل: أتذبح البقرة أم تنحر ما السنة في ذلك؟ فقال الإمام أحمد: بل تذبح: قالوا وما الدليل؟ قال: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ {البقرة: ٦٧}،

وقد بَوَّبَ الإمام البخاري في «الصحیح» في كتاب الحج، قال: باب ذبح الرجل البقر^(١).

والمقصود من ذلك هو بيان فقه أئمتنا وعلماؤنا، هذه العقول المدركة، والآذان الواعية والقلوب النيرة التي رفعت مستوى الثقافة والإدراك والفهم عند المسلمين، حتى صار المسلمون أمة مرهوبة الجانب، قوية الأركان، صلبة المراس فشرفنا أحمد بن حنبل، وتاريخنا ابن تيمية، ومجدنا مالك، وفخرنا الشافعي، وسؤدنا أبو حنيفة، هذا ميراثنا، علم نافع موصول بمشكاة النبوة: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٥].

أما ميراثُ العملاء، أما تاريخ الخونة، أما مجد المنافقين والعلمانيين، إما وتر، أبو بلوت، أو موسيقى حاملة، أو ضياع، أو مجون، ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ [سورة النور، الآية: ٤٠].

الثانية: جواز بيع السلم: وانظر إلى عقل الإمام مالك كيف حلّقت به في سماء الاستنباط، فاستنتج من قصة البقرة أن من باع غرضاً بصفة كصفة بقرة بني إسرائيل جاز بيعه بصفة معلومة؛ لأن هذه البقرة وصفت لهم من الله - عز وجل - فبحثوا عنها فوجدوها.

الثالثة: أنه لا ينبغي للمسلم أن يتشدد، أو يتعنت أمام المسائل الشرعية، ولا ينبغي أيضاً أن يسأل العلماء على وجه التعنت والإفحام، وقد نهى النبي ﷺ عن الغلوطات^(٢). بل ينبغي على طالب العلم أن يكون سؤاله للعلم لا للترف الذهني، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ

(١) انظر «صحیح البخاري» (١٨٤/٤) كتاب الحج، باب (١١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢١/٣) كتاب العلم رقم (٣٦٥٦)، وأحمد (٤٣٥/٥) والغلوطات: بفتح الغين المعجمة وضم اللام، وهي المسائل التي يغالط بها العلماء ليزلوا بها فيحصل بذلك شرٌّ وفتنة. وقال الأوزاعي: هي شدة المسائل وصعابها.

تُبَدَلْكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَلْكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ
حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ سورة المائدة، الآيتان: ١٠١، ١٠٢.

الرابعة: ويؤخذ من هذه القصة أيضاً أن الدين يسر، وأن الله إذا أمر بأمر فينبغي أن يؤخذ على ظاهره حتى يثبت خلاف ذلك، فعلى المسلم أن يسارع إلى تنفيذ هذا الأمر دون جدال أو تنطع.

الخامسة: ويستفاد من هذه القصة أيضاً أن من سارع في تنفيذ الأمر في أول وقته هو المأجور، فمن صلى الصلاة في أول وقتها كان أجره أعظم من الذي أخرها عن وقتها، قال ابن مسعود: يا رسول الله أي العمل خير؟ قال: «الصلاة على وقتها»، هذه عند البخاري^(١)، وعند مسلم^(٢): «الصلاة لوقتها»، وعند الترمذي^(٣): «الصلاة على مواقيتها».

وكذلك من حج في أول عمره، ومن تاب في أول عمره، أفضل ممن ترك الحج أو التوبة حتى بلغ الستين، أو السبعين.

تفرُّ من الهجير وتقيه * * * فهلا من جهنم قد فررتا
وتشفق للمصرِّ على الخطايا * * * وترحمه ونفسك ما رحمتا
ويقبح بالفتى فعل التصابي * * * وأقبح منه شيخ قد تفتأ

ولذلك فإن من أحرَّ التوبة، وسوّف بها، وفعل الأفعال الشنيعة، فإنه قد أساء إساءتين؛ إساءة المعصية، وإساءة عدم الإعذار من الله، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» وذكر منهم: «الشيخ الزاني»^(٤).

(١) «صحيح البخاري» (١٣٤/١) كتاب المواقيت، باب (٥).

(٢) «صحيح مسلم» (٨٨/١) كتاب الإيمان رقم (١٣٥).

(٣) «سنن الترمذي» (٣٢٦/١) رقم (١٧٣)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٣/١) كتاب الإيمان رقم (١٧٢).

فإن مثل هذا يأتي يوم القيامة ولا حجة له. قال عليه الصلاة والسلام: «أعذر الله إلى امرئ بلغه ستين سنة»^(١). ومعنى الحديث أن الله - عز وجل - قد قطع عليه الحجة والاعذار فلا حجة له ولا عذر عنده، قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْذِكُرُ فِيهِ مِنْ تَذَكُّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٧].

قال ابن عباس: النذير الشيب والمقصود: البدار البدار، لا نصبح كبني إسرائيل نسمع الموعدة فلا نتأثر، ولا نلقي لها بالاً، وإن تأثر البعض فتأثر وقتي سرعان ما يزول.

إن المطلوب هو الإسراع في صعود سفينة النجاة، ومخالفة أصحاب الجحيم من اليهود والنصارى وسائر ملل الكفر، وقد أمرنا الله - عز وجل - أن نتبرأ منهم ونستعيذ من طريقتهم في كل ركعة من أي صلاة فنقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿١﴾. والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى.

قال سفيان بن عيينة - رحمه الله -: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى، والأمة اليوم فيها مدرسة تشابه مدرسة اليهود والنصارى؛ في أفكارها، والتوائها، ومحاربتها لدين الله - عز وجل - يظهر ذلك في أطروحاتها المقدمة، وفي أفعالها العميلة التي تهدم الأخلاق وتحارب الفضيلة وتعمل على تنحية الهوية الإسلامية لهذه الأمة واستبدالها بغيرها من آراء وأفكار اليهود والنصارى.

نسأل الله تعالى أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يجنبنا جميعاً صراط المغضوب عليهم والضالين.

● عباد الله: صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(٢).

(١) أخرجه البخاري (١٧١/٧) كتاب الرقاق.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

■ الرحمن على العرش استوى ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلِّ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات: ٧٠، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدقَ الحديثَ كتابُ الله ، وأحسنَ الهدي هديُّ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمورِ محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .
 ● أيها الناس :

إن علم الله - عز وجل - محيط بالكائنات، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ { طه : ٧ } ، ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ { الحديد : ٤ } ، ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِيقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ { الأنعام : ٥٩ } .

يا من يرى مدَّ البعوض جناحها * * * في ظلمة الليل البهيم الأليل
 ويرى نياط عروقها في مخها * * * والمخ في تلك العظام النحل
 اغفر لعبدٍ تاب من زلاته * * * ما كان منه في الزمان الأول

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ سورة النمل: ٦٢ ، ٦٤ ﴾ ، من هو الله ؟ ما هي أسماؤه؟ ما هي صفاته؟ ما هي آثاره في الأرض؟! ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ { الروم: ٥٠ . سئل موسى عن ربه فقال: ﴿ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ { طه: ٥٠ . وسئل إبراهيم عن إلهه وخالقه ورازقه فقال: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ {سورة الشعراء: ٧٨ - ٨٢} .

وأُنزل الله على نبيه وحبيبه محمد ﷺ سورة عظيمة، يعرفه فيها نفسه، ويذكره فيها بإحاطته لجميع المخلوقات وقيوميته على هذا الكون الفسيح فيقول تبارك وتعالى: ﴿ طه ﴾ * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ {سورة طه، الآيات: ١ - ٨} ، الله يعرفُ رسوله ﷺ بنفسه أنه الله الذي لا إله إلا هو .

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ { مريم: ٦٥ } هل تعلم له نداءً، ولا نظيراً، ولا شبيهاً، ولا كفواً، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ { الشورى: ١١ } ، فمن آثاره، ومن دلائل خلقه، هذا الكون، كل الكون، السماء تشهد أن لا إله إلا الله، والأرض تشهد أن لا إله إلا الله، والجبال والزهرة والغدير والجدول والشجر والهواء، والضياء وغير ذلك من مخلوقات الله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴿١٨﴾ الحج : ١٨ .

فالله يقول: ﴿طه﴾ ما معناها؟ حرفان متقطعان، وليس اسماً من أسمائه ﷺ فهما حرفان بدئت بهما السورة كما بدئت سورة البقرة بـ ﴿الم﴾ ، وكما بدئت الشعراء بـ ﴿طسم﴾ والنمل بـ: ﴿طس﴾ ، وكأن المراد بهذه البدايات - والله أعلم - : من هذه الحروف أنزلنا القرآن، ومن هذه الحروف تألف القرآن، وهي حروف معروفة لديكم تتكلمون بها، وتكتبون بها، وتنظمون منها أشعاركم وبيانكم، فتعالى أيتها الأمة المجيدة في البيان والفصاحة، ويا أيها العرب العرباء، ويا أيها الفصحاء والبلغاء والشعراء والحكماء، إنني أتحدّاكم جميعاً أن تأتوا بسورة واحدة كسورة ﴿طه﴾ والتحدّي ماضٍ إلى يوم القيامة، والمعجزة باقية إلى قيام الساعة، قرآن كريم، ويقراه الطفل الصغير، والشيخ الكبير، والشاب الطرير: ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ﴾ {القر: ١٧}، ثم يقول الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ {طه: ٢}، إن هذا القرآن لم ننزله لكي تشقى به، وإنما هو كتاب رحمة وهداية، أنزلناه لتخرج به الناس من الظلمات إلى النور، أنزلناه ليكون دليلاً على صدقك ومعجزة تشهد بنبوتك إلى قيام الساعة، أنزلناه لرفع به رءوسكم، ونجعلكم أمة رائدة بعد أن كنتم أمة ضالة تائهة، تسجد للوثن، وتعبد الصنم، وتقصد الخرافة، وتحبى الوثنية، وتؤمن بالكهانة وتصدّق بالسحر والشعوذة.

أنزلنا عليك القرآن لتسعد، لينشرح صدرك، ويستنير قلبك، وتزداد يقيناً فوق يقين بأن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً.

وكل مخلوق لا يقتدي بهذا القرآن فهو مظلم القلب، خائن الضمير، فاشل الإرادة، مهزوم العقيدة، متخلف الركب، يتردّى في نار جهنم.

قلب بلا إيمان كتلة لحم ميتة، وعين بلا إيمان مقلّة عمياء، وأذن بلا إيمان إشارة خاطئة، ومجتمع بلا إيمان قطيع من الضأن.

كنا أمة عربية ضائعة لا تعرف شيئاً، تعرف الوثن، تعرف الصنم، تعرف الزنا، السرقة، الغدر، الخيانة، الفحش، التفلت من شرع الله، فأتى محمد عليه الصلاة والسلام، بالقرآن فبعثها من جديد.

أتطلبون من اختار معجزةً * * * يكفيه شعب من الأموات أحياءُ

أتى ﷺ بمكارم الأخلاق، أتى بالدعوة إلى عبادة الواحد، أتى ليقول: الربا حرام، الزنا حرام، الكذب حرام ضياع الوقت حرام، الانهزام حرام، التخلف والتبعية لأعداء الله حرام، إعطاء الولاء لغير الله حرام، فماذا فعل ﷺ؟ في خمس وعشرين سنة ترك أمة رائدة يأتي علمها ويرفرف على المحيط الأطلنطي بقيادة عقبة بن نافع، وعلمها الآخر يدخل كابل مع قتيبة بن مسلم، والثالث محمد ابن القاسم في الهند والسند، والرابع طارق بن زياد في أسبانيا، ما الذي تغير؟! ما الذي حول هذه الأمة الضائعة اللاهية إلى أمة مرهوبة الجانب تخشاها الأمم، وتتساقط على أقدامها التيجان والعروش؟! التيجان والعروش؟!!

ما الذي حول أمة الإبل والبقر والشاة إلى خير أمة أخرجت للناس؟! إنه دين الله وشرعه، إنه هذا القرآن المجيد. ولذلك كان هذا القرآن تذكرة لمن يخشى، ولكن من الذي يخشى؟ أهم الذين يسهرون على الأغنية ولعب البلوت؟ أم هم الذين يذهبون إلى الشواطئ الدافئة هناك في بلاد الجنس؟ إن الذي يخشى هو الذي يقرأ في كتاب الله، ويتدبر في أحكام الله، وينظر في دلائل الألوهية وآيات الربوبية في هذا الكون الواسع.

إن الذي يخشى ربه لا يعرف المجلة الخليعة، ولا الساعات الحمراء، ولا الأفلام الهابطة، ولا صحبة السوء من شباب متخلف لا يعرف هدفاً له في الحياة.

إن الذي يخشى هو الذي نظر بعين البصيرة، وتعرف على سنن الله في الأمم

السالفة، وكيف دمّر الله عليها فلا نرى لهم من أثر ولا باقية، فأخذ من ذلك العبرة، وتجنب طرق هؤلاء حتى لا يكون مصيره كمصيرهم، وحتى لا يصيبه ما أصابهم.

فما هذا القرآن: ﴿إِلَّا تَذَكُّرَةٌ لِمَن يَخْشَى * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ

الْعُلَى﴾ [سورة طه، الآيتان: ٣، ٤].

● فيا أيها الناس... تعالوا، هلموا، أقبلوا على نجاتكم وفلاحكم..

تعال يا من حاله في وبال * * * ونفسه محبوسة في عقال
يا راقداً لم يستفق عندما * * * أذن في صبح الليالي بلال
روض النبي المصطفى وارف * * * وأنتم أصحابه يا رجال

فما قيمة جيل لا يعرف الله، لا يعرف القرآن، ولا يحفظ من القرآن شيئاً، تلاوته الأغنية الماجنة، مصحفه المجلة الخليعة، سواكه السيجارة، يتشبه بأعداء الله الكفرة، بأذئاب الشعوب، بأفزام البشرية ومدمريها، فكيف يسعد هذا الجيل وقد أعرض عن ذكر ربه؟! وكيف تنتصر الأمة، وقد حادت عن طريق عزها ومجدها؟! ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [سورة طه، الآيات: ١٢٤ - ١٢٦].

فيا من أراد النجاة يوم القيامة! أقبل على كتاب ربك، ويا من أراد الفوز والسعادة. الزم سنة نبيك ﷺ، ويا من أعطاه الله العقل والفهم والتمييز! هذا كتاب الفضاء يشهد بالوحدانية ويقر بالعبودية، ألا سألت الأرض من خلقها، والسماء من رفعها، والجبال من أرساها، والزهرة من جملها، والنهر من أجراه، والليل من كساه، والتل من غطاه، الكل يشهد بالجلال والعظمة، الكل يعترف بالعجز والتقصير، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ

يَسْأَلُ يَذْهَبُكُمْ وَيَأْتِ بِخُلُقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿سورة فاطر، الآيات: ١٥ - ١٧﴾ .

يقول الله لرسوله ﷺ في أول سورة: ﴿اقرأ﴾ سورة العلق: ١، وهل كان ﷺ يعرف القراءة؟ وهل تعلم ﷺ أن يقرأ؟ قال بعض أهل العلم: المعنى: اقرأ في كتاب الكون، اقرأ في السماء المرتفعة بلا عمد، اقرأ في الأرض المنبسطة، اقرأ في الشمس المتوهجة، اقرأ في النجوم المتلألأة، اقرأ في الجدول، في الغدير، في الشجر، في الجبل، في الثمر: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [سورة العلق: ١] .

فيا عجباً كيف يعصى الإله * * * أم كيف يحجده الجاحد
وفي كل شيء له آية * * * تدل على أنه واحد

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه: ٥]، عقيدة ربانية يقررها القرآن ويطلب من الناس أن يؤمنوا بها، عقيدة لا تعقيد فيها ولا أحاجي لا ألغاز فيها ولا صعوبات، عقيدة سهلة كسهولة الماء، عقيدة ميسرة يفهمها العامي والعالم، عقيدة واضحة فلا تحتاج إلى فلسفة ولا كلام .

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فلماذا يأتي متحذلق ليمتحن عباد الله، فيقول: كيف استوى؟ متى استوى؟ لماذا استوى؟ فهذا لم يخض فيه أحد من الأئمة في القرون المفضلة، فما وسعهم يسعنا، وما سكتوا عنه نسكت عنه، حتى لا تنتهي بنا الحال إلى الحيرة والضلال، نسأل الله السلامة .

إن الذي يعلم نيتك وخطراتك وسكناتك على العرش استوى، والذي يعلم صدقك ويرى نظرتك، وتحركك على العرش استوى، والذي يعلم صدق الصادقين وخيانة الخائنين، وربا المرابين وزنا الزناة، وكذب الكاذبين، وغش الغششة على العرش استوى .

جاء عمير بن وهب فذهب إلى صفوان بن أمية وكانا جاهليين مشركين قبل أن يسلمنا، فجلسا عند الكعبة تحت الميزاب، والرسول ﷺ في المدينة

النبوية، فماذا كانا يفعلان عند الكعبة؟ يدبران جريمة اغتيال المصطفى عليه الصلاة والسلام!! أكبر جريمة في تاريخ الإنسانية، جلسا تحت الميزاب عند الكعبة يتشاوران في قتله ﷺ، ولكن الذي على العرش استوى مطلع عليهما، يعلم ماذا يدبران له ﷺ، والله كفيلاً بأن يدافع عن نبيه وحبيبه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٧]، علم الله تلك المؤامرة الخبيثة؛ لأنه هو الذي على العرش استوى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١٧]. سمع مقالهم، سمع خطتهم، كشف مخططاتهم، وأخبر رسوله ﷺ بتفاصيل تلك الجريمة النكراء؛ ليأخذ حذره، ويضع خطته لذلك.

قال ابن إسحاق: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر.

فذكر عمير أصحاب بدر ومصابهم، فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خيراً؛ قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء، وعيالٌ أحشى عليهم الضيعة بعدي، لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة: ابني أسيرٌ في أيديهم، قال: فاغتنمها صفوان، وقال: عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيءٌ ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم شأني وشأنك، قال: أفعل. قال: ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ^(١) له وسماً، ثم انطلق حتى قدم المدينة؛ فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين

(١) وقوله: فَشَحَذَ لَهُ: معناه أحدهُ يقال: شحذت السيف والسكين إذا أحددتهما.

أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش^(١) بيننا، وحرزنا^(٢) للقوم يوم بدر. ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه؛ قال: «فأدخله علي»، قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبسه بها، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ، فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث؛ فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله ﷺ.

فلما رآه رسول الله ﷺ، وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: «أرسله يا عمر، ادنُ يا عمير»، فدنا، ثم قال: أنعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله ﷺ: «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام: تحية أهل الجنة»، فقال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد، قال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: «فما بال سيف في عنقك؟» قال: قبّحها الله من سيوف أهل أعتت عتاً شيناً! قال: «اصدقني، ما الذي جئت له؟» قال: ما جئت إلا لذلك، قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرت أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك»، قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنني لا أعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق، فقال رسول الله ﷺ: «فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره» ففعلوا.

(١) وقوله: حرش بيننا: أي أفسد، والتحريش: الإفساد بين الناس وإغراء بعضهم ببعض.

(٢) وقوله: حرزنا: معناه قدر عددنا، يقال: محزره ألف، أي تقديره ألف.

ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله - عز وجل - وأنا أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى، وإلى رسوله ﷺ، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم؟ قال: فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة، وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب، يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام، تُنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الرُّكبان، حتى قدم ركباً فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً.

قال ابن إسحاق:

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناسٌ كثيرٌ^(١).

● أيها الناس:

وفي هذه القصة أمور:

أولاً: أن الله - عز وجل - يحفظ نبيه ﷺ، ويحميه من كل شر فقد أخبره بالمؤامرة قبل أن تتم وأطلعه على تفاصيلها، كما أخبره بخبر الشاة المسومة ومؤامرة اليهود لقتله عليه الصلاة والسلام، وكما أخبره بخطة قريش لقتله في جوف داره فخرج من بيته مختفياً وجعل علياً مكانه.

ثانياً: رحمته ﷺ وقد تجلّت في موقفه من عمير وعفوه عنه مع أنه كان ينوي قتله ﷺ.

ثالثاً: خبرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وشدة فطنته؛ لأنه علم من منظر عمير أنه يريد شراً، فأخذه إلى النبي ﷺ، وأطلعه على أمره.

(١) أخرجه ابن إسحاق مرسلًا عن عروة بن رويم، ورواه ابن منده، والطبراني، انظر: «الإصابة» (٣/٣٧)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٣٧١ - ٣٧٢).

رابعاً: ماذا يفعل الإحسان في الناس، وماذا يفعل العفو في قلوب البشر، إنه يغيّر القلوب ويزلزلها، ويجعلها ترجع إلى الحق وتعود إلى الصواب .

خامساً: ينبغي على مَنْ أساء أن يحسن، وأن لا ييأس من رحمة الله كما فعل عمير - رضي الله عنه - فإنه لما أسلم، وكان يؤذي المؤمنين عزم أن ينصر الإسلام، وأخذ في الدعوة إلى الله - عز وجل - حتى أسلم على يديه جم غفير .

وقصة أخرى تبيّن عناية الله - عز وجل - بهذا الرسول الكريم، وأن الله - عز وجل - يحفظ رسوله من كل شر وكيد .

ذكر ابن هشام أن فضالة بن عمير بن الملوّح الليثي أراد قتل النبي صلّى الله عليه وآله، وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «أفضالة»، قال: نعم، فضالة يا رسول الله: قال: «ماذا كنت تحدث به نفسك؟»، قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال: فضحك النبي صلّى الله عليه وآله، ثم قال: «استغفر الله»، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليّ منه^(١) .

وإذا العناية لاحظتك عيونها * * * نم فالحوادث كلهنّ أمان

جاءت امرأة أوس بن الصامت تشكو زوجها، دخلت على المصطفى عليه الصلاة والسلام، وهو في بيت عائشة رضي الله عنها، فأخذت تخفض صوتها لئلا تسمع عائشة كلامها، ولكن الرحمن الذي على العرش استوى سمع القول، قالت عائشة: والله ما سمعت صوتها، ولا أدري ما قالت، وهي في طرف البيت بجانبني ولكن الله - عز وجل - سمع وعلم وأنزل في ذلك قرآناً: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾^(٢) {المجادلة: ١}،

(١) ذكره ابن هشام معلقاً، انظر: «السيرة النبوية» (٨٥/٤).

(٢) انظر: القصة بلفظها في «سنن ابن ماجه» (٦٧/١) رقم (١٨٨)، وعند البخاري بعضها (١٦٧/٧) كتاب التوحيد.

الرحمن على العرش استوى يراك وأنت وراء الحيطان، وأنت بين الجدران، وأنت تغلق الأبواب لتختلي بنفسك في معصيته تبارك وتعالى :

وإذا خلوت بريبة في ظلمة * * * والنفس داعية إلى الطغيان
فاستحي من نظر الإلّفه وقل لها * * * إن الذي خلق الظلام يراني

أتى أحد الأدباء إلى الإمام أحمد، فقال له الإمام أحمد: مَنْ أنت؟ قال: أنا أديب أحفظ أشعار العرب، قال: أسمعني بعض الأبيات - الإمام أحمد، إمام أهل السنة والجماعة، الذي إذا جلس في الغرفة وحده كفكف جسمه وتهياً وانضبط في جلسته وخشع لله كأنه سوف يموت بعد لحظات، ولذلك قال له أحد أبنائه:

نراك إذا جلست مع الناس جلست مستريحاً منبسّطاً، وإذا جلست وحدك كفكفت نفسك، قال: أما يقول الله: «أنا جليس من ذكرني» فهو معي يراني حيث كنت - .

قال الأديب للإمام أحمد: اسمع يا إمام:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل * * * خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة * * * ولا أن ما تخفي عليه يغيب

فترك كتبه، ومحبرته، وقلمه، وقام وأغلق غرفته قال هذا الأديب: والله لقد سمعت بكاءه من وراء الباب وهو يردد البيت:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل * * * خلوت ولكن قل عليّ رقيب

فراقبوا الله، واستحيوا منه، واعلموا أنكم محشورون إليه تبارك وتعالى حفاة عراة غرلاً ليس بينكم وبينه حجاب ولا ترجمان، نسأل الله - عز وجل - الخشية في السر والعلن. أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم وجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله، الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وحجة الله على الناس أجمعين، خيرة المتقين، وصفوة الأولياء الصادقين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

● أما بعد :

فقد سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١).

فالإحسان هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه، وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى وجه الله عياناً في الآخرة.

أورد أهل العلم أن رجلاً خلا في غابة بمعصية، وظن أنه لا يراه أحد، رأى الشجر قد غطاه، ونسي الله، ورأى الليل قد حماه وستره وآواه، ونسي الله، ثم قال في نفسه، وقد أقبل على المعصية، هنا لا يراني أحد، ولا يعلم بي أحد، فسمع هاتفاً يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك، الآية: ١٤].

مرَّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه وأرضاه - براعي غنم في طريق المدينة، راعٍ يرعى الغنم، لكنه يحمل عقيدة الإيمان، راعٍ يرعى الضأن، لكنه يخاف الرحمن، قال له عمر: بعني شاة من غنمك، قال: الغنم لسيدي وأنا مولى عنده، قال: إذا سألك عن الشاة، فقل: أكلها الذئب - يريد أن يختبر إيمانه - قال: لا إله إلا الله كيف أقول أكلها الذئب؟ أين الله؟! فجلس عمر يبكي ويقول: أين الله؟

فهل سأل كل منا نفسه: أين الله؟ هل سأل المسئول نفسه في الدائرة، وفي العمل، وفي المؤسسة، أين الله؟ فحاسب نفسه على الساعات، وعلى المعاملات.

(١) أخرجه مسلم (٣٧/١) رقم (٨).

ويأتي البائع فينسى ربه الذي يعلم السر وأخفى، فيغش في بيعه، ويبخس في أخذه وعطائه، مراب، مدلس، مزور، ظن أنه بعيد عن الله، ووالله ما ذهب عن قبضة الله، ومقصود رسالة الرسول ﷺ، أن تعلم الأمة ببارئها تبارك وتعالى، وأن تقود القلوب إلى فاطرها، وأن تقيم العدل والحق والسلام في العالم، وإذا تذكّر الناس مولاهم، وتذكروا أنه يراهم، وتذكروا أنه يعلم سرهم ونجواهم، أصلح الله الحال، لكن غابت مراقبة الله، وغابت خشية الله، فأكل الحرام والربا، ووُجد الزنا، وانتشر البخس والغش في البيع والشراء، وخان الموظف - إلا من رحم ربك - في وظيفته، وأهمل في عمله، ولم يتقن الأستاذ مادته، وتفلت الطالب من مهامه ودراسته، ونظرت العيون إلى المحرمات، وكثر الفساد، وضاع العباد، وقحطت البلاد، سدنا ما بيننا وبين السماء بالمعاصي، ثم قلنا: يا رب يا رب، يا رب اسقنا، فما كان لدموعنا إجابة، وما كان لدمائنا أثر؛ لأن معاصينا تغدو وتروح؛ ولأن ذنوبنا تفوح، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم، الآية: ٤١].

● عباد الله:

صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب، الآية: ٥٦].
وقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى صَلَاةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١).

اللهم صل وسلم وبارك على نبيك وحبيبك محمد، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين وارض اللهم عن الصحابة الأطهار، من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).

■ الظلم ظلمات ■

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلِّ فلا هادي له ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الأحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتابُ الله ، وأحسن الهدى هدىُ محمد ﷺ ، وشرُّ
الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعةٌ ، وكلُّ بدعة ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها الناس :

● عن أبي ذر - رضي الله عنه وأرضاه - عن رسول الله ﷺ ، فيما يرويه
عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : «يا عبادي إني حرمت الظلمَ على نفسي ، وجعلته
بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلُّكم ضالٌّ إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ،
يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي كلُّكم عارٌ
إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم . يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا
أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي إنكم لن تبُلُّوا ضري
فتضروني . ولن تبُلِّغوا نفعي فتنبهوني . يا عبادي لو أن أولكم ، وآخركم ،
وإنسكم ، وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي

شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم، وآخركم، وإنسكم، وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم، وآخركم، وإنسكم، وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي، إلا كما ينقص المخيط^(١) إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفّيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». رواه مسلم^(٢)، وأحمد^(٣)، والترمذي^(٤) وابن ماجه^(٥)، وهذا حديث شريف أشرف حديث لأهل الشام ودمشق^(٦). وهذا الحديث قاعدة من قواعد الإسلام، وأصل من أصول الدين، كان التابعون إذا حدثوا به جثوا على ركبهم من عظمه.

وأكبر قضية في هذا الحديث؛ أن الله - عز وجل - حرم الظلم على نفسه، وجعله بين الناس محرماً.

* قال عز من قائل: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٨].

* وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٤٦].

* وقال عز من قائل: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٤٩]. حرمة

سبوحانه وتعالى على نفسه، فلا يظلم، ولا يهضم.

والظلم أن يزيد في سيئات من لم يسئ، والهضم أن ينقص من حسنات من

أحسن.

(١) قال العلماء: هذا تقريب للأفهام، ومعناه لا ينقص شيئاً أصلاً، والمخيط: الإبرة، وضرب المثل بها؛ لأنها صقيلة، فلا يتعلق بها ماء إذا وضعت فيه.

(٢) مسلم (٤/١٩٩٤، ١٩٩٥) رقم: (٢٥٧٧).

(٣) «المسند» (٥/١٦٠).

(٤) الترمذي (٤/٥٦٦، ٥٦٧) رقم: (٢٤٩٥).

(٥) ابن ماجه (٢/١٤٢٢) رقم: (٤٢٥٧).

(٦) أورد الإمام النووي هذا الحديث في آخر كتابه «الأذكار» بإسناده، ثم قال: رجال إسناده مني إلى أبي ذرٍّ

- رضي الله عنه - كلهم دمشقيون!!

* قال عز من قائل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [سورة طه، الآية: ١١٢]. والظلم من صفات العبيد، وقد حذرهم ربهم تبارك وتعالى منه. فأظلم الظالمين هو العبد إذا أشرك بالله.

* لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨٢]. شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أين لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١) [سورة لقمان، الآية: ١٣].

* ووصف الله العبد بأنه ظالم فقال:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٢]

فالعبد ظالم مع الله، وظالم مع نفسه، وظالم مع الناس.

أما مع الله، ففي الحديث القدسي أن الله سبحانه وتعالى قال: «عجباً لك يا ابن آدم، ما أنصفتني! - أي: ما عدلت بيني وبينك - خلقتك وتعبد غيري، ورزقتك وتشكر سواي، أتجيب إليك بالنعم، وأنا غني عنك، وتتبغض إلي بالمعاصي وأنت فقير إلي، خيري إليك نازل، وشرك إلي صاعد».

● وفي «الصحيح» من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه وأرضاه - أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى: شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني وما ينبغي له؛ أما شتمه، فقلوله: إن لي ولداً، وأما تكذبه، فقلوله: ليس يعيدني كما بداني»^(٢).

● وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول

(١) أخرجه البخاري (١٣٧/٤)، ومسلم (١١٤/١) رقم: (١٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣/٤).

الله ﷺ يقول: «قال الله - عز وجل - : يؤذيني ابن آدم! يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»^(١).

أما الظلم بين الناس، فهو معروف، وقد حذر منه النبي ﷺ، أيما تحذير، ونهى عنه أشد النهي، فقال ﷺ: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»^(٢).

● وقال ﷺ: «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوّقه»^(٣) الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين»^(٤).

وفي هذا اليوم سيندمون حيث لا ينفع الندم، وسيصرخون قائلين: ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاصراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ [سورة الكهف، الآية: ٤٩].

● وضح عنه ﷺ أنه قال: «من ظلم قيد شبرٍ من الأرض طوّقه من سبع أرضين»^(٥).

وتأتي امرأة، وهي أروى بنت أويس، فتدعي على سعيد بن زيد رضي الله عنه - أحد العشرة المبشرين بالجنة - أنه اغتصب شيئاً من أرضها، فخاصمته إلى مروان بن الحكم. فقال سعيد: أنا كنت أخذت من أرضها شيئاً، بعد الذي سمعت من رسول الله ﷺ! قال مروان: وما سمعت من رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوّقه إلى سبع أرضين» فقال له مروان: لا أسألك بينة بعد هذا. فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فعمّ

(١) أخرجه البخاري (١٩٧/٨)، ومسلم (١٧٦٢/٤) رقم: (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٩٩/٣) عن ابن عمر، وليس فيه «اتقوا الظلم»، ومسلم واللفظ له (١٩٩٦/٤) رقم:

(٢٥٧٨) عن جابر، ورواه مسلم أيضاً بلفظ البخاري عن ابن عمر، رقم: (٢٥٧٩).

(٣) طوّقه: أي جعله طوقاً في عنقه.

(٤) أخرجه مسلم (١٢٣٠/٣) رقم: (١٦١٠).

(٥) أخرجه البخاري (١٠٠/٣)، ومسلم (١٢٣٢/٣) رقم: (١٦١٢).

بصرها، واقتلها في أرضها. قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها، إذ وقعت في حفرة فماتت!!^(١).

وفي رواية: فرأيتها عمياء تلتمس الجدر، تقول: أصابتنى دعوة سعيد ابن زيد، فينما هي تمشي في الدار، مرت على بئر في الدار، ف وقعت فيها. فكانت قبرها!!^(٢).

﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رِبِكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود: ١٠٢].

قال أحد التابعين: إذا مررت بأرض قد خربت، وبأهلها قد تفرقوا وبأنسٍ قد تشعب، وببهاء قد تبدد، وبمال قد فني، وبصحة قد ذهبت، فاعلم أنها نتيجة الظلم.

ومن ذلك روى ابن كثير في «تاريخه»، أن البرامكة، الأسرة الشهيرة الخطيرة، التي كانت تتولى الوزارة لهارون الرشيد في بغداد، بلغوا من الترف والرقي؛ أن أحدهم كان يصنع قصره، من الداخل والخارج بماء الذهب والفضة، فكانت تلمع قصورهم مع الشمس، فضيعوا الأموال، وسفكوا الدماء وبغوا، وطغوا، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

والرسول عليه الصلاة والسلام كما صح عنه يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقْلَتَهُ»^(٣)، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود، الآية: ١٠٢] فسلط الله على هذه الأسرة أحب الأحاب إليهم، وأقرب الأقرباء إلى قلوبهم، وأصدق الأصدقاء، وهو هارون الرشيد الخليفة، فأخذهم في ليلة واحدة، فجلد كل واحد منهم ألف سوط، ثم قطع أيديهم وأرجلهم، وقتلهم شر قتلة، واستولى على أموالهم، وهدم قصورهم،

(١) أخرجه البخاري (٧٤/٤)، ومسلم واللفظ له (١٢٣١/٣) رقم: (١٦١٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٢٣١/٣) رقم: (١٦١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٤/٥)، ومسلم (١٩٩٧/٤) رقم: (٢٥٨٣). ومعنى يَمْلِي للظالم: أي يمهل، ويؤخر، ويطيّل له في المدة. ولم يُقْلَتَهُ: أي لم يطلقه.

وسجن نساءهم، فدخلوا على شيخ منهم وهو يُعذب ويكي تحت الشياطين، فقال له بعض العلماء: ما هذه المصيبة التي حلت بكم؟ قال: دعوة مظلوم سرت في الليل، نمنا عنها، والله ليس عنها بنائم .

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا * * * فالظلم يرجع عِقَابَهُ إِلَى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ * * * يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولذلك قال ﷺ: «دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ - عز وجل -: وعزتي وجلالي، لأنصرنك ولو بعد حين»^(١)

● ولما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن، كان آخر ما أوصاه به، قوله: «واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(٢) .

ولما أهين الإمام أحمد، إمام أهل السنة - رضي الله عنه وأرضاه - كان الذي سعى في سجنه، وفي ظلمه، وفي جلده، أحمد بن أبي دؤاد، أحد الوزراء المقربين من الخليفة المعتصم، فرفع الإمام أحمد يديه إلى الحي القيوم، ثم قال: اللهم إنه ظلمني فاحبسه في جسمه، وعذبه، وشرده أيما مشرد.

قال العلماء: فوالله ما مات، حتى أصابه الله بالفالج في نصفه، فنصف مصاب بالفالج قد مات وبيس من جسمه، ونصف حي.

دخلوا عليه وهو يخور كما يخور الثور، فقالوا: ما لك؟ قال: دعوة الإمام أحمد أصابتني؛ أما نصفي الأيمن، فوالله لو وقع عليه ذباب لكأن جبال الدنيا سقطت عليه، وأما النصف الآخر، فوالله لو قرض بالمقاريض ما أحسست ألمًا.

(١) أخرجه الترمذي (٥٣٩/٥) رقم: (٣٥٩٨) عن أبي هريرة وقال: حديث حسن، وأخرجه بإسناد آخر (٥٨٠/٤) رقم: (٢٥٢٦) عن أبي هريرة أيضًا، وقال: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي، وليس هو عندي بمتصل. وأخرجه ابن ماجه (٥٥٧/١) رقم: (١٧٥٢).

قال الحافظ في «أمالي الأذكار» فيما نقله عنه ابن علان في «شرح الأذكار» (٣٣٨/٤): هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦/٢)، ومسلم (٥٠/١) رقم: (١٩).

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٤٧] وهذه سنة الله في الأرض، فإن الله دمر الديار، وأهلك الأمم، وأفنى الشعوب لما ظلموا، سنة محكمة وحكمة بالغة منه تبارك وتعالى.

قال الذهبي في نبلائه: دخل أحد المشايخ من الصالحين، الأولياء، العباد، على أحد الطغاة المتكبرين، فنازعه في بعض الكلام، وأمره بالمعروف، ونهاه عن المنكر، فقام إليه هذا الطاغية فضربه على وجهه. فقال: لطمتني! أسأل الله أن يقطع يدك، قال: اعفُ عني، قال: لا والله، حتى نحتكم عند الله. قال الذهبي: فأثر أنه ما مر عليه أسبوع، إلا وقد استولي على ما عنده، وأخذ قصره، وقطعت يده، وعلقت أمام الناس!!

إن الظلم ظلمات يا عباد الله، إن الظلم مسخطة، ومغضبة، إنه لعنة، ولذلك صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لعن الله من غير منار الأرض»^(١).

ومنازل الأرض هي علامات حدودها، التي تقسم في المزارع، وفي الأراضي، وفي الأملاك، فمن غيره بغية شريكه، وبعدم رضاه، فهو ملعون عند الله - عز وجل - وفي الأثر؛ أن الله إذا جمع الأولين والآخرين إلى يوم لا ريب فيه؛ حفاة، عراة، غرلاً، قد وقفوا في صعيد واحد، وتجردوا للحساب، تجلى الله سبحانه وتعالى، تجلى على عرشه، يحمله ثمانية، فنادى بصوت يسمعه من قرب، كما يسمعه من بُعد، فيقول عز من قائل: «أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أنا الملك أين ملوك الأرض؟»، ثم يقول: «لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟ لمن الملك اليوم؟»، فلا يجيبه لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل. فيجيب نفسه بنفسه تبارك وتعالى ويقول: «الله الواحد القهار»، ثم يقول: «إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فوعزتي وجلالي لا تنصرفون

(١) أخرجه مسلم (١٥٦٧/٣) رقم: (١٩٧٨).

اليوم، ولأحد عند أحد مظلمة». فتنبص الموازين، وترفع الصحف، ويحضر الملائكة، ويأتي الظلمة، يعض كل ظالم على يده حتى يأكلها، فيقتص الله للمظلوم من ظلمه، بحكمه العدل، وميزانه القسط، حتى يؤتى بالبهايم، فتحشر كالجبال، ما بين الإبل، والبقر، والغنم، والعجماوات، والطيور، فيتجلى الله لها، فيقتص لبعضها من بعض، حتى يقتص للشاة الجماء من ذات القرن، فإذا انتهى من الحكم بينها تبارك وتعالى، قال لها: «كوني تراباً»، فتكون تراباً، فيقول الكافر عندها: «يا ليتني كنت تراباً».

فالله الله يا عباد الله، فما جف القطر، وما نزعت البركة، وما تباغضت القلوب، وما فسد الأولاد إلا من الظلم.

إن الظلم ظلمات في القلب، وفي القبر، وفي الحياة، وفي الآخرة.

إن الظلم لعنة، ومسخطة، فاتقوه يا عباد الله، أوصي نفسي وإياكم باتقاء الظلم؛ في المعاملات، في الأقوال، في الأخلاق، فإنكم سوف تعرضون على ربكم ليس بينكم وبينه حجاب ولا ترجمان. ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [سورة الانعام، الآية: ٩٤].

والظلم يدخل في البيع والشراء، يجمع الله المتماكسين الغششة، ليوم لا ريب فيه، فينصف منهم الناس.

والظلم يدخل في ظلم الولد لوالديه، وهو العقوق، وقد حرمه الله أشد تحريم، قال الله - عز وجل - : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴿[سورة محمد، الآيتان: ٢٢، ٢٣].

● وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٤/١٩٨١) رقم: (٢٥٥٦).

والظلم يدخل كذلك على القضاة، وعلى المسئولين كما صح أن النبي ﷺ قال: «ما من أمير عشيرة، إلا يؤتى يوم القيامة، مغلولة يده إلى عنقه؛ أطلقه الحق، أو أوبقه»^(١).

سجن هارون الرشيد أبا العتاهية، فأرسل له من السجن رسالة يقول فيها:

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ شَرُّهُم * * * وَمَا زَالَ الْمَسِيءُ هُوَ الظُّلْمُ
إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الْحَشْرِ نَمَضِي * * * وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ

فبكى هارون الرشيد، حتى فحص برجله، وأمر بإرضائه، وأطلقه ولذلك يقول:

أَيَا رَبِّ إِنْ النَّاسَ لَا يَنْصِفُونِي * * * وَكَيْفَ لَوْ أَنْصَفْتَهُمْ ظَلَمُونِي
سَأْمَعُ قَلْبِي أَنْ يَحْنُ إِلَيْهِمْ * * * وَأَحْبَبُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَعَيُونِي

ولكن الأسلم لمن ظلم؛ أن يستغفر الله، فما أصابه الظلم إلا بذنوبه، وأن يرجو الثواب والجزاء والأجر عند الله، وأن يتصدق بعرضه على الناس، كما فعل أبو ضمضم - صحابي جليل من أصحاب رسول الله ﷺ - كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي؛ فمن شتمني، أو قذفني فهو في حل.

● عباد الله:

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.



(١) أخرجه الدارمي (٣١٣/٢) رقم: (٢٥١٥)، وأحمد (٤٣١/٢)، (٢٦٧/٥)، (٢٨٤، ٢٨٥، ٣٢٣)، وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» للبيهقي، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع» رقم (٥٦٩٦).

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، إمام المتقين، وحجة الله على الناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

● أما بعد:

ففي الحديث المتقدم يقول الله تبارك وتعالى: «يا عبادي إنكم تذنون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم» .

وهذا قد دل عليه الكتاب والسنة. قال عز من قائل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٥٣] . وقال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٣٥] . ولذلك أثر عند كثير من أهل العلم؛ أن عابداً من بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة، ثم رجع على عقبيه، وعصى الله أربعين سنة، فلما نظر إلى المرأة، وجد الشيب قد غطى لحيته ورأسه، فبكى وقال: يا ربي! أطعتك أربعين سنة، وعصيتك أربعين سنة، فهل لي من توبة؟ فسمع هاتفاً يقول: أطعتنا فقربتناك، وعصيتنا فأمهلتناك، وإن رجعت إلينا قبلناك!!

فالله الله في العودة إلى الله دائماً وأبداً، فإننا جميعاً أهل ذنوب وخطايا، إلا من رحم الله تعالى، كما قال ﷺ: «كلُّ ابنِ آدمَ خطاءٌ، وخيرُ الخطَّائينِ التَّوَّابون»^(١) . وقال ﷺ: «الذي نفسي بيده، لو لم تذنوبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم»^(٢) .

(١) أخرجه الترمذي (٥٦٩/٤) رقم: (٢٤٩٩) قال الترمذي: غريب. وابن ماجه (١٤٢٠/٢) رقم: (٤٢٥١)، وأحمد (١٩٨/٣)، والدارمي (٣٩٣/٢) رقم: (٢٧٢٧)، وهذا الحديث قواه ابن حجر في «بلوغ المرام»، وحسنه الألباني، كما في «المشكاة» (٧٢٤/٢)، و«صحيح الجامع» رقم: (٤٥١٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٠٦/٤) رقم: (٢٧٤٩).

فليس هناك حلٌّ لهذه الورطة - ورطة الذنوب والخطايا - إلا بالتوبة النَّصُوح، والاستغفار صباح مساء، وأن ندرأ بالحسنة السيئة، فإن الله مدح قومًا فقال: ﴿وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢]. وقال: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. قال ابن عباس - رضي الله عنهما وأرضاهما - : أصبحوا تائبين، وامشوا تائبين، فإنكم في الذنب والخطيئة صباح مساء.

وصدق - ﷺ وأرضاه - فإن عيوننا تذنّب، وقلوبنا تذنّب، وأذاننا، وأبصارنا، وأرجلنا، وأيدينا، ولا يغسلها إلا التوبة والاستغفار، فتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، واستغفروا الله يغفر لكم، وقدموا من الحسنات ما يكفر عنكم السيئات، ومن فعل منكم في سابق العمر ذنبًا، مهما بلغ عظمه، ولو كان كالجبال، فليعلم أن الله يغفر الذنوب جميعًا، وأن الله لا يتعاطمه شيء، وأن الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم أضل راحلته في الصحراء، ثم وجدها عليها طعامه وشرابه^(١).

فيا فرحة التائبين، ويا قرة عيون المنيبين، ويا سرور المستغفرين.

● عباد الله:

صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. وقد قال ﷺ: «من صلى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرا»^(٢). اللهم صلِّ وسلم على نبيك وحبيبك محمد ﷺ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين، وارض اللهم عن أصحابه الأطهار، من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

(١) جزء من حديث، أخرجه مسلم (٢١٠٣/٤) رقم: (٢٧٤٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم: (٣٨٤).

■ أيها العاق ■

إنَّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ { آل عمران : ١٠٢ }
 ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ { النساء : ١ } .
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ { الاحزاب الآيات : ٧٠ ، ٧١ } .

● أما بعد :

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله ، وأحسنَ الهدى هدىُ محمدٍ ﷺ ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعةٌ ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ ، وكلُّ ضلالةٍ في النار .

● أيها الناس: عنوان هذه الخطبة: «أيها العاق».

والعقوق صورته كثيرة، وهو من أخطر ما ابتليت به هذه الأمة، ومن أبرز صور العقوق: عقوق الوالدين، عقوق الابن لأمه وأبيه، وقد نهى الله - عز وجل - عن عقوق الوالدين، ولو بأقل الألفاظ فقال تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ {سورة الإسراء ، الآيات: ٢٣ ، ٢٤}.

وقرن سبحانه شكر الوالدين بشكره. فقال: ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ

المصير ﴾ {سورة لقمان، الآية: ١٤}.

وجعلَ الإحسانَ إليهما بعد الأمر بعبادته وحده لا شريك له فقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٢٣].

والإحسان إلى الوالدين هو وصية الله تبارك وتعالى لعباده كما قال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٨].

• وقد شدّد النبي ﷺ على عقوق الوالدين وجعله من أكبر الكبائر، وقرنه بالشرك بالله - عز وجل - فعن أبي بكرة قال: قال النبي ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟» قالها ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين...» الحديث^(١).

ومع كل هذا الترغيب في طاعة الوالدين والإحسان إليهما وبرهما، والترهيب من عقوقهما وعصيانهما، نجد صوراً مأساوية يتجلّى فيها العقوق بأبشع صورته، فالولد يتهكّم على والده، ويستهزئ به في المجالس، ويسخر منه أمام الناس، ويشتم أمه، وربما ضربها بيديه ورجليه، ولطالما كانت تمسح عنه الأذى يمينها، وتسهر عليه إذا اشتكى، فلا تنام حتى ينام، ولا تستريح حتى يستريح.

ولقد فُجِعنا جميعاً، وفُجِعَت الدنيا كلها، وضجت السموات والأرض من هذا الحدث الرهيب، ومن هذه الجريمة الشنعاء، رجلٌ يفترض أنه من المسلمين يتأمّر مع زوجته على قتل أمه، فتمسك زوجته أمه بيديها، ويأتي هذا المجرم بسكين ويطعن أمه طعنة، إلا أنها لم تمت منها واستطاعت أن تتخلّص من امرأة ابنها، ولكن الابن المارد الخبيث أبى إلا أن يقتلها، فطاردها وأراد طعنها مرة أخرى، فأمسكت السكين بكفها، فانتزع منها السكين بقوة فقطع أصابعها، ثم ألقي عليها باباً من الخشب، فأمسكتها امرأته، فأخذ يطعنها طعناً متتالياً، ولم يكتف بذلك، بل أتى ببطارية سيارته وسكب عليها ماء البطارية ليتفنن في قتلها، وليستمتع بمشاهدة أمه وهي غارقة في دمائها!!

(١) أخرجه البخاري (١٥٢/٣) كتاب الشهادات، ومسلم (٩١/١) رقم (٨٧).

حقاً لقد فُجع المسلمون بهذه الجريمة، التي نشرتها الصحف وتكلّمت عنها الإذاعات، والحمد لله فقد طبق عليهما حد الله وحكم عليهما بالقتل تعزيراً، ونفذ فيهما هذا الحكم العادل وذهباً إلى الله - عز وجل - يحملان الخزي والعار والخبية، فلعتهم القلوب ولم تترحم عليهما الألسنة.

ألهذا الحد وصلت بنا الحال؟ أين الله؟ أين كلامه؟ أين رسوله؟ أين شرعه؟ بل قل: أين الفطرة التي فطر الله عليها الإنسان، أن يحب أمه ويحسن إليها!! إن الإنسان مهما أحسن إلى أمه فلن يوفيهما حقهما، ولن يستطيع أن يعوضها عن تلك السنين التي أفتتها في خدمته وتربيته.

وإنِّي لأتخيّل هذه القصة وقد اكتظّ الحرم بالطائفين من الحجّاج والشمس مشتعلة، والجو ملتهب، والزحام خائق، والناس يطوفون حول الكعبة المشرفة يسألون الله ويتضرعون إليه في مشهد من أعظم مشاهد العبودية.

ومن بين هؤلاء جميعاً حاج من اليمن، أتى يحمل أمه على كتفيه، تصبب عرقه، وتتابعت أنفاسه، وخارت قواه، وكلّ متنه، وهو يطوف بها؛ لأنها مقعدة لا تستطيع الطواف.

رأى أن من البر بأمه، ومن باب رد الجميل أن يحملها ويحج بها وهي على ظهره، لعله بذلك يكون قد أدّى بعض الحق الذي عليه، ألم يكن في فترة من الفترات جنيناً بين أحشائها يأكل من لحمها وعظامها؛ ألم تتألم بسببه أثناء الحمل، ثم لما خرج من بطنها طفلاً صغيراً رضيعاً ضعيفاً، لا يملك من أمره شيئاً، ألم تسهر على راحته؟ ألم ترضعه من جسدها؟ ثم ظل على تلك الحال أعواماً عديدة، يمرض فتسهر عليه حتى يعافيه الله، ويجوع فلا ترتاح إلا بعد أن يشبع، ويظماً فلا تهدأ حتى يروى.

فتذكّر هذا الرجل كلّ ذلك، وظنّ أنه بحمل أمه على ظهره؛ أنه بذلك قد كافأها، وردّها إليها حقوقها.

وفي أثناء طوافه بأمه مرَّ بالصحابي الجليل عبد الله بن عمر - رضي الله عنه وعن أبيه - وهو واقف عند المقام، فقال الرجل: السلام عليك يا ابن عمر... هذه والدتي وأنا ابنها أترى أنني كافأتها بذلك؟ فقال ابن عمر: والذي نفسي بيده ولا بطلقة واحدة من طلق الحمل!!

هذا التعب الذي تحمَّله الرجل وهو يحمل أمه ويؤدِّي بها مناسك الحج، وهذه المشقة، وهذا العرق والإعياء والمعاناة، لا يفي بظفرة واحدة من ظفرات الأم في ساعة الحمل، فكيف بإحسانها كله إليك، وكيف بتاريخها الطويل معك ومع إخوتك وأخواتك.

جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن أبي أخذ مالي فقال النبي ﷺ للرجل: «اذهب فأتني بأبيك»، فنزل جبريل، عليه السلام، فقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول: إذا جاءك الشيخ فسله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه!! فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: «ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله؟» فقال: سله يا رسول الله هل أنفقه إلا على عماته أو خالاته، أو على نفسي؟ فقال النبي ﷺ: «إيه دعنا من هذا، أخبرنا عن شيء قلته في نفسك ما سمعته أذناك»، فقال الشيخ: والله يا رسول الله ما يزال الله يزيدنا بك يقيناً، لقد قلت في نفسي شيئاً ما سمعته أذناني، فقال: «قل، وأنا أسمع»، قال: قلت:

غذوتك مولوداً ومنتك يافعاً	** *	تعل بما أجنبي عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت	** *	لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأنني أنا المطروق دونك بالذي	** *	طُرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها	** *	لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي	** *	إليها مدى ما فيك كنت أومل
جعلت جزائي غلظةً وفضاظةً	** *	كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حقَّ أبوتي	** *	فعلت كما الجارُ المجاورُ يفعل

قال فحينئذ أخذ النبي ﷺ بتلابيب ابنه وقال: «أنت ومالك لأبيك»^(١).

قال ابن حبان: معناه أنه ﷺ زجر عن معاملته أباه بما يعاملُ به الأجنيبين، وأمره ببره والرفق به في القول والفعل معاً^(٢).

● وحذر النبي ﷺ من إغضاب الأب وإسخطائه فقال عليه الصلاة والسلام: «رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد»^(٣).

● وقال عليه الصلاة والسلام: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فاحفظ وإن شئت فضيِّع»^(٤).

فهذا حق الوالد على ولده، ولكن - ويا للأسف - فإن الذين يقومون بهذا الحق هم الأقلون، والذين يضيعونه هم الأكثرون، فما أكثر ما نسمع عن أناسٍ قويت سواعدهم، واشتدت كواهلهم، فأول ما فعلوا أن تكبروا على أوامر الله تعالى وشرعه، فأعرضوا عن كتاب الله، وأعرضوا عن سنة رسوله ﷺ، لم يعرفوا طريقاً إلى المسجد، ولا سبيلاً إلى طاعة من الطاعات، ثم بعد ذلك عقوا الوالدين في وقت ضعفهما، في وقت قد بلغا فيه أرذل العمر، وهما في حاجة إلى العطف والحنان والرعاية من هؤلاء الأبناء.

فكم رأينا من شيخ يبكي بسبب ابنه، وكم رأينا من امرأة طاعنة في السن تدبُّ على الأرض ديبياً تشكو ابنها وهي باكية متتعبة، ونحن نرفع تلك الشكاوى إلى

(١) أخرجه أبو الشيخ في عوالي الحديث (١/٢٢/١)، والطبراني في «الصغير» ص (١٩٥) قال الطبراني: لا يروى عن محمد بن المنكدر بهذا التمام والشعر إلا بهذا الإسناد، تفرد به «عبيد بن خلیصة».

قال الألباني: ولم أجد من ترجمه، والمنكدر بن محمد بن المنكدر لين الحديث كما في «التقريب».

قلت: وقول النبي ﷺ: «أنت ومالك لأبيك» صحيح أخرجه ابن ماجه رقم (٢٢٩١، ٢٢٩٢)، وأبو داود (٣٥٣٠). انظر: «الإرواء» (٣/٣٢٤)، «صحيح الجامع» رقم (١٤٨٦)، و«الإحسان» رقم (٤١٠).

(٢) «الإحسان» (٢/١٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٧٤/٤) رقم (١٨٩٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» رقم (٤٢٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢). وصححه الذهبي في كتاب «الكبائر» ص (٤٢)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٥١٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٧٥/٤) رقم (١٩٠٠)، وأحمد (١٩٦/٥)، وابن ماجه (٦٧٥/١) رقم (٢٠٨٩) قال الترمذي: حديث صحيح. وانظر: «السلسلة الصحيحة» رقم (٩١٣).

من لا يغفل ولا ينام، نرفعها إلى الواحد الأحد، الذي لا تخفى عليه خافية، والذي لا تسقط عنده مظلمة، ولا تضيق لديه شكاية.

يقصُّ علينا النبي ﷺ قصة ثلاثة من بني إسرائيل، خرجوا يتمشِّون فأخذهم المطر، فأوَّأوا إلى غار في جبل، فانحطَّت على فم غارهم صخرةٌ من الجبل، فانطبقت عليهم - أي سدَّ عليهم بابُ الغار فلا يستطيعون الخروج - فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله، فادعوا الله تعالى بها، لعلَّ الله أن يفرِّجها عنكم، فقال أحدهم - وهو موضع الشاهد من هذا الحديث -:

اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، وامرأتي، ولي صبية صغار أرعى عليهم، فإذا أرحتُ عليهم^(١)، حلبتُ، فبدأت بوالدي فسقيتهما قبل بني، وأنه نأى بي ذات يوم الشَّجَرُ^(٢)، فلم أتِ حتى أمسيتُ، فوجدتهما قد ناما، فحلبتُ كما كنتُ أحلبُ، فجئتُ بالحلابِ، فقمْتُ عند رءوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أسقي الصبية قبلهما، والصبية يتضاغون^(٣) عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم^(٤) حتى طلع الفجر، ثم دعا الله فقال: اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج لنا منه فرجةً نرى منها السماء، ففرج الله منها فرجةً فرأوا منها السماء^(٥)، ثم دعا الثاني والثالث حتى انفرجت عنهم الصخرة، وخرجوا يمشون.

والشاهد من القصة أن الله استجاب لهذا الرجل ببره لوالديه ولعدم تفضيله أحداً من أبنائه وزوجته عليهما.

فكيف بنا اليوم نسمع ونشاهد من يغضب أمه لترضى زوجته، ومن يقطع أمه ليصل زوجته، ومن يحرم أمه ويغدق على زوجته، إن هذا من أعظم الكبائر .

(١) أرحت عليهم: أي إذا عدت بالماشية إليهم من المرعى.

(٢) أي بعد المرعى.

(٣) أي يصيحون ويستغيثون من الجوع.

(٤) دأبي ودأبهم: أي حالتي وحالهم.

(٥) أخرجه البخاري (٥١/٣) كتاب الإجارة، ومسلم واللفظ له (٢٠٩٩/٤) رقم (٢٧٤٣).

وقد قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطعٌ رحم»^(١) فمن قطع أباه وأمه حرم الله عليه الجنة؛ لأنه خبيث الطبع، سيئ الخلق، منكرٌ للجميل والمعروف.

• وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «لما خلق الله الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة. قال: نعم. أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذلك لك»^(٢).

• ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا إن شئتم:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾ (سورة محمد، الآيتان: ٢٢، ٢٣).

وإذا وصل الله عبده فيا فوزه ويا سعاده.

وإذا قطع الله عبده فيا حسرته ويا ندامته.

إذا وصلك الله - عز وجل - جعلك من أهل طاعته، وقرب إليك سبل هدايته، ويسر لك أمرك، وجعل لك من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، وأتتك الدنيا وهي راغمة.

وإذا قطعك الله - عز وجل - عسر عليك أمرك، وقرب إليك سبل المعصية والغواية، وضيق عليك في الدنيا، فكلماً سلكت وادياً هلكت، وكلما التمتت باباً أغلقه دونك.

• أما سمعت قول النبي ﷺ: «من أحب أن يبسط في رزقه، وينسأ له في أثره»^(٣) فليصل رحمه»^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٧٢/٧) كتاب الأدب، ومسلم (١٩٨١/٤) رقم (٢٥٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢/٧ - ٧٣) كتاب الأدب، ومسلم (١٩٨١/٤) رقم (٢٥٥٤).

(٣) ينسأ له في أثره: أي يؤخر في بقية عمره.

(٤) أخرجه البخاري (٨/٣) كتاب البيوع، ومسلم (١٩٨٢/٤) رقم (٢٥٥٧).

فصلة الرحم من أسباب بسط الرزق وسعته وكثرته، وكذلك من أسباب البركة في المال والعمر والأبناء والزوجة وغير ذلك .

● أيها الناس :

أهل البر في هذه الأمة لهم قصص عبّر التاريخ يضربون بها أروع الأمثلة في البر واحترام الوالدين ورحمتهم .

فهذا الإمام ابن سيرين بلغ من بره بوالدته أن قال : والله ما ارتقيت سطح بيتٍ ووالدتي في البيت لئلا أرتفع عليها !!

كان يقدّم لها الطعام فلا يبدأ حتى تبدأ هي ، وكان لا يأكل من الإناء الذي كانت تأكل منه أمه ، فقيل له في ذلك فقال : أحشى أن تقع عينها على شيء من الطعام فأخذه فأكون عاقاً .

وكان إذا جلس أمامها لا يمدها بصره ، بل كان يخفض من بصره أمامها وكأنه عبدٌ مملوك .

وإمام آخر ، هو الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - :

جعل من نفسه - وهو إمام أهل السنة والجماعة - خادماً لوالدته ، يغسل ثيابها ، ويصنع طعامها ، ويقوم على حاجتها ؛ لأنه أخرج حديثاً أن معاوية بن جاهمة جاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله أردتُ الغزو وجئتكَ أستشيرك .

فقال ﷺ : «هل لك من أم» .

قال : نعم . فقال ﷺ : «الزمها فإن الجنة تحت رجلها»^(١) .

(١) أخرجه أحمد (٤٢٩/٣) ، والنسائي (١١/٦) رقم (٣١٠٤) ، وابن ماجه (٩٢٩/٢) رقم (٢٧٨١) ولفظه : «ويحك الزم رجلها فثم الجنة» ، والحاكم (١٥١/٤) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح .

فأي حق لهذه الأم التي جعل النبي ﷺ الجنة تحت رجليها، وإذا كانت الجنة تحت رجليها فلن يستطيع أحد دخول الجنة إلا عن طريق أمه .
وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأحفظ وإن شئت فضيع» (١) .
أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم الجليل ولي ولكم ولجميع المسلمين، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم

* * *

(١) تقدم تخريجه في نفس الخطبة.

■ الخطبة الثانية ■

الحمد لله رب العالمين، وليُّ الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين،
والصلاة والسلام على إمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، وقدوة الناس
أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

● أيها الناس :

إن صور العقوق كثيرة في هذه الأمة، وهي أمة عاشت الجمود والجحود في
فترة من فتراتنا طويلة، جحدت في الإبداع والابتكار وجمدت في مجال
الاكتشاف والاختراع، فسبقتها أرذل الأمم وأحط الشعوب .

أمة عقت ربها فجحدت حقوقه في عبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة
غيره من الأصنام والأوثان والقبور والمبادئ والشعارات والانتماءات والآراء
والأهواء .

وعقت رسولها ﷺ فلم تتبعه، ولم تهتد بهديه، ولم تسر في طريقه، ولم
تحكمه في أمورها، بل حكمت الأفكار البشرية، والمبادئ الشيطانية، التي ما قامت
إلا للقضاء على هذه الأمة، وسلخها عن دينها، حتى تصبح أمة بلا هوية، ولا
حضارة، ولا تاريخ، ولا مبادئ، فتكون بذلك كالقصعة التي يتداعى عليها
الأكلة من كل جانب، كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

وكان أيضاً عقوق الوالدين، الذي هو نتيجة طبيعية لتفكك الأسرة، التي
بعدت كثيراً عن تعاليم الإسلام، فالأب لا يسأل عن أبنائه، ولا يتفقد صحبتهم،
ولا يسأل عن صلاتهم، ولا عن صيامهم، وإنما جلُّ اهتمامه بطعامهم وشرابهم
وكسوتهم فهل هذه هي أمانة الأبوة، وهل هذا هو القيام بالمسئولية؟

والأم أيضاً لا تهتم إلا بإعداد الطعام والشراب، فلا تقرأ في كتاب ربها، ولا
تعلم شيئاً عن أمور دينها، ولا تغرس في نفوس أبنائها القيم الإسلامية الراقية،
التي تحفظهم من سُلكِ الإجرام والضياع، كيف نتنظر بعد ذلك أن تكون أسرنا

متماسكة، أو أن تكون مجتمعاتنا صالحة، يحترم فيها الأبناء آباءهم وأمهاتهم. ويعرف الصغير للكبير حقه فيجله ولا يتناول عليه، ويرحم الكبير الصغير فلا يقسو عليه ولا يهنه أو يعمل على إلغاء شخصيته.

وقد عقت هذه الأمة علماءها، وأهل الفضل فيها، وهم الذين تبنى عليهم الأمجاد، وبفضلهم تصنع البطولات، أين مكانة العلماء في بلاد المسلمين؟ بل أين مكانتهم في قلوب المسلمين؟

يجب على الأمة وهي في مرحلة الصحوة أو اليقظة، أن تضع هؤلاء الأختيار تاجاً على رأسها، وأن تجعلهم في مكان المسئولية والصدارة، بدلاً من أن تجعلهم في مؤخرة الركب كما هو الحال، بينما نجد في المقدمة أساطين الفن، ونجوم التمثيل، وصرعى الكرة، مع أن هؤلاء لم يصنعوا حضارة، ولم يقدموا مجداً، ولم يشاركوا في انتصار.

أين الابتكار والاختراع في واقع هذه الأمة؟

لماذا لا يُشجّع المخترعون والمكتشفون والمبدعون، ويقدم لهم ما يحتاجونه من إمكانيات، سوف تخدم الأمة في يوم من الأيام؟ لماذا نغلق الأبواب في وجوه هؤلاء، بينما نجد الدول الغربية والشرقية تفتح لهم الأبواب، وتقدم لهم كل ما يحتاجونه، ليستفيدوا من علمهم في مخترعات ومكتشفات تصدر إلينا فيما بعد بمئات الملايين.

فكيف لا تتخلف الأمة إذن؟ وكيف لا تكون في ذيل الأمم؟ وكيف لا تكون متبوعة مقهورة ذليلة غارقة في بحار من الديون والقروض والهزيمة والعار.

● عباد الله:

أين الكتاب والسنة في حياة المسلمين؟

أين تحكيم شرع الله في ديار فتحها محمد بن عبد الله ﷺ وأقام عليها

دولة الإسلام؟

إن غالب شعوب الإسلام الآن تحكم بأنظمة علمانية لا تعرف رباً ولا رسولاً ولا كتاباً.

● فكيف نرجو بعد ذلك النصر والتمكين، وقد غفلنا عن قوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد، الآية: ٤٧].

● وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [سورة النور، الآية: ٥٥].

فهل نصرنا الله - عز وجل - في أنفسنا؟ هل أقمنا شرعه فيما بيننا؟ هل عبدناه حقَّ عبادته؟

هل نصرنا رسولنا محمداً ﷺ باتباع سنته والاهتداء بهديه؟

لقد كذب أقوام ادَّعوا محبة الله - عز وجل - ورسوله ﷺ، ولم يحكِّموا شرعه، ولم يتبعوه عليه الصلاة والسلام، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران، الآية: ٣١]. ولقد نفى الله الإيمان عن أقوام أعرضوا عن حكم رسول الله ﷺ، أو حكِّموا مع الكراهة وعدم التسليم، فقال - جلَّ وعلا -:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥].

● أيها الناس:

أما آن لكم أن تعودوا إلى ربكم وقد كشرت لكم الأمم عن أنيابها؟

أما آن لكم أن ترجعوا وأنتم ترون إخوانكم المسلمين يذبحون في كل مكان ويقتلون في كل أرض، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون؟

أما أن لكم أن تستيقظوا من غفلتكم بعد أن رأيتم سيوف اليهود والنصارى
تعمل في المسلمين ذبحاً وتقتيلاً؟

يقول شوقي مصوراً هذه المحنة:

شعوبك في شرق البلاد وغربها

كأصحاب كهفٍ في عميق ثبات

بأيمانهم نورانٍ ذكرٌ وسنةٌ

في بالهم في حالك الظلمات

لماذا نسير في الطرق المظلمة الوعرة، التي لا يهتدي سالكها، بينما نترك
الطريق الممهّد المضيء بأنوار التوحيد؟ لماذا نترك عظماءنا الذين حملوا راية
التوحيد، وفتحوا بها مشارق الأرض ومغاربها، بينما نجعل النجوم والكواكب
أولئك المنهزمين اللاهين اللاعبين.

إذا تفاخر بالأهرام منهزمٌ * * * فنحن أهرامنا سلمان أو عمرُ

لقد أخطأت مناهج التعليم أيما خطأ حينما جعلت لنا بليون أو سليمان فرنجية
مساحة كالتّي جعلتها لمحمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، أو أبي بكر أو
عمر، فهذا من أشد صور الجحود والعقوق لتاريخنا الإسلامي وحضارتنا المجيدة
التي أسسها رسول الله عليه الصلاة والسلام.

فكيف يفهم الجيل الجديد تاريخه، وكيف يتعرف على عظمائه، وكيف يعود
إلى أمجاده؟

والعقوق صورته متعددة، وأشكاله متباينة، فهناك عقوق في العلوم الشرعية،
وعقوق في التاريخ، وعقوق في التربية، وعقوق في الأدب والسلوك، وعقوق في
القيم والمبادئ، ولن تمضي هذه الأمة إلى الأمام إلا بالتخلص من هذه الصور
جميعاً، لتصبح حرة في مبادئها وقيمها التي فتحت بها مشارق الأرض ومغاربها.

نسأل الله لنا ولكم هداية ورشداً، وتوفيقاً وتسديداً.

• أيها المسلمون:

وصلوا وسلموا على مَنْ أَمَرَكم اللهُ بالصلاة والسلام عليه حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ {الأحزاب: ٥٦}.

وقد قال عليه السلام: «من صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»^(١).

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبيك وحيبك محمد واعررض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يا رب العالمين.

وارض اللهم عن أصحابه الأطهار، من المهاجرين والأنصار، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وجودك يا أكرم الأكرمين .



(١) أخرجه مسلم (٢٨٨/١) رقم (٣٨٤).



■ فهرس المراجع ■

- الإحسان: في تقريب صحيح ابن حبان . ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي . بتحقيق: شعيب الأرنؤوط . ط: مؤسسة الرسالة، بيروت .
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: الألباني محمد ناصر الدين .
- البداية والنهاية: ابن كثير: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي . ط: دار الريان للتراث، القاهرة .
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير . ط: دار الحديث، القاهرة .
- تقريب التهذيب: العسقلاني أحمد بن علي بن حجر . بتحقيق: محمد عوامة . ط: دار الرشيد، حلب .
- الجامع الصحيح: البخاري محمد بن إسماعيل . ط: المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا .
- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري . ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- حلية الأولياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني . ط: دار الكتاب العربي، بيروت .
- حياة الصحابة: الكاندهلوي محمد بن يوسف . ط: دار الريان للتراث، القاهرة .
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر . ط: دار الكتب العلمية .
- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، بتحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط . ط: مؤسسة الرسالة، بيروت .

- سلسلة الأحاديث الصحيحة: الألباني محمد ناصر الدين . ط : المكتب الإسلامي .
- سلسلة الأحاديث الضعيفة: الألباني محمد ناصر الدين . ط : مكتبة المعارف ، الرياض .
- سنن الترمذي: الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة . بتحقيق: أحمد شاكر وإبراهيم عطوة . تصوير: دار الكتب العلمية ، بيروت .
- سنن الدارمي: الدارمي: أبو عبد الله بن عبد الرحمن . بتحقيق: فؤاد أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي . ط : دار الريان للتراث ، القاهرة .
- سنن أبي داود: السجستاني أبو داود سليمان بن الأشعث . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . ط : المكتبة الإسلامية ، إستانبول ، تركيا .
- سنن ابن ماجه: القزويني محمد بن يزيد بن ماجه . بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . ط : دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
- سنن النسائي: النسائي أحمد بن شعيب . بتحقيق عبد الفتاح أبي غدة . ط : مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب .
- السيرة النبوية: ابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الذهبي النحوي . بتحقيق: د . همام عبد الرحيم سعيد ، ومحمد بن عبد الله أبو صُعليك . ط : مكتبة المنار .
- شرح صحيح مسلم: النووي محيي الدين بن شرف . ط : المطبعة المصرية بالأزهر .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته: الألباني محمد ناصر الدين . ط : المكتب الإسلامي ، بيروت .
- صحيح مسلم: النيسابوري أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري . بتحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . ط : دار الحديث ، القاهرة .

- ضعيف الجامع الصغير وزيادته: الألباني محمد ناصر الدين . ط : المكتب الإسلامي.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: العسقلاني أحمد بن علي ابن حجر . ط : دار الريان، القاهرة.
- القاموس المحيط: الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب . ط : مؤسسة الرسالة.
- لسان العرب: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري . ط : دار صادر، بيروت.
- مجمع الزوائد: الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر . ط : مؤسسة المعارف، بيروت.
- المستدرک: الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري . بتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا . ط : دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسند الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل . ط : مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- مشكاة المصابيح: التبريزي محمد بن عبد الله الخطيب . بتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني . ط : المكتب الإسلامي، بيروت.
- موطأ الإمام مالك: الأصبحي أبو عبد الله مالك بن أنس . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . ط : دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- النهاية في غريب الحديث: الجزري مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد . بتحقيق: محمود الطناحي و طاهر أحمد الزاوي . ط : أنصار السنة المحمدية، باكستان.



النسخة الجديدة من :

مقامات عائض القرني

جميع منشورات مكتبة الصحابة بجدة ودولة الإمارات العربية تطلب من

مكتبة التابعين بالقاهرة

٢٥ ش أحمد عصمت عين شمس - برج التوحيد - الدور الأول

ت: ٤٩٣٨١٤٤ - ٤٩٣٤٣٢٥ - مستودع: ٦٣٩٤١٣٣